مواقف إيمانية للنساء

بقلم

محمد عبد العاطي بحيري

المكتبة التوفيقية

٢١٠,٤
ب٣٣

مواقف إيمانية للنساء

بقلم
محمد عبد العاطي بحيري

المكتبة التوفيقية

الأخضر - سيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله.. الذى سهل لعباده المتقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوضح لهم طريق الهداية وجعل اتباع الرسول عليها دليلاً، واتخذهم عبيداً له فأقروا له بالعبودية ولم يتخذوا من دونه وكيلاً، وكتب فى قلوبهم الإيمان لما رضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا.

فاللهم لك الحمد حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك.. حمداً يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا ينقطع عدده، ولا يفنى مدده.. يا رب العالمين..

بك استجير ومن يجير سواكا ... فارحم ضعيفًا يحتمى بحماكا
أذنبت يا رب وآذتنى ذنوبى ... ما لها من غافر إلا كا
دنياى غرتنى وعفوك غرنى ... ما حيلتى فى هذه أوذاكا
لو أن قلبى شك لم يك مؤمنًا ... بكريم عفوك ما غوى وعصاكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلاً ... للتوب فاقبل تائبًا قد أتاكا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. كل شىء خاشع له، وكل شىء قائم به غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف.. من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه منقلبه، سبحانك.. لم ترك العيون فتخبر عنك.. لم تخلق الخلق لوحشة.. ولا استعملتهم لمنفعة.. ولا ينقص فى سلطانك من عصاك.. ولا يزيد فى ملكك من أطاعك.. كل سر عندك علانية.. وكل غيب عندك شهادة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله... أسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر.. لها فروع طوال، وثمرة لا تُنال.. فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى.

خصه الله بلواء الحمد دون جميع العالمين، فآدم تحت لوائه. وأعطاه الله الحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة العظمى يوم القيامة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله، وعلى آل بيتك الأطهار وعلى كل من استن بسنتك، واقتفى أثرك إلى يوم الدين.

أما بعد..

والله.. إن العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، وإنَّا لما حل بأمة الإسلام لمحزونون!!

أهذه هى الأمة التى زكاها ربها، وكرمها فى قرآنه حين قال: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]؟

أهذه هى الأمة التى زكاها ربها بالاعتدال والوسطية، فقال: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]؟

أهذه هى الأمة التى زكاها الله فى القرآن بالألفة والوحدة، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢]؟!

إننا لو نظرنا إلى هذه الأمة فى القرآن الكريم، ثم نظرنا إليها على أرض الواقع لسالت الأعين بدل الدموع دمًا، ولانفلقت الأكباد حزنا، والسبب فى ذلك أنها انحرفت عن منهج الله جل فى علاه.. وعن سنة رسول الله ﷺ.. ولهذا أذل الله الأمة لأحقر وأذل أمم الأرض من إخوان القردة والخنازير من أبناء اليهود، وعباد البقر. حتى ساموا الأمة سوء العذاب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لقد حُق عليها قول الرسول ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**كلا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن**».

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: «**حب الدنيا، وكراهية الموت**»(١).

لذلك فإن الحال لا يتغير إلا إذا رجعت الأمة الإسلامية إلى ماضيها، إلى سلفها الصالح، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

لن تنهض الأمة من سباتها، ولن تهتدى من حيرتها، إلا إذا رجعت إلى منهج

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد فى مسنده (٢٢٢٩٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٨١٨٣)، وفى السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٦).

الله تعالى، وإلى منهج رسولها محمداً ﷺ، وإلى السلف الصالح رضوان الله عليهم.

لذا أقدم للأخت المسلمة هذه المواقف الإيمانية، وقد تعرضنا لفتن كقطع الليل المظلم.

فما أحوجنا فى هذه الظلمات إلى معرفة مواقف الصادقات المؤمنات لعلنا نفيق من غفلتنا.. ولعلها تكون للأخت المسلمة زاداً يهديها إلى الطريق المستقيم.. الذى ينير الحياة.. ويجعلها حياة ملؤها السعادة والخير.

ألا يا نفس ويحك ساعدينى بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بطيب العيش فى تلك الفلالى

فالإيمان الحق هو الذى يجعلك تحتقرين شهوات الدنيا، وتنظرين بقلب خالص إلى ما فيه نفعك ونفع الأمة الإسلامية.

ولقد اشتملت هذه المواقف الإيمانية على تنظيم العلاقة بين الأخت المسلمة وبين ربها تارة، وبينها وبين مجتمعها تارة أخرى، وبينها وبين زوجها وأبنائها، وأسرتها تارة أخرى.

فإن أك قد أصبت فى اختيارها فمن الله عز وجل، وإن كانت الأخرى فمنى ومن الشيطان.

فأسأل الله العلى القدير أن ينفع بها أخواتى المسلمات، وأن يجعلها خالصة لوجهه، وأن يجعلها فى ميزان حسناتى يوم القيامة ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

والله الهادى إلى سواء السبيل،،،

كتبه الفقير إلى عفو مولاه

أبو أحمد

محمد عبد العاطى بحيرى

ميت برة - قويسنا - منوفية

١١ من ربيع الثانى سنة ١٤٢٣هـ

٢٢ من يونية سنة ٢٠٠٢م

الباب رقم (١)

مواقف إيمانية في التوبة إلى الله عز وجل

ما زلت أغرق فى الإساءة دائبًا
وينالنى منك العفو والغفران
لم تنقصنى إذ أسأت وزدتنى
حتى كأن اساءتى إحسان
تولى الجميل على القبيح وإنما
يُرضيك منى الزور والبهتان
فكأننى بالذنب التمس الرِّضى
إذ لم يضرنى عندك العصيان

• توبة صادقة •

فعن سليمان عن بريدة، عن أبيه قال:

«جاءت امرأة من غامد من الأزد - «الغامدية» - إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، طهرني، فقال ﷺ: **«ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه»** فقالت: أراك تريد أن تردني، كما رددت ماعز بن مالك. قال: **«وما ذاك؟»**.

قالت: إنها حُبلى من الزنا، فقال: **«آنت؟»** قالت: نعم.

قال لها: **«حتى تضعي ما في بطنك»**.

قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ. فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: **«إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه»**. فقال رجل من الأنصار: إليّ رضاعه يا نبي الله!.

قال: فرجمها..

وفي رواية: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته، قال: **«اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»** فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز.

فقالت: يا نبي الله، قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها، فقال: **«مهلاً يا خالد، فو الذي نفسي بيده، لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له»** ثم أمر بها، فصلى عليها، ودفنت[(١)].

أختي المسلمة..

هذا موقف إيماني عظيم.. حيث اعترفت هذه المرأة بذنبها، وجاءت رسول الله ﷺ وطلبت منه أن يقيم عليها الحد، ويلاحظ أن في هذا الحديث عظمة الدين الإسلامي حيث أنه لم يبحث عن الذنوب، وأنه يدرء الحدود بالشبهات، ولو أن هذه المرأة لم تذهب إلى رسول الله ﷺ لما كان عليها حد، ولو أنها استجابت لأمر الرسول ﷺ حين قال: **«ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه»** لما أقيم عليها الحد.. ولو انتقلت من بلدها إلى أخرى ما بحث عنها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ونرى فى هذا الموقف الإيمانى أيضًا عظمة الإسلام ورسول الإسلام فى رحمة المرأة وطفلها الصغير، حين قال لولى الغامدية: «أحسن إليها» وهذا الإحسان له سببان كما ذكر النووى:

أحدهما: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة، ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها، تحذيراً لهم من ذلك.

الثانى: أمر به - أى بالإحسان إليها - رحمة لها، إذ قد تابت، وحرص على الإحسان إليها لما فى نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذى، ونحو ذلك، فنهى عن هذا كله.

وقال الإمام النووى -رحمه الله-:

فيه دليل على أن الحد يكفر ذنب المعصية التى حد لها، وقد جاء ذلك صريحًا فى حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذى قال فيه ﷺ: **«من فعل شيئًا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارته»**[(١)].

وفيه دليل على سقوط إثم المعاصى الكبائر بالتوبة، وهو بإجماع المسلمين..

اعتراض: فإن قيل: ما بال ماعز والغامدية لم يقنعا بالتوبة، وهى محصلة لغرضهما، وهو سقوط الإثم، بل أصرا على الإقرار، واختارا الرجم؟.

الجواب: أن تحصيل البراءة بالحدود، وسقوط الإثم متيقن على كل حال، لاسيما وإقامة الحد بأمر النبى ﷺ، وأما التوبة فيخاف أن لا تكون نصوحًا، وأن يخل بشىء من شروطها، فتبقى المعصية وإثمهما دائمًا عليه، فأرادا حصول البراءة بطريق متيقن دون ما يتطرق إليه احتمال.

• التوبة فى القرآن والسنة •

أختى المسلمة..

لقد دعا مولانا تبارك وتعالى عباده جميعًا إلى التوبة الصادقة، دعا الكفار إليها، فقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ..﴾ [الأنفال: ٣٨].

(١) رواه البخارى.

ودعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أولئك الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال لهم داعيًا لهم إلى التوبة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا المنافقين إلى التوبة فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم بالمعاصي من أمة الحبيب المصطفى ﷺ فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ودعا إليها المؤمنين الصادقين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

■ فما هى التوبة النصوح؟

والتوبة النصوح كما قال ابن كثير فى تفسيره: أى توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب، وتجمعه، وتكفر عنه ما كان يتعاطاه من الدناءات.

وقد اختلفت عبارات السلف فى بيان حقيقة التوبة النصوح، حتى أوصلها الإمام القرطبى فى تفسيره إلى ثلاثة وعشرين قولاً.

وقال الحسن البصرى -رحمه الله-:

هى أن يكون العبد نادمًا على ما مضى، مجمعًا على أن لا يعود فيه.

وقال الكلبى: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

وقال محمد بن كعب القرظى: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، واضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الإخوان.

وقال ابن القيم: النصح فى التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها، بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

الثانى: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادراً بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة فى إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عندك، لا كمن يتوب لحفظ حاجته، وحرمته ومنصبه[١].

أختى المسلمة..

• الله يفرح بتوبتك •

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال -من شدة الفرح-: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[٢].

وقال الله عز وجل فى حديثه القدسى الجليل:

«**يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٣].

وعن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن عبدًا أصاب ذنبًا، فقال: يا رب، إنى أذنبت ذنبًا فاغفره، فقال له ربه: علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا آخر، فقال: يا رب، إنى أذنبت ذنبًا آخر فاغفره لى، قال له ربه: علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا آخر، فقال: يا رب، إنى أذنبت ذنبًا فاغفره لى، قال له ربه: علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، فقال ربه: غفرت لعبدى فليعمل ما شاء**»[٥].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وابن ماجه والألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٠٣٠).

(٣) رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤٣٣٨).

(٤) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٥) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشي فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

•شروط التوبة•

أختى المسلمة . .

إنّ للتوبة شروطًا ينبغى أن تتعرفى عليها حتى تحسن توبتك فما هى؟

١ - الإقلاع عن الذنوب:

لأنه لا يتصور توبة من معصية معينة والإنسان مازال متلبسًا بهذه المعصية، فلابد من الإقلاع أولاً، وليس المقصود إقلاعًا مؤقتًا، بل لابد أن يستمر ويدوم.

٢- الندم على فعلها:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**الندم توبة**»(١).

وعلامة هذا الندم أن تتمكن مرارة تلك الذنوب فى القلب بدلاً عن حلاوتها.

وفى الإسرائيليات: أن الله سبحانه قال لبعض أنبيائه، وقد سأله قبول توبة عبد، بعد أن اجتهد سنين فى العبادة، ولم ير قبول توبته، فقال:

«وعزتى وجلالى، لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته، وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه».

وتستبدلى بالميل كراهية، وبالرغبة نفرة، وباللذة ألمًا، وأن تنظرى إلى نفسك نظرة إزدراء واحتقار، وإلى غيرك نظرة البراءة والطهر والنقاء.

٣- العزم على عدم العودة:

فلو عزمت على العودة لم تصح توبتك.

٤- التحلل من المظالم:

فتردين الحق إلى أصحابه، كمن سرقت مالاً، فأرادت أن تتوب فعليها أن ترده.

قال ﷺ: «**من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون ديناراً ولا درهمًا إلا الحسنات والسيئات**»(٢).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٣٥٦٨)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٨٠٢).

(٢) رواه البخارى وأحمد (٩٥٨١)، والألبانى فى صحيح الجامع (٦٥١١).

٥- أن تكوني توبتك خالصة لله عز وجل:

وذلك بأن تتوبي ابتغاء مرضاة الله، لا للخوف من أي مخلوق، أو لأنك عاجزة عن فعل المعصية.. أو لأنك تخشين على سمعتك وجاهك، أو لأي حظ دنيوي.

قال الإمام جعفر الصادق ﷺ:

«إنَّ الله تعالى خبأ ثلاث في ثلاث: خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئًا، فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئًا، فلعل غضبه فيه، وخبأ وليه في عباده، فلا تحقروا من عباد الله أحدًا، فلعله ولي الله».

لا تحقرن الذنوب صغيراً ... إنَّ الصغير غدا يصير كبيرا
إن الصغير وإن تقاوم عهده ... عند الإله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن بطالة ... ولا تكن صعب القيام وشمرن تشميرا
إن المحب إذا أحب إلهه ... طار الفؤاد وألهم التفكيرا

• كلمات عظيمات في ظلمات حالكات •

قالهن يونس عليه السلام في ظلمات ثلاث:

ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.. سجلها ربنا في كتابه الخالد حين لخص قصة يونس عليه السلام فقال: ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴿٨٧﴾ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

كلمات قصار لكن لها دلالات عظام:

١- تدل على التوحيد الخالص - توحيد الألوهية - الذى به بعث الله الرسل، وأنزل الكتب.. وقامت به سوق الجنة والنار ﴿ **لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ** ﴾.

٢- تنزيه الرب عن كل نقص، وهو معنى التسبيح الذى تقوم به السموات والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴿ **سُبْحَانَكَ** ﴾.

٣- تدل على الاعتراف بالذنب.. والتقصير في حق الرب، وظلم النفس بالتفريط ﴿ **إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ وهذا هو عنوان التوبة.

• توبة امرأة تطوف حول الكعبة •

أختي المسلمة..

هذه قصة امرأة تابت إلى ربها وهي تطوف بالكعبة يرويها لنا وهيب بن الورد

فيقول: «بينما امرأة فى الطواف ذات يوم وهى تقول: يا رب! ذهبت اللذات، وبقيت التبعات.

يا رب! سبحانك، وعزتك إنك أرحم الراحمين.. يا رب، مالك عقوبة إلا النار.. فقالت صاحبة لها كانت معها: يا أُخيه، دخلت بيت ربك اليوم؟ قالت: والله ما أرى هاتين القدمين - وأشارت إلى قدميها - أهلا للطواف حول بيت ربى، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربى؟ وقد علمت حيث مشتا، وإلى أين مشتا؟[1].

• توبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خثيم •

عن سعدان قال:

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك.. ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهى سافرة، فقال لها الربيع:

كيف بك لو نزلت الحمى بجسدك فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟

أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشيًا عليها، فو الله، لقد أفاقت، وبلغ من عبادتها لربها، أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق[2].

أختى المسلمة..

فهذا موقف إيمانى عظيم حيث أثرت موعظة الربيع بن خثيم فى تلك المرأة فرجعت إلى الله عز وجل.. وتبدل حالها من فاجرة.. إلى عابدة.. ومن عاصية مذنبة إلى مطيعة لربها عز وجل.. فما أعظم الرجوع إلى الله عز وجل.

• التائب إلى الله بمكان عنده سبحانه •

عن بكر بن عبد الله المزنى:

أنَّ قصابًا -أى جزارًا- ولع بجارية -أى أحبها حبًا شديدًا- وكانت لبعض جيرانه، فأرسلها أهلها فى حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودها عن نفسها،

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٥٠، والتوابين لابن قدامة ص١٧٠.

(٢) التوابين لابن قدامة ص١٧٨ ط/ التوفيقية.

فقالت: لا تفعل! لأنا أشد حبًا لك منك لى، ولكنى أخاف الله. قال: فأنت تخافينه، وأنا لا أخافه؟!.

فرجع تائبًا، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بنى إسرائيل، فسأله، قائلا: مالك؟ قال: العطش. قال: تعالى حتى تدعو الله تعالى حتى تظلنا سحابة، حتى ندخل القرية. قال: مالى من عمل. قال: فأنا أدعو وأنت تؤمن. قال: فدعا الرسول الذى بعثه النبى وأمن الرجل، فأظلتهم السحابة حتى انتهوا إلى القرية، فأخذ الجزار مكانه، ومالت السحابة عليه، ورجع الرسول فقال: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذى دعوت وأنت الذى أمنت.. فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى ما أمرك؟ فأخبره، فقال له رسول النبى: التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه[1].

أيتها الأخت المسلمة..

هذا موقف آخر من مواقف التائبين والتائبات الإيمانية حيث كانت توبة هذا الرجل على يد جارية.. فما أفضل أن يتوب المرء إلى مولاه!.

• توبة امرأة غافلة بعد موت زوجها •

أختى المسلمة..

وهذا موقف لتوبة امرأة غافلة يذكره لنا صاحب كتاب «العائدون إلى الله» فيقول: ن. ع. ص تحولت حياتها تمامًا عندما مات زوجها تروى لنا القصة فتقول:

كنا فى زيارة لأخت زوجى، فلما دخلنا «الشقة» جلسنا فى غرفة الاستقبال.. وفجأة وبدون مقدمات، سقط زوجى على الكرسى.. صرخت وأنا مذهولة.. توقعت كل شِيء إلا أن يكون قد مات.. واتصلنا بالإسعاف، وفجأة أخبرنا الطبيب أن زوجى مات.. مات.. مات.. صرت أبكى وأصرخ.. وأنا غير مصدقة لما قاله الطبيب.. لم يخطر ببالى شيء أقوله.. فلم أكن أعرف الله.. ولم أكن أصلى.. ولم أكن ملتزمة بالزى الشرعى.. غير أنى كنت خجولة، وكنت أستحى من الناس وكانت نفسى تراودنى أن ألبس لباسًا ساترًا طويلاً.. إلا أن زوجى كان يمنعنى ويعتبر أنَّ هذا عودة إلى عهد «ستى العجوزة»!.

كان زوجى لا يصلى، وكان بيننا وفاق وحب زائف.. لم يكن همنا سوى الأكل والشرب والفسح والخروج والتعرف على آخر موديلات الأزياء.

---

(١) التوابين لابن قدامة ص٦٠، ٦١، وحلية الأولياء لأبى نعيم ٢/ ٢٣٠.

وبعد موت زوجي انتقلت إلى بيت أبي.. فإذا بأختي التي تصغرني بسبع سنوات تلبس الحجاب.. وكانت هي الوحيدة التي تواسيني بحرص وحب.. خففت من صدمتي، وعلمتني أن أقول دعاء ما سمعته من قبل: **«اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها»** قلتها وأنا أبكي.. وعلمتني الصلاة.. وعلى الرغم من أني أعرف الصلاة إلا أنني شعرت أن صلاتي هذه المرة فيها خشوع وخضوع وذلة.. ولبست لباسًا محتشمًا ووجدت نفسي مستريحة من داخلي ومطمئنة.. والذي زاد من راحتي هو قراءة القرآن.. فبدأت أحفظ من قصار السور.. وعلمتني أختي من أحكام التجويد، واصطحبتني.

• الفوائد التي نجنيها من التوبة •

أختي المسلمة..

ولكي تسارعي إلى التوبة فلابد أن تعلمي ما هي الثمرة وما هي الفوائد التي تجنيها من وراء التوبة؟ هي كالتالي:

١ - التوبة تمحو عنك الذنب:

فقد قال ﷺ: **«التائب من الذنب كمن لا ذنب له»**[(١)].

٢- التوبة تبدل سيئاتك حسنات:

كما قال الله تعالى في خاتمة سورة الفرقان في كلامه عن عباد الرحمن: **﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** [الفرقان: ٧٠] وهذه من أعظم الثمرات إذا اقترنت بالتوبة إيمان وعمل صالح.

قال ابن عباس ﵄: «ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط فرحه بهذه الآية لما نزلت، وفرحه بنزول قوله تعالى: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح: ١، ٢].

قال سعيد بن المسيب -رحمه الله-:

هو تبديل الله سيئاتهم التي عملوها بحسنات يوم القيامة، فيعطيهم مكان كل سيئة حسنة.

٣- التوبة تطهر قلب التائب:

لقول النبي ﷺ: **«إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه»**، وهو الران الذي ذكره الله تعالى في قوله[(٢)]: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤].

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٠٠٨.

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ١٦٧٠.

٤- التوبة سبب فى محبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٥- التوبة سبب الفلاح فى الدنيا والآخرة:

٦- الانتصار على العدو الدائم:

أتعرفين من هو العدو الدائم؟ إنه الشيطان الذى أقسم أمام مولانا تبارك وتعالى أن يضل بنى آدم، وليغوينهم أجمعين: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وغير هذه الآية كثير.

وقد نفذ اللعين وعده، وبر فى قسمه وهو كذوب، ولم يتوان ساعة فى تزيين الشر، وتحسين الباطل، واضلال الناس..

وقد سئل الحسن البصرى: هل ينام الشيطان؟ قال: لو نام لاسترحنا منه بعض الوقت! ولكنه لا ينام، ولا يأخذ إجازة.

وقد روى أنه قال: أهلكت بنى آدم بالذنوب، وأهلكونى بالتوبة والاستغفار.

٧- الانتصار على النفس الأمارة بالسوء:

فالتائب إذا رجع إلى مولاه يكون قد انتصر على شهوات نفسه، لأن الأعداء كثيرون، ولذلك قيل: «المؤمن بين خمس شدائد: بين مسلم يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه».

إنها معركة كثيرة الأعداء، متعددة الميادين، متنوعة الأسلحة.. معركة فى الداخل وفى الخارج.. تحتاج إلى يقظة وتأهب واستعداد للجهاد الدائم.. والمنصور من نصره الله.

أختي المسلمة..

اسعى إلى الله تائبة، وألق بنفسك بين يديه سبحانه وتعالى نادمة على ما فعلت، وأحسنى الظن بمولاك فهو أرحم الراحمين.. هو أرحم بنا من الوالدة بولدها.. ولا تسوفى بتوبتك، فإنك لا تدرين متى يدركك الموت، فما مثل من سوف التوبة إلا كمثل من احتاج إلى قلع شجرة، فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها، وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بقيت إزداد

رسوخها، وأنت كلما طال عمرك إزددت ضعفًا، وإزدادت الشجرة قوة وجذورها تشعبًا.. اقبلى على الله تعالى فهو الذى يقول: **«من تقرب إلىَّ شبرًا تقربت منه ذراعًا ومن تقرب إلىَّ ذراعًا تقربت منه باعًا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة»**[1].

ولله در من قال:

يا رب عظمت ذنوبى كثرة — فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنًا — فبمن يلوذ ويستجير المجرم
ربى دعوت كما أمرت تضرعًا — فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وهو فى صحيح الجامع للألبانى برقم ٨١٣٨.

الباب رقم (٢)

مواقف إيمانية في محبة الرسول ﷺ

«إنه من تحركت لتعظيمه السواكن، فحنّ إليه الجذع، وكلمه الذئب، وسبح فى كفه الحصا، وتزلزل له الجبل».

اللطائف لابن الجوزى

إنه شفيع المذنبين، وقائد الغر المحجلين، وإمام المرسلين، من معجزاته أعجزت كل الورى.. سيدى يا رسول الله..

لك معجزات أعجزت كل الورى
عن وصفك الشعراء عجزوا عن صفات علاك
والله لو أن ماء البحار بجمعها
والعشب وأقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع ذرة
أبداً وما اسطاعوا له إدراكا
وكل يستغيث فلم يغثهم
سوى المختار في فصل القضاء
نبيي أحمد يسن طه
شفيع المذنبين ومصطفائي
وأفضل من تنشق عنه الأرض
ويحشر بالمواكب والبهاء
ويحشر آدم والرسل طراً
وكل الأنبيا تحت اللواء
وكل الأنبياء تقول نفسي
وأحمد لا يُنادى مَنْ ورائي
وتكرم أمة تبعثه فينا
ولو بالذنب تملأ بالإناء
ينادي رب لا أرجوك أمي
ولكن أمتي أقصى منائي
يناديه فسل تعطى ابتهاجا
لأجلك رحمتي سبقت شقائي

▪ كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله ▪

أختى المسلمة . .

وهذا موقف عظيم لامرأة مؤمنة قد لامس الإيمان شغاف قلبها، ويروى لنا هذا الموقف الإيمانى العظيم ابن هشام فى السيرة فيقول:

لما عاد النبى ﷺ وأصحابه من غزوة أحد مروا بامرأة من بنى دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها بأحد، فلما نُعوا لها قالت:

فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير إليها، حتى رأته.

قالت: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله - تريد صغيرة-[(١)].

فيا له من موقف إيمانى عظيم. . إنها لو فقدت الدنيا كلها بكل ما فيها من أهل وعشيرة ومال ومتاع، فإن ذلك لا يهمها طالما أن الحبيب المصطفى ﷺ بخير وعافية. .

فرضى الله عنها. . ورضى الله عن أبى بكر الصديق ليلة الهجرة كان يتقدم رسول الله ﷺ فلما سأله الحبيب عن ذلك قال: يا رسول الله أنا إن هلكت فأنا فرد فى أمة، لكنك إذا هلكت يا رسول الله هلكت أمة بأسرها!.

أختى المسلمة. .

إذا كانت هذه المرأة وأمثالها يحبون رسول الله ﷺ هذا الحب ويفدون بالأرواح والمهج، فقد كان بينهم، ويعيشون معه، لكنه انتقل إلى الرفيق الأعلى، فكيف نصل إلى هذا الحب الإيمانى للرسول الأعظم ﷺ؟.

أقول: إنَّ محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة فى القلب آتت كل حين، وأثمرت كل أنواع الاتباع والاقتفاء للمحبوب ﷺ.

والأدلة على وجوب محبته ﷺ كثيرة، بل لقد قَرَّع الله عز وجل وتوعد من تهاون بذلك، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٧ ط/ دار الفجر، وإسناده صحيح.

مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤] فقد توعدهم بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾.

وحكم على من كان هذه حاله بالفسق والعصيان.

وقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] ويؤكد هذا ما رواه البخارى من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**فو الذى نفسى بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(١).

وفى رواية عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»(٢).

وفى البخارى من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبى ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ﷺ فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلىَّ من كل شىء إلا من نفسى، فقال النبى ﷺ: «**لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال عمر: والله لأنت أحب إلىَّ من نفسى. فقال ﷺ: «**الآن يا عمر**»(٣) أى الآن كمل إيمانك.

والمحبة أقسام كما ذكر النووى فى شرحه لهذا الحديث:

قال ابن بطال والقاضى عياض وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس. فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته(٤).

وقال ابن بطال -رحمه الله-:

ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبى ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به ﷺ استنقذنا من النار، وهدينا من الضلال.

وقال القاضى عياض: ومن محبته ﷺ نصرة سنته، والذب عن شريعته، وتمنى حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه.

قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ﷺ ومنزلته على كل والد وولد . . ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن. انتهى.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان.

(٢) رواه البخارى (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان والنذور (٦٦٣٢).

(٤) صحيح مسلم (١/ ٢٦٢) بشرح النووى ط/ دار الفجر.

• محبة النبي ﷺ اتباعه •

لكن محبتنا له ﷺ هو اتباعه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢] فقد جعل سبحانه طاعته عنوان محبته جل وعلا..

قال ابن كثير:

هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله. فمن كان لرسوله محمداً ﷺ متبعًا، كان لمولاه محباً(١).

ولقد أحسن القائل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كنت حبك صادقًا لأطعته إنَّ المحب لمن يحب مطيع

وقال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] والآيات فى ذلك كثيرة.

وقد تبين ﷺ أن الفرقة الناجية من أمته هى ما كانت مطيعة لأوامره منتهية عن نواهيه، فقال ﷺ: «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**»(٢).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا.

قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشى وإنه من يعش منكم، فسيرى اختلافًا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، وإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٢٥٤٤.

أختي المسلمة..

لقد كان أصحاب النبي ﷺ يحبون رسولهم حبًا جمًا، حتى قال عروة بن مسعود ﷺ قبل أن يسلم، وعندما ذهب يعرض عليه أمر قريش في صلح الحديبية: أيْ قومِ، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً.

فوالله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا حفظوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له[1].

فرضى الله عن أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عن زيد بن الدثنة حين غُدر به وبأصحابه وقُدم للقتل، فقال له أبو سفيان قبل أن يسلم: ناشدتك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك، فتضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد، والله ما أحب أن محمداً عندنا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً[2].

أختي المسلمة..

إن أردت أن تكوني محبة لرسول الله ﷺ فتحلي بأخلاقه الكريمة.

• التحلي بأخلاق الرسول ﷺ •

لكن فما هي الأخلاق التي ينبغي أن تتحلي بها؟

١- اتركي الفحش، وهو كل قبيح سيئ من الأقوال والأفعال.

٢- اخفضي من صوتك، واغضضي منه إذا نطقت، وخاصة في المجتمعات العامة.

٣- اغضضي من بصرك، وتخلقي بآداب الطريق إذا سرت فيه.

٤- ادفعي السيئة بالحسنة، بأن تعفي وتصفحي عمن أساء إليك.

٥- لا تقصري في أداء واجبك، ولا تبخسي حق غيرك.

٦- لا تقولي سوءاً ولا تفعليه.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٢٤٤)، وصحيح البخاري في كتاب المغازي (٤٠٨٦)، وأحمد في مسنده (٧٩١٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٥٥)، وابن هشام في السيرة.

٧- لا تتأخرى عن قضاء حاجة الضعيف والمسكين.

٨- اقرئى القرآن بفهم وتدبر.

٩- احذرى الغَضب وكل ما ينتج عنه.. وإذا غضبت فاستعيذى بالله من الشيطان الرجيم.

١٠- استعملى السواك فهو مفيد جدًا، وخاصة عند الصلاة.

١١- إلزمى الصمت، ولا تكثرى من الكلام فهو مسجل عليك.

١٢- اصبرى على أذى الناس وسامحيهم، حتى يسامحك الله.

١٣- تمسكى بسنة الحبيب المصطفى حتى تدخلى فى قوله ﷺ: «إنَّ من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم» قالوا: يا نبى الله، أو منهم؟. قال: «بل منكم»[١].

• موقف بريرة وطاعة رسول الله ﷺ •

أختى المسلمة..

يقص هذا الموقف الإيمانى عليك البخارى -رحمه الله- من حديث عائشة رضي الله عنها أنها أرادت أن تشترى أمة تسمى «بريرة» فأبى مواليها إلا أن يشترطوا الولاء، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال: «واشتريها وأعتقيها فإن الولاء لمن أعتق»[٢].

فاشترتها عائشة رضي الله عنها وكان لها زوج عبداً فخيرت من زوجها - لأنه صار من حقها أن تختار - الفراق أو البقاء تحت زوجها الذى هو دونها فى الحرية.. لكنها اختارت الفراق والطلاق، وكان زوجها مغيث يحبها حبًا شديداً، وكان يمشى وراءها فى سكك المدينة يبكى، فلما رآه رسول الله ﷺ على هذه الحال، قال لعمه العباس: «ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغض بريرة مغيثًا».

ثم قال لها: «يا بريرة لو راجعته».

قالت: يا رسول الله، أتأمر؟.

قال: «إنما أنا أشفع»[٣].

فتأملى رحمك الله هذا السؤال: أتأمر أم تشفع.. أتأمر يا رسول الله فلا يحق

(١) ذكره ابن نصر فى السنة وصححه الألبانى بشواهده.

(٢) رواه البخارى برقم (٥٢٨٤).

(٣) رواه البخارى برقم (٥٢٨٣).

لى أن أخـالف أمرك؟ أم تشـفع فأرى رأيى، فلمـا قال لهـا المصطفى ﷺ: «**إنما أنا شافع**» قالت: لا حاجة لى فيه.

يا سبحان الله!.. أمـة تفهم أن هناك فرقًا بين الشفاعـة والأمر.. أمة تعلم أن الأمر لا يسعها فيه إلا أن تأتمر بأمر رسول الله دون إبطاء أو تسويف حتى لو كان هذا ضد رغبات النفس.

أمة تـفهم هذا.. فـأين صاحـبات الشهـادات العلمـية؟ أين داعـيات التـحرر والمدنية؟!.

• وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم •

أختى المسلمة..

عندما أراد حبيـبنا محمد ﷺ أن يزيل الحواجز بين الفقـراء والأغنياء.. عندما أراد أن يحطم الفوارق بين طبقات الناس، ذهب إلى ابنة عمه زينب يخطبها لمولاه زيد ابن حارثة، فلما ذكره لها قالت: ما أنا بناكحته.

وإذا بالوحي ينزل: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦] فقـرأها رسول الله على زينب فـقالت: يا رسـول الله، أترضاه لى زوجًـا؟ قال: «**نعم**».

قالت: إذن لا أعصى الله ورسوله، رضيت بما رضى به رسول الله.

وتزوجته بعـدما رفضت أولاً الزواج منه.. لأن الأمر كـان فى بادىء الأمر لم يزد على كونه شفاعة، فلما نزل الوحى وصار الأمر طاعة أو معصية.

قالت: أترضاه لى؟ قال: «نعم».. فقالت: إذن لا أعصى الله ورسوله.

• موقف امرأة من الأنصار خطبها رسول الله ﷺ لجليبيب رضى الله عنه •

فعن أبى برزة الأسلمى: «أن جليبيبًا كان امرأً من الأنصار، وكان من أصحاب النبى ﷺ، وكان لأحـد أيم - فتـاة- لم يزوجها حـتى يُعلم النبى ﷺ هل له فيـها حاجة أم لا؟.

فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: «**يا فلان زوجنى ابنتك**».

قال الرجل: نعم ونعمة عين، فقال ﷺ: «**إنى لست أريدها لنفسى**».

قال: لمن؟ قال: «لجليبيب» قال: يا رسول الله، حتى استأمر أمها.

فأتاها فقال: إنَّ رسول الله يخطب ابنتك. قالت: نعم، ونعمة عين زوج زوِّج رسول الله، قال: إنه ليس لنفسه يريدها.

قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب.

قالت: أجليبيب؟ لا لعمر الله، لا أزوج جليبيبًا.

فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ، قامت الفتاة من خدرها قائلة لأبويها: من خطبنى إليكما؟ قالا: رسول الله ﷺ.

قالت: أفتردون على رسول الله أمره؟ ادفعونى إلى رسول الله، فإنه لن يضيعنى.

فذهب أبوها إلى النبى ﷺ، فقال: شأنك بها فزوجها جليبيبًا.

قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة: أتدرى ما دعا لها به النبى ﷺ؟.

قال: وما دعا لها به النبى ﷺ؟.

قال: «**اللهم صب عليها الخير صبًا، ولا تجعل عيشها كدًا كدًا**»(١).

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله ﷺ - فى مغزى له - أى غزوة - قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا.

ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نفقد فلانًا وفلانًا.. ثم سأل السؤال مرة أخرى، فقالوا: لا. قال: «**ولكنى أفقد جليبيبًا فاطلبوه فى القتلى**».

فنظروا فوجدوه فى القتلى -بجانبه سبعة قد قتلهم ثم قتلوه-

فقال رسول الله ﷺ: «**هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا منى وأنا منه**»(٢).

فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، ثم حفروا له، ما له سرير إلا ساعدى رسول الله ﷺ حتى وضعه فى قبره.

قال ثابت: فما فى الأنصار أيم أنفق منها؟.

وفى رواية للبزار: «فكأنما حلت عن أبويها عقالاً».

وهذا كله أختى المسلمة من ثمرات السمع والطاعة.

---

(١) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ١/ ٣٣٤ ط/ دار المعرفة بيروت، وقال: «جُلَيبيب» بضم الجيم على وزن قُنيديل وهو أنصارى، والحديث رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح.

(٢) رواه أبو داود والطيالسى فى مسنده حديث (٩٢٤)، وابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ٢٧١؛ وابن الأثير فى أسد الغابة، والهيثمى فى المجمع ورجال أحمد رجال الصحيح.

• أتعطين زكاة هذا؟ •

أختي المسلمة..

وهذا مثال آخر في الحب والطاعة وإيثار أمر رسول الله على الشهوات والملذات فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

إنَّ امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان - أي سوارين - غليظتان من ذهب.

فقال ﷺ: «**أتعطين زكاة هذا**»؟

قالت: لا.

قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار**»؟

قال: فخلعتهما فألقتهما إلى رسول الله ﷺ.

وقالت: هما لله عز وجل ولرسوله[1].

يا سبحان الله.. أما كان يكفي هذه أن تدفع زكاة السوارين فقط دون أن تتنازل عنهما؟ لكن.. إنه الإيمان.. إنها الطاعة لله ولرسوله في أعلى معانيها فالمرأة لم تقتصر على امتثال أمره ﷺ بدفع زكاة السوارين بل تنازلت عنهما، وقدمتهما إلى رسول الله ﷺ صدقة لله عز وجل.

• يرحم الله نساء الأنصار •

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المؤمنات الأول، لما أنزل الله قوله تعالى: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١] قمن إلى مرطهن فشققنها ثم اختمرن بها[2].

وفي رواية:

لقد أنزلت سورة النور ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، فأصبحن يصلين الصبح معتجرات - أي متلفلفات بالثوب على رءوسهن - كأن رءوسهن الغربان. فأي نساء كنَّ هؤلاء؟.

إنه السمع والطاعة.. لقد بادرن إلى تنفيذ الأوامر والعمل بما جاء عن الله جل وعلا، دون تكاسل أو تغافل.. أو تسويف.

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (١٣٨٢) حسن.

(٢) رواه البخاري وأبو داود في اللباس.

• اقتدين بهؤلاء المؤمنات •

عن أبى أسعد الأنصارى أنه رأى رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لَكُنَّ أن تحققن الطريق، عليكن مجافات الطريق**» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليتعلق بالجداد من لصوقها به»[١].

سبحان الله.

ما أن قال لهن رسول الله ذلك حتى بادرن إلى التنفيذ والطاعة لأوامر سيد الأنام ﷺ.

أختى المسلمة..

اتقى الله تعالى وأطيعى الله ورسوله لتصلى إلى دار لا يموت من دخلها..

قالت عكرشة بنت الأطش -رحمها الله-:

«إنَّ الجنة دار لا يرحل عنها من قطنها، ولا يحزن من سكنها، ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم عمومها»[٢] دار الخلد..

ورحم الله الإمام ابن القيم حين وصفها فى كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح» فقال: إن سألت عن أشجارها، فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة.

وإن سألت عن ثمرها، فألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وإن سألت عن أنهارها، فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من عسل، وأنهار من خمر لذة للشاربين.

وإن سألت عن طعامهم، ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون.

وإن سألت عن شرابهم، فالتسنيم والزنجبيل، والكافور.

وإن سألت عن آنيتهم، فالذهب والفضة.

وإن سألت عن ظلها، ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع فى ظلها مائة عام ما يقطعها.

وإن سألت عن سعتها، فأدنى أهلها يسير فى ملكه، وقصوره سيرة ألفى عام.

---

(١) رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم ٥٢٧٢، والسلسلة الصحيحة برقم ٨٥٦، ومشكاة المصابيح برقم ٤٧٢٧.

(٢) بلاغات النساء ص٧٤، وتاريخ ابن عساكر ص ٢٥٤ تراجم النساء.

وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة واحدة طولها ستون ميلاً من تلك الخيمة.

وإن سألت عن ارتفاعها، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب.

وإن سألت عن فرشها، فبطائنها من استبرق، مفروشة فى أعلى الرتب.

وإن سألت عن أرائكها، فهى الأسرة، فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها، وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سألت عن سنهم، فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر.

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن حليهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب، اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشراب.

فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، يرى وجهه فى صحن خدها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستر جلدها، ولا عظمها، ولا حللها.

ولو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً، وتكبيراً وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولا غمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم.

مبرأة من الحمل والولادة، والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط، وسائر الأدناس.

لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصر طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه.

إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو فى غاية الأمانى والأمان.

هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً[١].

أختى المسلمة..

وهيهات هيهات أن تصلى إلى هذا النعيم المقيم فى دار السعادة والهناء إلا بحب سيد الأنبياء، لن تنالى هذه المنزلة إلا إذا أجبت الداعى..

فعن جابر رضي الله عنه يقول: جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً. قال: فاضربوا له مثلاً.

فقالوا: «مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها.. فقالوا: الدار الجنة، والداعى محمد ﷺ فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله..»[٢].

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية.

(٢) رواه البخارى (٧٢٨١) فى الاعتصام بالكتاب والسنة.

الباب رقم (٣)

مواقف إيمانية

في

الحرص على العلم

جواز عرض الرجل ابنته على الرجل الصالح

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى
من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامى على صفحاتها
أحلى من الدوكاء[١] والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها
نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
وتمايلى طربًا لحل عويصة
فى الدرس أشهى من مدامة[٢] ساق
أأبيت سهران الدجى[٣] وتبيته
نومًا وتبغى بعد ذاك لحاقى

الإمام الشافعى

(١) الدوكاء: هو الحجر الذى يسحق به الطيب، والمراد به هنا مقام من المقامات الغنائية العراقية.

(٢) مدامة ساق: أى كأس الخمر.

(٣) الدجى: الليل.

■ موقف ابنة سعيد بن المسيب من زوجها صبيحة زواجها ■

لما أن دخل بها زوجهـا - وكان من أحد طلبة العلم عند والدهـا - فلما أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته:

إلى أين تريد؟

فقال زوجها: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم.

فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد.

هذا موقف إيمانى عظيم فى تـعلم المرأة أمور دينها، وتعليـمها لغيـرها.. وقد خاطب الله تعالى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فقال: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقد قال النبى ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»(١).

لكن كيف تم زواج ابنة سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى-؟.

■ قصة زواج سعيد بن المسيب ابنته لأبى وداعة تلميذه ■

جاء فى ترجمته فى سير أعلام النبلاء:

أنَّ عـبد الله بن مـروان خطب ابنته لولـده الوليد حين ولاه العـهد، فـأبى أن يزوجها قـال أبو وداعة: كنت أجالس سعيـد بن المسيب، ففقدنى أيامًـا، فلما جئت قال: أين كنت؟.

قلت: توفيت زوجتى، فاشتغلت بها.

قال: فهلا أخبرتنا فشهدناها؟.

قال: فأردت أن أقوم، فقال: هل أحدثت امرأة غيرها؟.

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجنى، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟.

فقال: إن أنا فعلت تفعل؟.

قلت: نعم، فحمـد الله تعالى، وصلى على النبى ﷺ وزوجنى على درهمين أو على ثلاثة.

قال: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، وصرت إلى منزلى، وجعلت أفكر

---

(١) رواه ابن ماجه وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٣٩١٣.

ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب، وكنت صائمًا، فقدمت عشائى لأفطر وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يُقرع، فقلت: من هذا؟.

فقال: سعيد.

قال: ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب وظننت أنه بدا له.

فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلىَّ فأتيتك؟

قال: لا، أنت أحق أن تزار.

قلت: فما تأمرنى.

قال: رأيتك رجلاً عزبًا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك.

فإذا هى قائمة خلفه فى طوله، ثم دفعها فى الباب وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، وناديت الجيران، فجاءونى، فقالوا: ما شأنك؟.

قلت: زوجنى سعيد بن المسيب ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هى فى الدار فنزلوا إليها، وبلغ أمى، فجاءت، فقالت: وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام.

فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرًا لا يأتينى ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر، وهو فى حلقته، فسلمت عليه، فردَّ علىَّ، ولم يكلمنى، حتى انفض من فى المسجد، فلما لم يبق غيرى، قال: ما حال ذلك الإنسان؟.

قلت: على ما يحب الصديق، ويكره العدو(١).

دروس وعبر

أختى المسلمة..

من هذه القصة الطيبة، ومن هذا الموقف الإيمانى الخالد نتعلم سويًا دروسًا وعبر.. منها:

(١) سير أعلام النبلاء (٥/٢١٧، ٢١٨) ط/ التوفيقية، وحلية الأولياء (٢/١٦٧).

•الدرس الأول•

•الحرص على تعلم العلم•

وهذا الحرص من الجانبين: ١- من جانب الزوج.

٢- من جانب الزوجة.

أولاً: من جانب الزوج:

فقد حرص عبد الله بن أبي وداعة -رحمه الله- صبيحة زواجه - على العلم وتعلمه مما جعله يهم أن يخرج إلى أستاذه سعيد بن المسيب، لكن زوجته كانت قد بلغت مبلغًا عظيمًا في العلم وتحصيله..

وقد أخذ بن أبي وداعة ذلك من حرص السلف الصالح - رضوان الله عليهم - على تحصيل العلم النافع، فلله در الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقد كان يقول:

«أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر» ومن قبله كان الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فقد قال حين حضرته الوفاة:

«اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكرى الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء فيها لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»(١).

وهذا هو «عبد الله بن مسعود رضي الله عنه» يقول عن نفسه:

«والذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت، وفيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل، لركبت إليه(٢).

وهذا هو سعيد بن المسيب -رحمه الله- يقول:

«إني كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد».

وعن المغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: اختلف أهل الكوفة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] فرحلت فيها إلى ابن عباس رضي الله عنهما فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية في آخر ما نزل، ما نسخها شيء.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢١٧ ط/ دار الفكر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ثانياً: طلب العلم من جانب الزوجة:

وقد ظهر لك أختي المسلمة قول ابن أبي وداعة عن زوجته: «فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج».

وقد ذكر البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» أمثلة كثيرة من النساء العربيات المسلمات اللاتي تعلمن الكتابة والقراءة والنحو وروين الحديث، وكن يعلمن غيرهن:

فالحافظ بن عساكر يروي الحديث عن أكثر من ثمانين امرأة.

وروي أنَّ «الشفاء العدوية» من قبيلة بني عدي -رهط عمر بن الخطاب- طلب إليها النبي ﷺ أن تعلم زوجته أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵄ تحسين الخط، وتزيين الكتابة.

ويروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة حضها على العلم وتفضيله على كل ما سواه فتقول: «لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما أصبت لنفسي شيئًا أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم»(١).

وها هي «أم سفيان الثوري» رحمها الله - أم العالم الجليل سفيان الثوري ترشده وتنصحه وتوصيه فتقول:

«يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي هذا».

«يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك، فإن لم يزدك، فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك»(٢).

وهذه هي «ابنة الإمام مالك»:

فقد كان الإمام مالك يُقرأ عليه الموطأ، فإن لحن القارئ في حرف، أو زاد، أو نقص، تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ: «ارجع فالغلط معك» وكذلك كانت «جارية الإمام مالك»:

فقد حكى عن أشهب، أنه كان في المدينة، وأنه قد اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز، فأتنا نعطك الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز، فقال لها: ولم؟.

فقالت: لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد، فسأل عن الجارية، فقيل له: إنها «جارية الإمام مالك بن أنس»(٣).

(١) صفة الصفوة ٤/٢٠٧ لابن الجوزي.

(٢) المرجع السابق ٣/٩٧.

(٣) المدخل لابن الحاج ١/٢٠٩ ط/ التوفيقية.

وكانت «امرأة الحافظ الهيثمى» صاحب «مجمع الزوائد» وغيرها من مصنفات الحديث هى بنت شيخه الحافظ العراقى - وكانت تساعده فى مراجعة كتب الحديث.

ولقد كان الإمام ابن القيم -رحمه الله- من تلاميذ «فاطمة بنت جوهر».

فلو كانت النساء كما ذكرنا … لفضلتَ النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب … وما التذكير فخر للهلال

لكن أختى المسلمة..

ينبغى أن تعرفين أن المرأة حازت تلك المكانة العلمية الرفيعة ضمن ضوابط شرعية محددة، تهيىء لها المناخ الصالح الذى تأمن فيه الاختلاط بالرجال، وحضور مجالسهم فكانت تؤدى وظيفة العلم من وراء حجاب.

• ما يجب أن تتعلمه المرأة •

أختى المسلمة..

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام -أن: يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم حيث قال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢].

يقول الإمام محمد عبده -رحمه الله-:

«إنَّ ما يجب على المرأة أن تتعلمه من عقائد دينها وآدابه وعبادته محدود، ولكن ما يطلب منها أن تتعلمه لنظام بيتها، وتربية أولادها، ونحو ذلك من أمور الدنيا -كأحكام المعاملات- يجب أن لا يكون محدوداً.

أى الأمرين أفضل فى نظر الإسلام؟.

أتمريض المرأة لزوجها، إذا هو مرض، أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع عليه وتكشف من أحواله ما لا يحب هو أو دينه أن تراه؟.

وهل يتيسر للمرأة إذا كانت جاهلة بفنون الطب والتمريض أن تمرض زوجها، أو تقوم بتربية أبنائها تربية تحفظ عليهم صحتهم وعقولهم».

وقد أوضح العلماء أن ما تتعلمه المرأة نوعان:

١- فرض عين: وهو الذى تتعلم به أسس وقواعد العبادات والعقائد والسلوك الإسلامى العام، وأسس تربية الأولاد، وتدبير المنزل.

٢- فرض كفاية: وهو نوع التعليم الذى تحتاج إليه الأمة من طبيبات لأمراض

النساء والأطفال، وحكيمات وممرضات، ومدرسات لتعليم البنات.. إلى غير ذلك فينبغي على المرأة أن تتجه بثقافتها وتعليمها إلى ما يخدم وظيفتها الطبيعية، وهي: رعاية البيت، ورعاية الأولاد دينيًا وثقافيًا، واجتماعيًا وعلميًا، وغذائيًا وصحيًا. فالوظيفة الطبيعية للمرأة في البيت هي تربية الأجيال، وتربية الأبناء والبنات على الخلق القويم، ليكون البيت المسلم صورة مشرفة يفخر بها كل إنسان.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهّده الحيا بالرِّيِّ أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق

• حث الإسلام على العلم •

أختي المسلمة..

ويكفي العلم شرفًا وفخرًا أن الله تعالى استشهد بأولي العلم على أجل مشهود عليه، وهو توحيده، فقال: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ [آل عمران: ١٨] ولقد نفى مولانا التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم، كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة والنار، فقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩] كما قال: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾ [الحشر: ٢٠] وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم وقد أخبرنا عالم الغيب والشهادة برفعه لدرجة العلماء، فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١] والآيات في هذا كثيرة.. وحثنا رسولنا الأعظم ﷺ على العلم والتعلم فقال:

«**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير**»[(١)].

وروى عنه أبو الدرداء رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة**

(١) رواه الترمذي عن أبي أمامة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٢١٣).

الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

فلمرأة المسلمة الناجحة فى الحياة يجب أن تتمتع بثقافة إسلامية عالية، كما يجب أن تشغل فكرها بثقافات عامة فى جميع مجالات الحياة حتى تستطيع أن تدبر أمور بيتها، وترعى زوجها وأولادها.

وقد سعت المرأة المسلمة إلى العلم منذ بداية عصر النبوة.. فقد روى أن النساء كنَّ يحتشدن لسماع النبى ﷺ ويحضرن الصلاة الجامعة معه من أجل التعليم.

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال:

قالت النساء للنبى ﷺ: «**غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك نأتك فيه تعلمنا مما علمك الله**».

فقال لهن رسول الله ﷺ: «**اجتمعن يوم كذا وكذا فى موضع كذا**» فاجتمعن فأتاهن النبى ﷺ فوعظهن وأمرهن وعلمهن مما علمه الله[٢].

وفى حديث البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين**»[٣].

• الدرس الثانى •

• عرض الرجل ابنته على الرجل الصالح •

أختى المسلمة..

ومن الدروس المستفادة من قصة زواج ابنة سعيد بن المسيب لأحد طلابه درس عظيم، ألا وهو: «**جواز عرض البنات والأخوات المؤمنات على أهل الصلاح والتقوى**».

ففى القرآن الكريم على لسان شعيب عليه السلام أنه قال لموسى عليه السلام: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [القصص: ٢٧].

قال القرطبى: فى هذه الآية عرض الولى بنته على الرجل، وهذه سنة قائمة، عرض صالح مدين «يعنى شعيبًا» ابنته على صالح بنى اسرائيل «يعنى موسى».

---

(١) رواه الترمذى (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد فى مسنده (٢١٢٠٨)، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٣٦٤١).

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى.

وعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما[١] فكيف كان ذلك كذلك؟.

يحدثنا عمر فيقول: تأيمت حفصة من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فلقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة.

فقال: سأنظر في ذلك، فلبث ليالي، فلقيني، فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا.. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر.

فقال: لعلك وجدت علي -أي غضبت- حين عرضت عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئًا.. قال: قلت: نعم.

قال: فإنه لم يمنعني أن أرع إليك شيئًا حين عرضتها عليَّ إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها لنفسه، ولم أكن لأفشي سر رسول الله، ولو تركها لنكحتها[٢].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال:

«يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»[٣].

ففيه دلالة واضحة على أن عرض الرجل ابنته على من رأى صلاحه وتقواه.. فهكذا كانت السنة الحميدة في أمر النكاح، ومع ذلك أصبحت في عصرنا هذا سنة مستغربة.

• أم حبيبة تعرض أختها:

فعن أم حبيبة -زوج النبي ﷺ- قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان.

فقال ﷺ: **«أتُحبين ذلك؟»**.

---

(١) تفسير القرطبي ١٣/ ٢٧١.

(٢) رواه البخاري في النكاح باب: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير برقم (٥١٢٢).

(٣) رواه البخاري وابن سعد في الطبقات ٨/ ٨٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء والنسائي ٦/ ٨٣ برقم (٣٢٤٨)، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٦ ط/ التوفيقية.

فقالت: نعم، لست بمخلية -أى غير خالية من ضرة- وأحب من شاركنى فى خير أختى.

فقال النبى ﷺ: «**أن ذلك لا يحل لى**».

قلت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة.

قال: «**بنت أم سلمة**» قلت: نعم..

قال: «**لو أنها لم تكن ربيبتى فى حجرى، ما حلت لى، إنها لابنة أخى من الرضاعة، أرضعتنى وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علىّ بناتكن، ولا أخواتكن**»(١).

• أم تعرض ابنتها:

عن أنس رضي الله عنه أنّ امرأة أتت النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ابنة لى كذا وكذا.. فذكرت من حسنها وجمالها، فآثرتك بها، قال: «**وقد قبلتها**» فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع، ولم تشتك شيئًا قط، فقال: «**لا حاجة لى فى ابنتك**»(٢).

• أعرابى يعرض ابنته:

عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت رديف رسول الله ﷺ وأعرابى معه امرأة حسناء، فجعل الأعرابى يعرضها على رسول الله ﷺ رجاء أن يتزوجها، قال الفضل: فجعلت التفت إليها، وجعل رسول الله ﷺ يأخذ برأسى، فيلويه»(٣).

---

(١) رواه البخارى (٥١٠١) ومسلم (١٤٤٩).

(٢) رواه أحمد فى مسنده (١٢٥١٨)، وحسنه حمزة الزين ١٠/ ٥٠٢، ورواه أبو يعلى (٤٢٣٤) وقال الهيثمى: رجال أبى يعلى ثقات.

(٣) رواه أحمد بنحوه (١٨٢٨) بإسناد صحيح ٢/ ٤١٤، وذكره ابن حجر فى الفتح ٤/ ٦٨ وقال: إسناده قوى.

الباب رقم (٤)

مواقف إيمانية في الدعوة إلى اللّه عزوجل

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

فصلت: ٣٣

وقال ﷺ: «من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» .

رواه مسلم

■ سقاية من السماء ودخول في الإسلام ●

أختى المسلمة..

فى هذه المرة يحدثنا الصحابى الجليل ابن عباس ﷺ عن موقفٌ إيمانى عظيم، لصحابية جليلة، بل وداعية من أعظم الداعيات إلى الله تعالى.. داعية سرعان ما تخرجت من جامعة الإيمان الكبرى على يد عميدها محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.

إنها «**أم شريك الدوسية**» ﷺ ولقد كان صدق إيمانها سببًا فى إسلام عدد كبير من المشركين.. يقول ابن عباس:

«وقع فى قلب أم شريك الإسلام، وهى بمكة، وهى إحدى نساء قريش، وكانت تحت أبى العكر الدوسى، فأسلمت.. ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا فتدعوهن وترغبهن فى الإسلام.. حتى ظهر أمرها لأهل مكة[1].

فماذا حدث؟

لقد أخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا.. ولكن سنردك إليهم».

قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى موطأ ولا غيره.. ثم تركونى ثلاثًا ولم يطعمونى، ولم يسقونى، ونزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا، أوقفونى فى الشمس واستظلوا وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك، إذا بأثر شىء بارد وقع علىَّ منه ثم عاد، فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً ثم رفع منى، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً، ثم رفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مراراً حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: «انحللت فأخذت سقاءنا، فشربت منه»؟ فقلت: «لا والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا..» فقالوا: «لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا» فنظروا إلى أسقيتهم فوجدوها كما تركوها، فأسلموا جميعًا لساعتهم[2].

---

(١) أسد الغابة ٥/ ٤٦١ لابن الأثير وذكره ابن منده.

(٢) الإصابة ٨/ ٣٤٨ لابن حجر وحلية الأولياء ٢/ ٦٦ لأبى نعيم.

أختي المسلمة..

إنّ هذا موقفًا إيمانيًا عظيمًا تجلى من تلك الصحابية الكريمة.. لقد أدركت أن عليها واجبًا، فقامت تؤدي واجبها في سبيل إعلاء كلمة الله، ونصرة دينه.

فاتجهت إلى بنات جنسها تنشر بينهن تعاليم الإسلام السمحة.. وتحبب إليهن الإيمان والعمل الصالح.. فلقيت هذا الإيذاء الشديد من قومها حين علموا بذلك.. لكن الله نصرها وأيدها.. ثم عوضها عن ذلك، وقد نجحت مهمتها فأسلم على يديها الكثير منهم.. رجالاً ونساءً.

• الحث على الدعوة إلى الله تعالى •

أختي المسلمة..

لقد حث القرآن الكريم في آياته المباركة إلى الدعوة إلى الله، فقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال جل شأنه: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤] والدعوة إلى الله تعالى تعاون على البر والتقوى، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢].

وحث على ذلك سيد الدعاة ﷺ فقال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»(١).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى خير فله مثل أجر فاعله**»(٢).

والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو الفارق بين أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات، وبين المنافقين والمنافقات، كما قال مولانا في كتابه الحكيم: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ**

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)، وأحمد في مسنده (٩١٣٣)، والألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٣٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٩٣)، وأحمد بلفظ: (من دل) (٢٢٥٢١)، والألباني في صحيح الجامع (٦٢٣٩).

الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

قال القرطبي: «جعل الله الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام»(١).

أختى المسلمة..

• ينبغى أن يكون العمل كله لله •

قال ابن الجوزى -رحمه الله-:

ينبغى أن يكون العمل كله لله، ومعه، ومن أجله..

وقد كفاك كل مخلوق، وجلب لك كل خير.. وإياك أن تميل عنه بموافقة هوى، وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال، ويفوتك المقصود.

قال ﷺ: **«من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»**(٢).

وأطيب العيش عيش من يعيش مع الخالق سبحانه.

فإن قيل: كيف يعيش معه؟

قلت: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، ومراعاة حدوده، والرضى بقضائه، وحسن الأدب فى الخلوة، وكثرة ذكره، وسلامة القلب من الاعتراض على أقداره.. فإن احتجت سألته، فإن أعطى، وإلا رضيت بالمنع، وعلمت أنه لم يمنع بخلاً، وإنما نظراً لك.

ولا تنقطع عن السؤال، لإنك تتعبد به، ومتى دمت على ذلك رزقك محبته، وصدق التوكل عليه، فصارت المحبة تدلك على المقصود، وأثمرت لك محبته إياك فحيئذ تعيش عيشة الصديقين(٣).

• أمور ينبغى مراعاتها فى الدعوة إلى الله •

أختى المسلمة..

هناك عدة أمور ينبغى لمن يدعو إلى الله تعالى أن يراعيها وأهمها:

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) رواه الترمذى وأبو نعيم فى الحلية عن عائشة ٨/ ١٨٨، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٠١٠).

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزى.

١- أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- الوعظ بطريق الترغيب والترهيب.

٣- إقامة الدليل والحجة بالحوار الموصل إلى المطلوب.

٤- أن يكون الداعى أو الداعية قدوة حسنة للآخرين.

٥- الاهتمام بالروح، وتزكية النفس، بأعمال الخير والبر.

٦- النظر لأهل المعاصي بعين الرحمة والشفقة، وأن تتذكرى قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ٩٤].

٧- أن يظهر الداعى أو الداعية إلى الله تعالى بمظهر إسلامى رفيع، وأخلاق طيبة.

٨- الصدق والإخلاص فى القول والعمل، قال قتادة فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] قال: هذا عبدق صدق قوله، وعمله، ومولجه، ومخرجه، وسره، وعلانيته، ومشهده، ومغيبه»[١] ولما تلا هذه الآية الحسن البصرى قال:

«هذا حبيب الله، هذا ولى الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله فى دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا فى إجابته، وقال: اننى من المسلمين، هذا خليفة الله»[٢].

٩- الدعاء للعصاة بالهداية، والتلطف فى الحوار معهم، لحديث أبى أمامة ﷺ أن غلامًا شابًّا، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لى فى الزنا!.

فصاح الناس به، فقال النبى ﷺ «مه، أدنوه» فدنا حتى جلس بين يدى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله:

«أتحبه لأمك؟» قال: لا.

قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟» قال: لا.

قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟» قال: لا.

قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، أتحبه لعمتك؟» قال: لا.

قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لعماتهم، أتحبه لخالتك؟» قال: لا.

(١) الدر المنثور للسيوطى ٧/ ٣٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير.

قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم».

فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم كفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»(١) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

ففي الحديث بيان للمنهج التربوي النبوي في معالجة القضايا الأخلاقية.

• داعيات إلى الله تعالى ▪

١- جعلت مهرها شهادة التوحيد:

أتدري أختي من هي التي كان مهرها هو الإسلام، هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله؟.

إنها «أم سليم» أم أنس بن مالك رضي الله عنهما حيث تقدم لها «أبو طلحة» وعرض عليها الزواج، كما عرض عليها مهراً غاليًا، إلا أنها رفضت قائلة: «إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها عبد آل فلان. وأنكم لو اشعلتم فيها ناراً لاحترقت»(٢).

فشعر أبو طلحة بضيق شديد، وانصرف، وهو لا يكاد يُصدق، ولكن حبه الصادق جعله يعود فى اليوم التالى، ليعرض عليها مهرًا أكبر.. لكن أم سليم الداعية اللبيبة الذكية، كانت قلعة الإسلام فى قلبها أقوى، فقالت بأدب جم: «ما مثلك يُرد يا أبا طلحة، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا تصلح لى أن أتزوج»، فقال: ما ذاك دهرك. قالت: «وما دهرى»؟ قال: الصفراء والبيضاء - أى الذهب والفضة - قالت: «فإنى لا أريد صفراء، ولا بيضاء، أريد منك الإسلام».

قال: فمن لى بذلك؟

قالت: «لك بذلك رسول الله ﷺ» فانطلق يريد النبى، وهو جالس فى أصحابه، فلما رآه قال: «جاءكم أبو طلحة غرة الإسلام فى عينيه» فلما جاء إلى النبى ﷺ، أخبره بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

---

(١) رواه أحمد (٢٢١١٢) بإسناد صحيح وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٢٩: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح وقال العراقى فى تخريج الإحياء ٢/ ٣٢٩: رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

(٢) الطبقات لابن سعد ٨/ ٣١٢ وحلية الأولياء لأبى نعيم ٢/ ٥٩ بإسناد صحيح، وسير أعلام النبلاء للذهبى ٣/ ٥٣٤ وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٨١٩): إسناده صحيح.

وفى رواية أخرى، أنها قالت:

«والله ما مثلك يا أبـا طلحة يُرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امـرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تسلم، فذاك مهرى، ولا أسألك غيره».

قال ثابت - راوى الحديث عن أنس: (فما سمـعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سليم، كان مهرها الإسلام)[1].

أختى المسلمة..

هذا موقف إيمانى عظيم لأعظم داعية فى الإسلام.

٢- امرأة كانت سببًا فى دخول فاروق الإسلام فى دين الله:

أتعرفين من هى؟

إنها: «**فاطمـة بنت الخطاب**» أخت فاروق الإسـلام عمر بـن الخطاب.. لقد كانت هى الشرارة الأولى التى أوقدت الإيمان فى جنانه.

لقد آمنت بالله، فكـانت مع أولئك الركب المؤمن، والثلة المباركـة من السابقين الأولين للإسلام.

واجتـمعت مع زوجهـا الصحـابى الجليل «سعيـد بن زيد» ﷺ أحد العـشرة المبشرين بالجنة على كلمة «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله».

وها هو فاروق الإسلام يحـدثنا عن إسلامه حين سأله ابن عبـاس ﷺ فقال: «خرجت بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام، فإذا نـعيم بن عبد الله الشمام - وكان قد أسلم ويكتم إسلامه - فقلت له: تركت دينك ودين آبائك، واتبعت دين محمد؟.

قال: إن فعلت، فقد فعله من هو أعظم عليك حقًّا منى؟.

فقلت: ومن هو؟.

قال نعيم: أختك فاطمة، وختنك - أى زوج أختك.

قال: فـانطلقت، فوجـدت الباب مغلقًـا، وسمـعت همهمـة، ففـتح الباب، فدخلت.

فقلت: مـا هذا الذى أسمع؟ قالت: مـا سمعت شيئًا.. فـمازال الكلام بيننا حتى أخـذت برأس ختنى «سعيـد بن زيد» وجعلت أضربه حـتى أدميته، فـأمسكت فاطمة برأسى تدفعنى، وتقول: قد كان ذلك على رغم أنفك.

---

(١) رواه النسائى ٥/ ١١٤ وصـححه الألبـانى فى صحيـح سنن النسائى (٣١٣٣) والحلية ٢/ ٦٠ وسـير أعلام النبلاء.

قال: فاستحييت حين رأيت الدم، وقلت: أرونى هذا الكتاب.. لكنها أخفت الكتاب وراء ظهرها، وقالت: أخشاك عليه.. فحلفت لأردنها إذا قرأتها فقالت فاطمة: يا أخى، أما إنك نجس، وهذه لا يمسها إلا طاهر، فقم فاغتسل، فقمت، واغتسلت وأمسكت بالصحيفة، وكان فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١: ٣] فقال عمر: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.. دلونى على محمد[1].. وأسلم عمر بن الخطاب.

▪ جاء ليسرقها فدعته إلى الله ▪

وقد روى أن لصًّا دخل على «رابعة العدوية» ليلاً ليسرقها، لكنه لم يجد عندها ما يطلبه، فانصرف، وكانت رابعة آنذاك تصلى بين يدى الله تعالى، فلما أحست به قطعت صلاتها، وأقبلت عليه، وقالت له تعظه وتدعوه إلى الله:

يا هذا، إنك جئت تطلب الدنيا فلم تجدها، فهل لك فى الآخرة؟!.

فقال لها: وما ذاك؟.

فقالت له: تأخذ هذا الإبريق وتتوضأ، وتدخل هذا المكان وتصلى فيه ركعتين لله، فلعلك لا تنصرف حتى يمنحك الله فضله وهداه.. فقبل اللص نصحها وسمع وعظها وتوضأ وصلى، فلما سجد أطال السجود، فدنت منه رابعة، فإذا هو يبكى ويناجى ربه، ويسأله التوبة والغفران، وسمعته بعد ذلك يقول:

إذا ما قال لى ربى ... أما استحييت تعصينى
أتخفى الذنب عن خلقى ... وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما ... يعاتبنى ويقصينى

فلما سمعته يقول ذلك بكت، ورفعت وجهها إلى السماء، وقالت: «إلهى.. هذا عاصى وقف ببابك ساعة، فقبلته، وأنا منذ عرفتك، وأنا واقفة على بابك أصلى، أتراك قبلتنى»؟.

فسمعت من يهتف بها، ويقول لها: «يا رابعة، من أجلك أكرمناه، وبدعوتك قبلناه وبصلاتك وصلاته غفر له».

أختى المسلمة..

إنه موقف إيمانى عظيم.. فقد جاء اللص ليسرق متاعها، فلم يجد، فدعته إلى الله تعالى بأسلوب لطيف مهذب، فاستجاب لها، فتاب الله عليه.

---

(١) أسد الغابة ٥/ ٣٦٤ وأبو نعيم فى دلائل النبوة (١٦٧) وابن عساكر فى مختصر تاريخ دمشق.

الباب رقم (٥)

مواقف إيمانية في «الثبات على الدين»

قال ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر».

صحيح الجامع للألباني (٢٠٠٢/٨)

• إيمان أثبت من الجبال الراسيات •

أختى المسلمة..

يروى لنا هذا الموقف الإيمانى الخالد على مر العصور، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:

«لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها، أتت علىَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟».

فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها. قال: **«قلت: وما شأنها»**؟

قال: بينما هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى - وهى آلة تمشط بها الشعر - من يدها، فقالت: بسم الله.

فقالت لها ابنة فرعون: أبى؟ قالت: لا، ولكن ربى، ورب أبيك الله.

قالت أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًّا غيرى؟ قالت: نعم، ربى وربك الله.. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها.

فقالت: إنَّ لى إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟.

قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا.

قال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها، فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله.

قال: يا أمى، اقتحمى، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت[1].

أختى المسلمة..

هذا موقف إيمانى عظيم.. ظهر منه رسوخ العقيدة الإيمانية الخالصة.. موقف فى الثبات على الإيمان.. لقد أبانت لزبانية فرعون حقارة أنفسهم أمام هذه المرأة التى كادت أن تناطح الجوزاء بعقيدتها الراسخة.. وهناك عدة أمور يدل عليها هذا الموقف الإيمانى العظيم منها.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده برقم ٢٨٢٢ بإسناد: صحيح شاكر ٣/ ٢٥٣ وهو فى مجمع الزوائد للهيثمى ١/ ٦٥ وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ١٥٠ ونسبه للنسائى وابن مردويه وصحح إسناده.

١- أن الجزاء من جنس العمل.. فكما أن هذه المرأة الموحدة صبرت وثبتت حتى أحرق هذا الطاغية جسدها وجسد أولادها، فكان جزاؤها أن جعل الله لها ولأولادها بعد إحراقهم رائحة عطرة تفوح منهم إلى يوم القيامة.

٢- أن الله تعالى يؤيد أولياءه بالكرامات فى المواقف الأليمة، والظروف العصيبة، فقد تكلم الطفل الصغير الرضيع، وأمر أمه بالإصرار على الإيمان والثبات على العقيدة.

٣- ويظهر من هذا الموقف شدة كراهية الطغاة الكافرين على أهل الإيمان الموحدين.

• وسائل الثبات على الدين •

أختى المسلمة..

وهناك أسباب ووسائل للثبات على الدين الحق، ينبغى لك أن تقفى معها، وتتأملى فيها، ومن تلك الوسائل ما يلى:

١- إقامة التوحيد لله رب العالمين:

فالمؤمنة الموحدة تعلم أن الأمر بيد الله وحده، فهى لا تخشى أحدًا إلا الله، ولا تريد بعملها إلا وجه الله.. فكلما اشتد بها البلاء، كلما زادت ثقتها فى الله جل وعلا، وقد أخذت هذا الدرس من أستاذ البشرية، ومربى الإنسانية محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام حين قال: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء فلن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء فلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك..**»(١).

وقد قال النبى ﷺ: «**يبتلى الرجل - وكذا المرأة - على قدر دينه، فإن كان فى دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة، ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة**»(٢).

ولو تأملت أيتها المسلمة أحوال السلف الصالح - رضوان الله عليهم- لعلمت أن توحيدهم، كان من أعظم الثبات على دينهم وعقيدتهم.

فرغم تعذيب المشركين للموحدين فى مكة فى أول الأمر، إلا أنهم لم يرتدوا عن دينهم فهذا هو «**بلال بن رباح**» رضي الله عنه يقول:

---

(١) رواه الترمذى وغيره، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٢) رواه البخارى وأحمد وابن ماجه والألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

«لقد أوذيت فى الله ومـا يؤذى أحد، وأخفت فى الله وما يخـاف أحد، ولقد أتت علىّ ثلاثون من بين يوم وليلة، ومـالى ولبلال مـا يأكله ذوى كبـد إلا ما يوارى إبط بلال» فقد كان أول من أسلم من العبيد.. ولما علم سيده بإسلامه، أقسم باللات والعزى ليذيقنه سـوء العذاب، وليسومنه أشد العـقاب.. فكانوا إذا توسطت الشمس كـبد السـماء، والتـهبت رمـال مكة بالحـرارة.. نزعوا عنه ثيـابه، وألبسـوه الدروع المحاماة، وصهـروه بأشعة الشمس المحرقة، وضربوا ظهره بالسـياط.. وما كان ذلك يرده عن دينه.. بل كان يزيده ثباتًا وقوة واطـمئنانًا بالله جل وعلا.. فكان يردد قائلاً «أحدٌ.. أحدٌ..».

وأهل التـوحيد يـعلمون علم اليـقين أن البلاء فى الدين سنة ثـابتة لا تتـبدل ولا تتغير، قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ولذلك لما سأل هرقل «أبا سفيـان بن حرب» عن أصحاب النبى ﷺ قائلاً له: «هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له، بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب»[1].

٢- قراءة القرآن الكريم:

ففـيه نبأ مـن قبلنا، وحكم ما بينـنا، هو الفصل، ليس بالهـزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتـغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذى لا تزيغ به الأهـواء، ولا يشبع منه الـعلماء، ولا يخـلق عن كثـرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

لذلك كان نساء السلف الصالح يتبادرن أزواجهن قبل الخروج بقولهن للأزواج- أو لزوج أحدهما-: اتق الله فـينا فلا تأكل حرامًا، فإننا نصبـر على جوع الدنيا، ولا نصبر على عذاب الآخرة.

فإذا ما رجـع الزوج آخر اليوم سألتـه قائلة: ماذا نزل اليوم من القـرآن؟ وماذا حفظت من سنة النبى العدنان، ﷺ؟!.

---

(١) رواه البخارى وأحمد.

فمن من نساء العصر تسأل زوجها عن ذلك؟!.

مَنْ منهن يسأل عن سنة الحبيب ﷺ؟!.

لقد أصبحن معرضات عن القرآن والسنة إلا من رحم ربى، فساءت الحياة، وضاقت المعيشة، وهكذا حال من أعرض عن ذكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٣- كثرة أعمال الخير والبر:

قال تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وفعل الطاعات، وعمل الخيرات يثبت المؤمن فى الدنيا والآخرة، ويبلغ بالعبد درجات الكمال، ولذلك قال الله تعالى فى حديثه القدسى الجليل: «**وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه**»[(١)].

فإذا أحب الله تعالى العبد، أحبه كل شىء.. أحبته الملائكة.. وأحبه كل الخلق، قال ﷺ: «**إنَّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانًا، فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى فى السماء، فيقول: إنَّ الله تعالى يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض**»[(٢)].

فمن أنت حتى يحبك الله؟! من أنت لينادى رب العزة على جبريل عليه السلام ليعلمه بأنه يحبك؟.

إنه الإيمان الصادق.. والعقيدة الراسخة.. والثقة فى الله عز وجل.. فأى هذا؟ وأى تكريم هذا؟.

٤- تدبر قصص السابقين والإقتداء بهم:

ولذلك تجدى أختى المسلمة أن الله تعالى ما ذكر قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم إلا ليثبت بذلك قلب نبيه، وقلوب المؤمنين الموحدين فى كل عصر، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وتأملى معى قصة أصحاب الأخدود، لتتيقنى أن التوحيد يثبت الإيمان، وأن

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مسلم والبخارى وأحمد، وهو فى صحيح الجامع للألبانى برقم (١٧٠٥).

باطل مهزوم مدحور مهما علا، ومهما ارتفع.. والحق هو الثابت.. قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ علىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٤- ٩].

وقد قصها واضحة لنا معلم البشرية، وأستاذ الإنسانية ﷺ كما يروى عنه صهيب رضي الله عنه فيقول:

«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: «اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس» فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني.. فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أو لك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك أنك تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل: له ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام. فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه،

فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت» فرجف بهم الجبل، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قاقور -أي قارب- **وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: «اللهم اكفنيهم بما شئت» فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك.**

فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.. ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟.

قال: تجمع الناس في صعيد واحد فتصلبني على جذع، ثم تأخذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه في جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده عليه فمات.

فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتى الملك، فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود -أي شقوق في الأرض كالنهر الصغير- **وأوقد فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه، فأقحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام، يا أمه، اصبري، فإنك على الحق..»**(١).

أختي المسلمة..

هل تأملت كيف ثبت هذا الغلام الموحد أمام هذا البلاء الشديد، وكان في استطاعته أن يفر من تلك المواجهة، بعد أن كتب الله له النجاة مرتين، لكنه أراد أن يقدم روحه فداء لدين الله، فينال الكرامة العظمى، وهي الشهادة في سبيل الله؟! وهل تأملت تلك المرأة المباركة التي قدمت حياتها لنصرة دينها وعقيدتها وكان يمكنها أن تتظاهر بالكفر، ولكنها أبت إلا الشهادة في سبيل الله؟! وقد احتوت القصة على ما احتوت عليه قصة ماشطة بنات فرعون من الحكم والمواعظ والعبر.. ومن وسائل الثبات على الدين.

---

(١) روه مسلم (٣٠٠٥)، وأحمد في مسنده (٢٣٨١٥) بإسناد صحيح، ورواه الترمذي (٣٣٤٠)، وذكره الألباني في صحيح الجامع (٤٤٦١).

٥- التمسك بالصبر:

لأن الصبر هو رأس الأخلاق، لهذا قال النبى الصابر ﷺ: **«وما أعطى أحد عطاء خيرًا، وأوسع من الصبر»**.

وأهل الصبر، هم أولوا الألباب، وهم أصحاب العقول، لأنهم قد أيقنوا أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة دار مقر، وعلموا أن الحياة مهما طالت فهى قصيرة، ومهما عظمت فهى حقيرة، فالليل مهما طال لابد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلابد من دخول القبر.

ولهذا كان الحسن البصرى -رحمه الله- يقول:

«الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبد كريم عنده».

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة فيطالعها، فإذا فيها ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور: ٤٨].

٦- عدم الاغترار بالباطل:

فالباطل لا يدوم، قال تعالى: ﴿ **لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

فكم من الأمم قد عتت عن أمر ربها؟ وكم من الأمم تجبرت وتكبرت فأخذها الله تعالى أخذ عزيز مقتدر؟!.

أين فرعون وهامان؟ أين النمرود بن كنعان؟ أين عادٌ وثمود؟!.

قال ﷺ: **«إنَّ الله تعالى ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»**، ثم قرأ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

أختى المسلمة..

إنَّ دولة الباطل ساعة.. ودولة الحق إلى قيام الساعة.. لأن الحق إنما يستمد قوته من الله وحده.. وأما الباطل، فإنه من كيد الشيطان، ولقد قال الحق تباركت أسماؤه عن كيد الشيطان ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٧٦].

٧- الثقة بأن الله تعالى سينصر دينه:

اعلمى أيتها الأخت المسلمة.. أن نصر الله قادم.. ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٨٢٢.

نصر الله قادم.. ليميز الله الخبيث من الطيب.

نصر الله قادم.. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وتأملى أختى المسلمة..

ما قاله الحبيب المصطفى، والرسول المجتبى لخباب بن الأرت حين ذهب إليه مع بعض أصحابه، فوجدوه متوسدًا ببرده فى حضن الكعبة، فقال له خباب: ألا تستنصر لنا؟ فقال ﷺ، وكأنه ينظر من وراء حجاب:

«لقد كان الرجل فيمن قبلكم يؤتى به فيحفر له الحفرة فى الأرض، فيوضع فيها، ويوضع المنشار عند مفرق رأسه، ويشق نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يرده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون»(١).

وعن تميم الدارى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز، أو بذل ذليل. عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»**(٢).

• ثبات لا مثيل له •

أختى المسلمة..

هيا بنا لنتوقف سويًا أمام موقف إيمانى من أروع مواقف الثبات على الدين والعقيدة، مشهد فيه روعة وجلال.. مشهد لا مثيل له.. أتدرين مع من هذا المشهد؟. إنه مشهد لامرأة مؤمنة مثلت فى كتاب الله تعالى مثالاً للمرأة الثابتة على العقيدة والمبدأ، لا تحيد عنهما، مع من؟.

مع أعتى من عرفته البشرية فى كفره وظلمه وعناده، مع من وصفه الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] مع من قال فيه: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] مع من جعله الله عبرة وآية للعالمين ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢].

---

(١) رواه البخارى وأحمد (٢٠٩٥٦) وغيرهما.

(٢) رواه أحمد (١٦٨٩٤) بإسناد صحيح ١٣/ ٢١١ وقال الهيثمى ٦/ ١٠: رجال أحمد رجال الصحيح. وصححه الحاكم ٤/ ٤٣٠ ووافقه الذهبى على شرطهما، ورواه البيهقى ٩/ ١٨١.

إنها: «اسية بنت مزاحم» امرأة فرعون..

قال ابن كثير: روى ابن جرير بسنده عن سليمان التيمى: «كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها فى الجنة»(١).

قال ابن جرير: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون.

فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها، فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها فى الجنة، فمضت على قولها، وانتزعت روحها(٢).

وقد ورد أنَّ فرعون لما هددها بالعذاب الشديد، وشد جسمها على الأوتاد فى حر الشمس عساها أن ترجع عن إيمانها أو تكفر بربها.. لكن ذلك كله لم يؤثر، ولم ينقص من إيمانها ذرة.. حتى قالت له: يا هذا، إنك غلبتنى على نفسى وجسمى، وأما قلبى فهو فى عصمة ربى.. فافعل بى ما تشاء.. فمر عليها نبى الله موسى عليه السلام، وهو يقول لها: «يا آسية ألك حاجة أقضيها؟»، فكانت ترد قائلة:

«يا موسى، أرضى ربى أم لايزال غضبانًا»؟ فيقول لها الكليم عليه السلام: «يا آسية، كيف لا يرضى عنك ربك؟! إنه يباهى بك الملائكة فى السماء، وإن الملأ الأعلى كلهم فى انتظارك، فسلى حاجتك من الله، فإنها مقبولة». فقالت:

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١] ثم فاضت روحها إلى الله جل وعلا.. وماتت شهيدة حميدة.. مؤثرة دينها على دنياها.. مختارة ربها على كل من سواه(٣).

لقد كانت تتقلب فى منازل النعيم.. وكانت تتمتع بالجاه والسلطان.. ولكن ذلك كله لم يفتن قلبها عن طاعة ربها.. ولذلك فازت بالدرجات العلا.. فازت بالكمال.. كما قال سيد الأنبياء ﷺ: **«حسبك من نساء العالمين بأربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ»**(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٣، ٣٩٤ ط/ مكتبة الدعوة.

(٢) المرجع السابق ٤/ ٣٩٤.

(٣) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوى ١/ ٣٢ بتصرف.

(٤) رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٣١٤٣.

• صراع بين الإيمان والكفر •
وأول شهيدة فى الإسلام

أختى المسلمة..

وهذا موقف فى الثبات، لكنه مع أول شهيدة فى الإسلام.. أتعرفين من هى؟

إنها: «**سمية بنت خباط**» أم عمار بن ياسر رضي الله عنه.

لقد كانت رضي الله عنها ممن عُذب فى الله.. وصبرت على الأذى فى ذات الله، وكانت من المبايعات الخيرات الفاضلات.. وكانت من المسلمات الأوائل:

فعن عبد الله قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار، وأمه سمية، وصهيب وبلال، والمقداد، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فألبسهم المشركون أدراع الحديد، وصفدوهم فى الشمس، وما فيهم أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ»(١).

ولقد كان النبى ﷺ يمر عليهم - أى سُمية وياسر وابنهما عمار - وهم يعذبون بالأبطح فى رمضاء مكة، فيقول لهم: «**صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**» وقد روى أن أبا جهل طعنها فى قبلها بحربة فى يده فقتلها فهى أول شهيدة فى الإسلام(٢).

• زنيرة الرومية وقوة إيمانها •

أختى المسلمة..

لابد أن تعرفى أن الالتزام بشرع الله تعالى، والتمسك بالإسلام، والثبات عليه، لابد أن يكون معه تضحيات.

وقد تكون التضحية بالمال، وقد تكون بالنفس، وتارة بالجوارح، وقد تكون ابتلاء وامتحانًا بمرض أو فقد عزيز.

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية ١/ ١٤٩ والحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٨٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى: صحيح، وورواه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٣١٥ وابن أبى شيبة وابن حجر فى الإصابة.

(٢) ذكره ابن هشام فى السيرة ١/ ٢٥٤ وابن الأثير.

وها نحن نعيش مع موقف إيمانى جليل، لعبدة كانت عند عمر بن الخطاب قبل أن يسلم «زنيرة **الرومية**» فقد كـان قاسيًا عليـها، فكان يضربها حـتى عميت وذهب بصرها، فقالت قريش:

والله ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى.

وهكذا كان مشركـوا قريش ينسبون كل ضارة ونافعة إلى أصنامـهم، ويعتقدون فيها الخير والشر، والجزاء والبلاء.

فتقول لهم زنيرة الموحدة المؤمنة بلسان الواثقة بربها:

والله، ما هو كذلك، وما يدرى اللات والعزى مـن يعبدهما!! وربى قادر على رد بصرى فاستجاب الله لدعوة «زنيرة» فردَّ عيها بصرها.

فقالت قريش: هذا سحر محمد ﷺ.

فلما سمع الصحابة -رضوان الله عليهم- بقصة هذه المسلمة المعذبة، ذهب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى من يعـذبها، ويذيقهـا ألوان العناء والبلاء، فاشـتراها منه[1]، فقالت قريش:

لو كان خيرًا ما سبقتنا إليه زنيرة.

فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**﴾ [الأحقاف: ١١].

---

(١) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٢٩٣ وابن حجر فى الإصابة ٧/ ٦٦٤.

الباب رقم (٦)

مواقف إيمانية في التضحية والجهاد في سبيل الله

«إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» .

رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب وصحيح الجامع للألباني (٦٨٨)

• الجهاد فى سبيل الله •
• ونسيبة بنت كعب الأنصارية •

أختى المسلمة . .

وموقف نسيبة بنت كعب الأنصارية وكنيتها «أم عمارة» يرويها لك ابن سعد فى الطبقات عن محمد بن عمر قال:

شهدت أم عمارة غزوة أحد مع زوجها غزية بنت عمرو وابنيها وخرجت معهم بشن لها -أى بإناء للسقاء- فى أول النهار تريد أن تسقى الجرحى، فقاتلت يومئذ، وأبلت بلاءً حسنًا، وجرحت اثنى عشر جرحًا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف . . فكانت أم سعيد بنت سعد بن الربيع تقول:

دخلت عليها، فقلت لها: حدثينى خبرك يوم أحد فقالت:

«خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه، والدَّولة -أى الغلبة- والرِّبح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال وأذب -أى أدافع- عنه بالسيف، وأرمى عنه بالقوس حتى خلصت -أى وصلت- إلىَّ.

قالت أم سعيد بنت سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جرحًا شديدًا أجوف له غور فقلت لها: من أصابك بهذا؟.

قالت: عمر بن قمئة أقمأه الله -أى أهلكه- لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول: دلونى على محمد، لا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ﷺ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله، فضربنى هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات لكن عدو الله كان عليه درعان»(١).

لله درك يا أم عمارة . . لقد كنت مؤمنة مجاهدة . . فجزاك الله عن نبينا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أختى المسلمة . .

لقد ثبت أن النساء كن يخرجن بإذن رسول الله ﷺ مع الجيش لخدمة الرجال، وتمريض الجرحى، والقيام بأعمال الإسعاف، وكذلك كن فى عصر الخلفاء ﷺ وقد ترجم البخارى بقوله:

---

(١) طبقات بن سعد ٨/ ٤٥١ والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٣ ط/ دار الفجر بالقاهرة.

باب غزو النساء وقتالهن، وجاء عن الربيع بنت معوذ قالت:

«كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقى القوم، ونخدمهم، ونردُّ القتلى والجرحى إلى المدينة».

وعن أم عطية الأنصارية -صاحبة هذا الموقف الإيمانى العظيم- قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوى الجرحى».

أختى المسلمة.. إذا كان ذلك كذلك فما فضل الجهاد فى سبيل الله؟.

• فضل الجهاد فى سبيل الله •

لقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تحث على الجهاد فى سبيل الله وفضله.. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].

وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [الصف: ١٠-١٢].

وقال سبحانه: ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٧٤].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أى الناس أفضل؟.

فقال ﷺ: «**مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله**» قالوا: ثم من؟ قال: «**مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٢).

وعن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بالجهاد فى سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم**»(٣).

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) روه البخارى ومسلم.

(٣) رواه أحمد فى مسنده، والحاكم، وصححه وأقره الذهبى، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٣٩٤٢.

وعن أبى الدرداء ﷺأن رسول الله ﷺ قال: «**رباط شهر خير من صيام دهر، ومن مات مرابطًا فى سبيل الله، أمن من الفزع الأكبر، وغدى عليه برزقة وريح من الجنة، ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله**»(١).

إنَّ الله تعالى يعوضهم عن حياتهم التى بذلوها بأيديهم، بحياة أبدية سرمدية، لا يصفها الواصفون، ولا يعرفها العارفون.

إنهم لما فارقوا الأهل والأوطان، أسكنهم الله فى جواره، وآنسهم بقربه، بدلاً من أنس من فارقوه من أحبائهم لأجله، فطوبى لمن حصل على هذا الثواب الجزيل، فى جوار الرب الجليل.

إنّ الله يبدلهم حياة سعيدة بدلاً من حياة مشوبة بالنغص، ممزوجة بالغصص حياة إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً.. وإن سرت يومًا أحزنت شهوراً.. حياة أولها مخاوف، وآخرها متالف.

•حكم الجهاد•

وقد أجمع أهل العلم على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها.

والمسلمون الآن يحتاجون إلى أن يجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ولا سيما، وقد داس العدو أرضنا، وانتهك حرماتنا، وتحكم فى شؤننا، وعطل دعوتنا عن نشر الإسلام.. فوجب الجهاد وجوبًا عينيًا لا مناص منه.. والجهاد لا يجب على المرأة، لأنها مشغولة بحق زوجها، وحق العبد مقدم على حق الله.. فإن لم يكن للمرأة زوج فهى والرجل فى الجهاد سواء.. ومن يوم تركنا الجهاد، ونحن قد ابتلانا الله بصنوف الأمراض، وغير ذلك قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢).

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق**»(٣).

---

(٤) رواه الطبرانى وقال الهيثمى: رجاله ثقات، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع ٣٤٧٣.

(٢) رواه أبو داود فى البيوع، وصححه الألبانى بطرقه فى السلسلة الصحيحة برقم ١١.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

•فضائل الشهيد في سبيل الله•

أختي المسلمة..

وللشهيد في سبيل الله فضائل عظيمة، ومكارم عند ربه ومولاه، ذكرها رسولنا ﷺ في الحديث الذي رواه المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعدهُ من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ فيفعل الله بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا إلا أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيل الله مرة أخرى..»**(٢).

•أهداف الجهاد وغاياته•

الأخت المسلمة..

إن للجهاد في سبيل الله أهداف سامية، وغايات نبيلة، لأن هو أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى.. وهو ذروة سنام الإسلام كما أخبر رسول السلام.

فما هي أهدافه وغاياته؟

١- رفع راية الإسلام عالية خفاقة، ولذلك يقول إمام المجاهدين ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**(٣).

وإذا صارت راية الإسلام عالية خفاقة خلى العالم من الفساد الأكبر وهو الشرك بالله، وأرثيت قواعد هذا الدين الذي يجعل الإنسان لا يخضع لمثله بل يكون خضوعه وعبادته لله تعالى، الذي خلقه ورزقه وصوره.

٢- رد المعتدين والغادرين، الذي يكيدون للإسلام والمسلمين، قال تعالى:

---

(١) رواه أحمد في مسنده وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم وأحمد، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٤١٧.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

٣- كشف المنافقين، وتمييز المؤمنين، ليُعرف بذلك الخبيث من الطيب: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٤- إذلال الكافرين، وإرهابهم حتى يدخلوا في دين الله تعالى.

قال ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»**(١) فإن رفضوا فعليهم الجزية.. قال سبحانه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

• المرأة تحمل السلاح فى الحرب يوم حنين •

أختى المسلمة..

وبعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة فى العام الثامن الهجرى.. خرج الرسول ﷺ إلى حنين فى أول شوال من سنة الفتح ومعه عشرة آلاف من أصحابه الذين شهدوا فتح مكة، ومعهم ألفان ممن أسلموا يوم الفتح.

وقد أعجبت المسلمين كثرتهم حتى كادت مأساة أحد أن تتكرر، فعندما وصل الرسول وصحبه إلى وادى تهامة كان المشركون من هوازن قد سبقوهم وباغتوا المسلمين، فولى المسلمون.. لكن سرعان ما أنزل الله سكينته على رسوله وعلى من ثبت معه من المؤمنين الصادقين.

وقد ذكرهم الله عز وجل هذا اليوم فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٧١).

ويلتفت رسولنا محمد ﷺ فيلمح بين هؤلاء المستبسلين الصحابية الجليلة «أم سليم بنت ملحان» مثقلة بجنين تحمله وقد حزمت وسطها ببرد تتقى الإجهاض ومعها خنجر مشهر، فيقول ﷺ: «أم سليم؟».

فتجيب: نعم، بأبى أنت وأمى يا رسول الله! اقتل الذين ينهزمون عنك، فإنهم لذلك أهل.

قال ﷺ: «ألا يكفى الله يا أم سليم؟!».

ويسألها زوجها أبو طلحة، عن الخنجر الذى معها، فتجيب: اتخذته، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك[1].

ولقد شاركت أم سليم قبل ذلك فى غزوة أحد أيضًا .. فعن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ، ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم تنقلان القرب على متونهما وظهورهما، ثم تفرغانه -أى الماء- فى أفواه القوم».

كما روى البخارى عن الرُبيّع بنت مُعوذ رضي الله عنها قالت: «كنا مع النبى ﷺ نداوى الجرحى، ونرُدُّ الجرحى والقتلى إلى المدينة»[2].

•صفية بنت عبد المطلب تقتل رجلاً من المشركين•

عن عباد قال:

كانت صفية بنت عبد المطلب فى حصن، فمرَّ رجل من اليهود، فجعل يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين الرسول ﷺ من عهود.. تقول صفية: «وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله وأصحابه فى مواجهة العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، فلما رأيت اليهودى يطوف بالحصن، قلت: ما آمنه أن يدل على عوراتنا مَنْ وراءنا من اليهود، وقد شغل رسول الله ﷺ، ثم أخذت عمودًا، ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن».

قال ابن إسحاق: إنَّ صفية بنت عبد المطلب هى أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى.

(٣) سيرة ابن هشام.

• نماذج مشرقة لبطولات المرأة المسلمة •

(١) في غزوة بدر الكبرى:

وكانت موقعة بدر أول فرصة يعبر فيها الأنصار بقوة عن نصرتهم وتأييدهم للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ، فخرجت نساء مؤمنات ليشاركن في ذلك منهن:

١- رفيدة بنت سعد الأسلمية:

وقفت رفيدة (كعيبة) كما في بعض الكتب ترقب جموع المؤمنين من الرجال، وتفكر فيما يمكن أن تقوم به هذه المرأة المؤمنة في مثل هذا اليوم.

ووراء جيش المسلمين خرجت ثلة من النساء يحملن الماء للمحاربين تتقدمهن كعيبة، ثم دارت رحى المعركة، وحمي وطيسها، وجرح فيها بعض المسلمين، فأسرعت رفيدة تنتقل بين صفوف المسلمين تسعف المصاب منهم وتشعره بالعناية والعطف.

وقد كتب الله تعالى النصر لرسوله والمسلمين في غزوة بدر، وعادوا إلى المدينة منتصرين ومعهم رفيدة.. وقد شاء الله لها أن تعرف كثيرًا من فن التمريض، فذاع صيتها، ونالت شهرة عظيمة جعلتها مقصد الراغبين والراغبات في العلاج، فأنشأت أول عيادة للتمريض، جعلت مقرها مسجد رسول الله ﷺ بخيمة كبيرة كانت تعالج فيها المسلمين والمسلمات.

وكانت قد اكتسبت فن التمريض عن أبيها سعد الأسلمي، الذي كان يجيد فن التمريض.

(٢) في غزوة أحد:

وقامت رفيدة بالذهاب مع المسلمين في غزوة أحد، وأدت واجبها على أكمل وجه.

٢- فاطمة الزهراء والسيدة عائشة وأم أيمن رضي الله عنهن:

وفي غزوة أحد أصيب بطل الأمة سيدنا محمد ﷺ حين رُمي في وجنته حتى غابت حلقة المغفر في وجنته، فقام أبو عبيدة بن الجراح بنزعها بفمه حتى سقطت مقدم أسنانه رضي الله عنه فكان أحسن أهتم في أصحابه.. وجاء على بن أبي طالب رضي الله عنه بالماء لغسل جرح رسول الله ﷺ فكان يصب الماء على الجرح وفاطمة الزهراء رضي الله عنها تغسله، فلما رأت أن الدم لا يكف أخذت قطعة من حصير فأحرقتها، وألصقتها بالجرح، فاستمسك الدم، وكانت السيدة عائشة وأم أيمن تشاركان في المعركة بحمل الماء وسقيه، ورعاية الجرحى.

(٣) في غزوة الأحزاب:

وفي خلال حفر الخندق، حدثت مناوشات أصيب خلالها سعد بن معاذ سيد الأوس فأسرعت إليه رفيدة بنت سعد الأسلمية، وكشفت عن جرحه حيث أصابه سهم بأعلى صدره، وكانت الدماء تنزف منه، فأخذت تعالج جرحه وترعاه، لتوقف نزف الدم. . وما زالت رفيدة تقوم على جرح سعد بعناية واهتمام حتى شفاه الله تعالى. . وشفي غيظه، وهو يرى يهود بني قريظة يُساقون إلى رسول الله ﷺ أذلاء صاغرين.

وطلب يهود بني قريظة أن يكون الحاكم فيهم سعد بن معاذ، فرضي الرسول حكمه بقتل رجالهم، وسبي نسائهم، وتقسيم أموالهم، حتى عاد المسلمون بنصر الله.

(٤) غزوة خيبر:

٣- أمية بنت قيس:

ففي غزوة خيبر خرجت السيدة أمية -ويقال: (أُميمة)- بنت قيس الغفارية مع رسول الله ﷺ تداوي الجرحى، وتعين المسلمين.

تقول أمية بنت قيس رضي الله عنها: «جئت رسول الله ﷺ في نسوة من غفار، فقلنا: يا رسول الله، إنا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا -أي إلى خيبر- فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**على بركة الله**»(١).

٤- ليلى الغفارية:

يقول عنها ابن الأثير: كانت تخرج مع رسول الله ﷺ في مغازيه، تداوي الجرحى وتقوم على المرضى.

وها هي تقول محدثة بذلك: أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار، فقلنا: يا رسول الله، أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو يسير إلى خيبر- فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال ﷺ: «**على بركة الله**»(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٠٧، وابن سعد في الطبقات ٨/ ٢١٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٢٢٣.

(٢) الطبراني في الكبير، وابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٣٩٣.

قالت: وكنت جارية حديثة السن، فأردفنى رسول الله ﷺ حقيبة رحله -أى مؤخرة الرحل- فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح، ونزلت فإذا دم منى على الرحل، وكانت أول حيضة حضتها، فتقبضت إلى الناقة -أى تجمعت مقبوضة- واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بى، ورأى الدم قال: «**لعلك نفست؟**» قلت: نعم.

فقال رسول الله: «**فأصلحى من نفسك، ثم خذى إناء من ماء فأطرحى فيه ملحًا ثم اغسلى ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودى لمركبك**»(١).

قالت ليلى: فلما فتح الله خيبر، وفتح لنا هذه الفيء، أخذ هذه القلادة فأعطانيها وعلقها بيده فى عنقى، فوالله لا تفارقنى أبدًا، وأوصيت أن تدفن معى، وكنت لا أتطهر من حيض إلا جعلت فى طهورى ملحًا، وأوصيت به أن يجعل فى غسلى حين موتى.

٥- أبو قدامة الشامى وامرأة مجاهدة:

يقول أبو قدامة الشامى:

كنت أميرًا على الجيش فى بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو، ورغبتهم فى الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها.

ثم تفرق الناس، وركبت فرس، وسرت إلى منزلى، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تنادى: يا أبا قدامة.

فقلت: هذه مكيدة من الشيطان، فمضيت ولم أُجب.

فقالت: ما هكذا كان الصالحون!

فوقفت، فجاءت ودفعت إلىَّ رقعة وخرقة مشدودة، وانصرفت باكية.

فنظرت إلى الرقعة فإذا مكتوب فيها:

«إنك دعوتنا إلى الجهاد، ورغبتنا فى الثواب، ولاقدرة لى على ذلك، فقطعت أحسن ما فىَّ، وهى ضفيرتاى وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعرى قيد فرسك فى سبيله فيغفر لى».

فلما كانت صبيحة القتال إذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل، فتقدمت إليه وقلت: يا فتى، أنت غلام غرٌ راجل، ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٢٧٠١٤) جـ١٨/٤٤٣ بإسناد ضعيف لجهاله أمية بنت أبى الصلت، وذكره الألبانى فى ضعيف أبى داود برقم ٣١٣.

فقال: أتأمرني بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] فحملته على هجين -فرس ولدته حمارة من حصان عربي- كان معي، فقال: يا أبا قدامة، أقرضني ثلاثة أسهم.

فقلت: أهذا وقت قرض؟

فما زال يلح عليَّ حتى قلت له: بشرط إنْ منّ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك! قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهمًا في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامه، ورمى به فقتل روميًا.

ثم رمى بالآخر، وقال: السلام عليك يا أبا قدامة.. فقتل روميًا.

ثم رمى بالثالث، وقال: السلام عليك سلام مودع.. فجاء سهم، فوقع بين عينيه، فوضع رأسه على سرجه، فتقدمت إليه وقلت:

لاتنسنا، فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة:

إذا دخلت المدينة، فأت والدتي وسلّم خرجي إليها وأخبرها، فهي التي أعطتك شعرها ليكون لجامًا لفرسك، وسلّم عليها، فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي، ثم مات.

قال: فحفرت له ودفنته.. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض على ظهرها.

فقال أصحابي:

إنه غلامٌ غرٌّ، ولعله خرج بغير إذن أمه.

فقلت: إنّ الأرض لتقبل من هو شر من هذا.. فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل، فسمعت صوتًا يقول:

يا أبا قدامة، اترك ولي الله. فما برحت حتى نزلت عليه طيور بيض فأكلته.

فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعت الباب، خرجت أخته إليّ، فلما رأتني عادت إلى أمها، وقالت:

يا أماه، هذا أبو قدامة، ليس معه أخي، فقد أُصبنا في العام الأول بأبي، وفي العام الثاني بأخي.

فخرجت أمه إليَّ، فقالت: أمعزيًا أم مهنئًا؟.

فقلت: ما معنى هذا؟! فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنئني. فقلت: لا، بل مات شهيدًا.

فقالت: له علامة، فهل رأيتها؟.

قلت: نعم، لم تقبله الأرض، ونزلت الطيور فأكلت لحمه، وتركت عظامه فدفنتها.. فقالت: الحمد لله.

فسلمت إليها الخرج، ففتحته، فأخرجت منه مسحًا -أي كساء من الشعر- وغلاً من حديد -أي قيدًا- وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغلّ نفسه بهذا الغل، وناجى مولاه، وقال في مناجاته:

« اللهم احشرني في حواصل الطيور» فقد استجاب الله دعاءه[1].

•امرأة ترتدي ثياب الرجال•

أختي المسلمة..

وهل أتاك نبأ المرأة المسلمة.. المرأة المجاهدة.. التي لبست ثياب الفارس في موقعة «أجنادين» بقيادة خالد بن الوليد؟.

إنها «**خولة بنت الأزور**» لقد لبست ثيات الفارس وأسرعت إلى حيث يوجد جيش الروم.. وظنوا أنّ هذا الفارس هو خالد بن الوليد.. لكنهم سرعان مالقوا خالدًا بينهم.. فأمرهم أن يكروا على الروم مع هذا البطل، فهجم المسلمون وأخذوا أعدادًا من الروم أسرى.

وتبين لهم بعد ذلك أن هذا الفارس العظيم إنما هي «خولة بنت الأزور» التي جعلت تكر على الروم لتخلص أخاها ضرارًا من براثنهم.

وعلم المسلمون من أسرى الروم طريق الجند الذين أخذوا ضرارًا أسيرًا، فكوّن المسلمون فرقة لمطاردتهم، وصممت خولة أن تسبق هذه الفرقة بفرسها، حيى أدركوا الجند وهزموهم.. واستخلصوا ضرارًا ليعود سالمًا مع أخته[2].

أختي المسلمة..

إنّ الله تعالى ألقى بفريضة الجهاد على الرجال، وجعله عبئًا عليهم دون النساء، وقد تمنى النساء قديمًا أن يكون لهن حظ مما ذهب به الرجال.

فقد روى أن أم سلمة زوج النبي ﷺ ومعها نسوة قالت: «ليت الله كتب علينا الجهاد، كما كتبه على الرجال، فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم، فنزل قوله تعالى[3]: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾ [النساء: ٣٢].

---

(١) فضائل الجهاد لابن النحاس ٢/ ٦٩١، ٦٩٢.

(٢) من كتاب المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها بتصرف ٢/ ٩٧، ٩٨.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٣، وأسباب النزول للواحدي ص١٢٥.

فمن كانت تريد الأجر فسبيله ما يسره الله لها دون توقف على جهاد أو غيره.. ولكن يجب أن يُراعى أن تقوم المرأة بما يسره الله لها من وظائف الأنوثة.

كما ينبغى أن يظل الرجل قائمًا بما يسره الله تعالى له من وظائف الرجولة.. فعن أم كبشة رضي الله عنها أن امرأة من عُذرة قالت: يا رسول الله، أتأذن لى أن أخرج فى جيش كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا».

قالت: يا رسول الله، إنى لست أريد أن أقاتل، أنما أريد أن أداوى الجرحى، وأسقى المرضى، فقال ﷺ: **«لولا أن تكون سنة، ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك ولكن اجلسى»**[١].

وروى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنى وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يُصيبوا أجروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟.

فقال رسول الله ﷺ: **«أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج، والاعتراف بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من تفعله»**[٢].

أختى المسلمة..

إنَّ هذا لا يعنى أن الإسلام يحول دون جهاد المرأة فى الحروب بأعمال التمريض، والإسعاف، وسقى الماء، ونحو ذلك مما كان يحدث فى عصر النبوة، وكان رسول الله ﷺ يأذن به، وكذلك خلفاؤه.. غير أنه نظرًا للتفرقة العضوية بين الرجل والمرأة.. وطبيعة أنوثتها من حمل ووضع ورضاع ونحوه.. مما تعانيه المرأة من آلام، فكان من الطبيعى أن يقوم الرجل على شئونها ورعايتها، لذلك ألقى الإسلام بفريضة الجهاد على الرجل دون المرأة.

فالله تعالى لم يفرض الجهاد عليها كما فرضه على الرجال.. وفى نفس الوقت لم يحرمه عليها، ولم يمنعها منه.. إلا أن تكون هناك حاجة تستدعى وجودها وتستلزمه على حسب الحاجة والضرورة التى تستلزم ذلك.

---

(١) رواه ابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» ٦/ ٣٤٧٣، ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح، وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٤٨٤.

(٢) رواه البزار وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٥٣، وأسد الغابة لابن الأثير بنحوه ٥/ ٢١٦، والمرأة هى أسماء بنت يزيد الأنصارية.

أختى المسلمة..

إن الجهاد لم يفرض على المرأة لأنها تلد الرجال الأبطال الذين يقومون بالجهاد، هى مهيأة لميلاد الرجال بكل تكوينها العضوى والنفسى، ومهيأة لإعدادهم للجهاد وللحياة سواء بسواء، وهى فى هذا الحقل أنفع وأقدر.. وأما الأجر والثواب فقد طمأن الله الرجال والنساء عليه، وحسب كل إنسان أن يحسن فيما وكل إليه قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

• خاتمة فى فطرة المرأة •

أختى المسلمة..

تبين لنا مما سبق أن الإسلام لا يوجب على المرأة مباشرة القتال إلا عند الضرورة القصوى، ولا يبيح لها أن تقاتل وفى المسلمين سعة وغناء.. والإسلام فى موقفه هذا إنما يوائم طبيعة المرأة ويشرع بما يوافقها ولا يضارها فطبيعة المرأة التى فطرها الله تعالى عليها، وما يعتريها من حيض ونفاس، وما يتصل بما خلقت له من حمل وارضاع وتربية، كل ذلك يعوق المرأة عن مباشرة القتال، فضلاً عن أن مباشرتها للقتال تكليف لها فوق طاقتها، وخروج بها عن طبيعتها وأنوثتها.

قال الأستاذ العقاد يبين طبيعة المرأة:

ومن الاختلافات الجسدية التى لها صلة باختلاف الاستعداد بين الجنسين، أن بنية المرأة يعتريها الفصد كل شهر، ويشغلها الحمل تسعة أشهر، وإدرار لبن الرضاع حولين قد تتصل بما بعدها فى حمل آخر، ومن الطبيعى أن تشغل هذه الوظائف جانبًا من قوى البنية، فلا تساوى الرجل فى أعماله التى يوجه إليها بنية غير مشغولة بهذه الوظائف الأنثوية.

وليس بلازم أن يتعلق الاختلاف بالحالة التى تشتغل فيها بنية المرأة بتلك الوظائف والأعمال فعلاً، لأن الاستعداد لها مركب فى الطباع، معقود بتكوين الخلايا الدقيقة فضلاً عن الجوارح والأعضاء. بل من الطبيعى أن يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص، لا يشبه تكوين الرجل، لأن ملازمة الطفل الوليد تستدعى شيئًا كثيرًا من التناسب بين مزاجها ومزاجه، وبين فهمها وفهمه، وبين مدارج حسها وعطفها،

ومدارج حسه وعطفه.. وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرًا فى أطوار حياتها فى صباها الباكر.. إلى شيخوختها العالية[١].

ثم قال العقاد أيضًا:

ولا شك أن الخلائق الضرورية للحضانة، وتعهد الأطفال الصغار أصل من أصول اللين الأنثوى، الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحس، والاستجابة للعاطفة، يصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل، وتغليب الرأى، وصلابة العزيمة، فهما ولا شك مختلفان فى هذا المزاج اختلافًا لا سبيل إلى الممارأة فيه.. وبعض هذه الفروق فى استعداد الجنسين كاف لشرح معنى الدرجة التى تميز الرجل عن المرأة فى حكم القرآن الكريم.

يقصد قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وينقل الأستاذ البهى الخولى فى كتابه: (الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة) آراء بعض الأطباء فيما يعترى المرأة وقت الحيض والنفاس والحمل والإرضاع من أحوال تؤثر فى صحتها دائمًا، فيقول:

«ويكتب الطبيب «أميل نووك» الذى هو محقق كبير فى هذا الفرع من العلم:

إنَّ ما يُعهد فى الحوائض عامة الأعراض هو: الصداع.. والتعب، ووجع العظم.. وضعف الأعصاب.. وتخلف المزاج.. واضطراب المثانة.. وسوء الهضم.. والغثيان فى بعض الحالات».

وأشد على المرأة من مدة الحيض، زمان الحمل، فيكتب الطبيب «ريبريف» فيقول: «لا تستطيع قوى المرأة أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى والعقلى ما تتحمله فى عامة الأحوال، وإنَّ عوارض الحمل، إن عُرضت لرجل أو امرأة غير حامل لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك».

ففى هذه المدة يبقى مجموعها العصبى مختلاً على أشهر متعددة، ويضطرب فيها الاتزان الذهنى، وتعود جميع عناصرها الروحية فى حالة فوضى دائمة.

ثم قال عن النفاس:

(١) من كتاب المرأة فى القرآن ص١٤ لعباس محمود العقاد.

«أما عقب وضع الحمل، فتكون المرأة عرضة لأمراض متعددة، إذ تكون جروح نفاسها مستعدة أبدًا للتسمم، وتصبح أعضاؤها الجنسية فى حركة لتقصلها إلى حالتها الطبيعية قبل الحمل، مما يختل به نظام جسمها كله.. ويستغرق بضعة أسابيع فى عودته إلى نصابه، وبذلك تبقى المرأة مريضة، أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل، وتعود قوة عملها نصف ما تكون فى عامة الأحوال، أو أقل منه[١]».

ومن هنا كان الشارع حكيمًا فى إيجابة القتال على الرجال دون النساء إلا لضرورة.

فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ص٢٤٠ نقلا من الدين والحياة ط/ وزارة الأوقاف.

الباب رقم (٧)

مواقف إيمانية في ذكر الله تعالى وفضائله

ذكر الله..

أعـذب مورد وردته عطاش القلوب، مورد الذكـر والتـوحيـد، وأطيب نسيم هب على مشامِّ القلوب.. نسيم الأنس بالله عز وجل.

التلذذ بحلاوة مناجاة الله كئـوسَ رحيق الأرواح، وذكر الله جلاد رمـد العقـول.. ودرر حـمد الله، لا يرصـع بها إلا تيـجـان مفـارق الأسرار، ومسك شكره لا يعبق إلا في جيوبٍ ثياب الأرواح.

إن ذكرتيـه بقلبك قربك من جنات رحمـته، وإن ذكرتيـه بسرك أدناك من مـواطن القـدسي، وإن صدقت فـي حبه حـملك بجناح لطفه إلى مقعد صدق ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره..

قال الله تعالى: «عبدى أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني»

صحيح الجامع (٤٢٠١)

فـانظرى إلى كـرم الله الجواد، الذى عـلا على كل من جـاد، وبه جاد كل من جاد..

• موقف لفاطمة الزهراء • وذكر الله تعالى •

أختى المسلمة . .

أسوق إليك هذا الموقف الإيمانى، وهو لفاطمة ابنة رسول الله ﷺ يرويه لنا زوجها علىٌّ بن أبى طالب رضي الله عنه فيقول:

«إنّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى فى يدها، وأتى النبى ﷺ سبى، فانطلقت فلم تجده ﷺ . . ولقيت عائشة رضي الله عنها، فأخبرتها فلما جاء النبى ﷺ أخبرته عائشة بمجىء فاطمة إليها، فجاء النبى ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبى ﷺ: «**على مكانكما**» فقعد بيننا، حتى وجدت برد قدمه على صدرى، ثم قال: «**ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما: أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**».

قال علىٌّ: ما تركته منذ سمعته من النبى ﷺ قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين»(١).

أختى المسلمة . .

إن هذا الموقف الإيمانى العظيم فيه دروس وعبر نجملها فيما يأتى:

١- جواز حمل الإنسان أهله على ما يحمل المرء عليه نفسه من التقلل والزهد فى الدنيا، والقناعة بما أعده الله لأوليائه الصابرين فى الآخرة.

٢- وفيه بيان أن الذى يلازم ذكر الله تعالى يُعطى قوة أعظم من القوة التى يعملها له الخادم، أو تسهل الأمور عليه. . ثم إنَّ نفع التسبيح أعظم فى الدار الآخرة، ونفع الخادم مختص بالدنيا. . والآخرة خير وأبقى.

٣- قال المهلب -رحمه الله-: علَّم ﷺ ابنته من الذكر ما هو أكثر نفعًا لها فى الآخرة وآثر أهل الصفة - فقراء الصحابة رضي الله عنهم - لأنهم كانوا قد وقفوا أنفسهم على سماع العلم، وحفظ السنة على شبع بطونهم، لا يرغبون فى كسب مال، ولا عيال، ولكنهم اشتروا أنفسهم من الله بالقوت.

---

(١) رواه البخارى (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧)، والترمذى (٣٤٦٩)، وأبو داود (٥٠٦٢)، وذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة ٢/ ١١٩.

٤- وفى هذا الموقف منقبة لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه وإظهار غاية التعطف، والشفقة على البنت، والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما مكانهما، فتركهما على حالة اضطجاعهما، وبالغ حتى أدخل رجله بينهما، ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضاً عما طلباه من الخادم.

٥- وفيه: دلالة على مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من النبى ﷺ حيث خصتها فاطمة بالسفارة بينها وبين أبيها دون سائر الزوجات.

٦- وفيه: أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء، لأن فاطمة رضي الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ إلى ذلك.

أختى المسلمة..

وكما هو واضح وجلى فى هذا الموقف الإيمانى أن رسول الله ﷺ يوصى أعز وأغلى وأحب الناس إليه، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فاطمة».

وقال ﷺ: **«فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى، يريبنى ما رابها، ويؤذينى ما آذاها»**(١).

وزوجها علىٌّ بن أبى طالب قال عنه الرسول ﷺ: **«أنت منى وأنا منك»**(٢).

وقال له ﷺ: **«ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى»**(٣).

ومع هذه المنزلة العالية، والمكانة السامية، والمقام الرفيع يحرص أن يدلهم على العمل الصالح الذى فيه نفعهم فى الآخرة.. رغم أنهم من آل بيت رسول الله.

لكن يوم القيامة ليس فيه حسب ولا نسب ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقد حذر النبى ﷺ أقرب الناس إليه، فقال ﷺ: **«يا فاطمة ابنة محمد.. يا صفية ابنة عبد المطلب.. يا بنى عبد المطلب.. اعملوا فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئًا»**(٤).

---

(١) رواه الترمذى (٣٩٦٠)، ورواه الحاكم ٣/ ١٥٤ وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخارى (٤٢٥١)، والترمذى (٣٧١٦).

(٣) رواه البخارى (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٤) رواه مسلم وأحمد.

فالله سبحانه وتعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًّا، وخلق النار وأعدها لمن عصاه ولو كان حرًّا قرشيًّا.

• فما فضل ذكر الله تعالى؟ •

أختي المسلمة. .

الذكر هو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين.

هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري -رحمه الله-:

تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم. . وإلا فاعلموا أن الباب مغلق[1].

وقال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وبالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فإذا علمتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ..﴾ إلى قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وجعله ربنا تبارك وتعالى من أسباب الفلاح والنجاح في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) الرسالة القشيرية ص٣١٥ ط/ التوفيقية.

• ثواب الذكر من السنة المطهرة •

أختى المسلمة. .

وقد بينت السنة المطهرة ثواب الذاكرين والذاكرات، فأحب الأعمال إلى الله تعالى، وأكثر الأعمال ثوابًا: ذكر الله تعالى.

قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أن تموت ولسانك رطب بذكر الله**»(١).

والذاكرون الله كثيراً والذاكرات هم السابقون الفائزون:

قال ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٢).

وذكر الله تعالى حصن يتحصن به الذاكر من عدوه، وأعظم عدو للإنسان هو الشيطان، ففى حديث يحيى بن زكريا: «.. **وآمركم بذكر الله كثيراً، فمثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا فى أثره، فأتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله تعالى**»(٣).

والتى تذكر ربها يستجيب الله دعاءها، قال ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الذاكر الله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**»(٤).

ذكر الله تعالى أرفع لدرجات العبد، وفى بعض الأحيان يكون أفضل من الجهاد فى سبيل الله، وضرب رقاب الأعداء، فقد قال نبى الأرض والسماء ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها فى درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى. قال: «**ذكر الله**»(٥).

أختى المسلمة. .

وإن أردت أن يمتلىء كتابك بالحسنات، فأكثرى من التسبيح والتهليل، قال

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى الشعب عن معاذ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم١٦٥.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) جزء من حديث رواه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٧٢٠ والمشكاة ٣٦٩٤.

(٤) رواه البيهقى فى الشعب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٣٠٦٤.

(٥) رواه الترمذى (٣٣٧٦)، وابن ماجه والحاكم، وصححه ووافقه الذهبى، ورواه أحمد، وصححه الألبانى.

ﷺ : «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، ويحط عنه بها ألف خطيئة**»(١).

وها هو ﷺ يوصى النساء بالتسبيح والتهليل فيقول: «**عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، واعقدن بالأنامل، فهن ميسئولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة**»(٢).

وإن أردت أن يكفر الله عنك الخطايا ولو كانت مثل زبد البحر، وعدد الرمل فنفذى تعاليم سيد الأنام، فها هو يرشدك، فيقول:

«**ما على الأرض أحد يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر**»(٣).

• أفضل الذكر ▪

وأفضل الذكر هو القرآن الكريم، وهو أحسن الحديث، وأطيب القول، وقراء القرآن هم أهل الله وخاصته.

قال ﷺ : «**إنّ لله أهلين من الناس**» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**»(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه، أما إنى لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون**»(٥).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ فى المصحف**»(٦).

• أفضل الذكر بعد القرآن ▪

إن أفضل الذكر بعد القرآن الكريم هى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هى مفتاح الجنة، قال ﷺ : «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**»(٧).

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى.

(٢) رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤٠٨٧).

(٣) رواه الترمذى وأحمد عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٦٣٦.

(٤) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم عن أنس. وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٢١٦٥.

(٥) صحيح الجامع للألبانى برقم ١١٦٤.

(٦) رواه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى الشعب، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٧) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وصححه ورواه النسائى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع ١١٠٤.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا يضرك بأيهن بدأت»**[١].

وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها من كنز الجنة»**[٢].

فإن أردت أختى المسلمة أن تغرس لك أشجار فى الجنة فعليك بالتسبيح.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ألا أدلك على غراس هو خير من هذا؟ تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر يغرس لك بكل كلمة منها شجرة فى الجنة»[٣].

وأخرج أبو أحمد العسال بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«من قال سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، تلقاهن ملك، فعرج بهن إلى الله عز وجل، فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يُحيى بهن وجه الرحمن عز وجل»[٤].

• سادات الذاكرين والذاكرات •

أختى المسلمة..

إن أردت الهداية فاجعلى سادات الذاكرين والذاكرات لك أسوة وقدوة حسنة، لأنهم تخرجوا من جامعة أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية محمد ﷺ، ومن هؤلاء:

١- أبو الدرداء رضي الله عنه:

كان هذا الصحابى الجليل لا يفتر لسانه من الذكر، فقيل له: كم تسبح فى كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطىء الأصابع[٥].

٢- أبو هريرة رضي الله عنه:

عن عكرمة أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يسبح كل يوم اثنتى عشر ألف تسبيحة[٦].

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير، وابن حبان فى صحيحه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٢٠٥.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٠٧) والحاكم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٢٦١٣.

(٤) مختصر العلو ص١٠٤.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ٥٠٠ وإسناده صحيح.

(٦) سير أعلام النبلاء.

٣- أبو مسلم الخولاني:

كان يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان، ويقول: اذكر الله حتى يرى الجاهل أنك مجنون(١).

٤- مسكينة الطفاوية:

قال عمار الراهب، وكان من العاملين:

رأيت مسكينة الطفاوية فى منامى، وكانت من المواظبات على الذكر، فقلت: مرحبًا يا مسكينة، مرحبًا يا مسكينة، فقالت: هيهات يا عمار، ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر.

فقلت لها: بأى شىء نلت الجنة بحذافيرها؟ قالت: بمجالس الذكر، والصبر على الحق(٢).

٥- أم حيان السلمية:

قالت سوادة السلمية: «كانت أم حيان تقرأ القرآن فى كل يوم وليلة»(٣).

٦- حفصة بنت سيرين:

قال عبد الكريم بن معاوية: ذكر لى عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة(٤).

وكانت رحمها الله تقرأ القرآن وهى بنت ثنتى عشرة سنة، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه شىء من القرآن قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه.

• موقف أم هانىء والتسبيح •

أختى المسلمة..

لقد كانت أم هانىء رضي الله عنها تحب أن تسأل عن أعمال الخير، فتقول: دخلت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، كنت أصلى صلاة ثقلت عنها، فدلنى على عمل أعمله يأجرنى الله عليه وأنا قاعدة.

وفى رواية أخرى:

قلت: يا رسول الله، إنى قد كبرت، فمرنى بعمل أعمله يأجرنى الله عليه وأنا جالسة فقال ﷺ: **«يا أم هانىء، إذا أصبحت سبحى الله، وهلليه مائة، واحمديه مائة،**

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ٢/ ١٢٤.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٦.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٢٣.

(٤) صفة الصفوة ٤/ ١٦.

وكبريه مائة، فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة، ومائة تكبيرة كمائة بدنة تهدينها، ومائة تهليلة لا تبقى ذنبًا قبلها ولا بعدها»[١].

وفى رواية أخرى:

«سبحى الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل، واحمدى الله مائة تحميدة، فإنها تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها فى سبيل الله، وكبرى الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل مائة بدنة متقبلة، وهللى الله مائة تهليلة، فإنها تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع لأحد عمل أفضل منها إلا أن يأتى بمثل ما أتيت»[٢].

• موقف الفقراء وشكواهم لرسول الله ﷺ •

فى صحيح البخارى عن أبى هريرة ﵁ قال: جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: «ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا أحدثكم بما إن أخذتم به لحقتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير مَنْ أنتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله؟.**

تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين»[٣].

أى تقولون: سبحان الله والحمد لله وتكبرون أى تقولون: الله أكبر.

كان خالد بن معدان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات وضع على سريره ليغسل، فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح[٤].

وقيل لعمر بن هانى: ما نرى لسانك يفتر، فكم تسبح كل يوم؟.

قال: مائة ألف تسبيحة إلا أن تخطىء الأصابع[٥].

وقال عبد العزيز بن أبى داود -رحمه الله-:

كانت عندنا بمكة امرأة تسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة فماتت، فلما بلغت القبر، اختلست من أيدى الرجال.

---

(١)، (٢) رواه أحمد فى مسنده (٢٦٧٩٠) بإسناد صحيح ١٨/٣٦٣، ورواه ابن ماجه برقم ٣٨١٠ وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/٩٢: حسن.

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢١٠.

(٥) جامع العلوم لابن رجب.

يا ويح أنفسنا، أين نحن من هـؤلاء؟ نستكثر تسبـيحنا.. واعجبًـا لنا.. نعد التسبيح بسبحة؟ فهلا جعلنا لعد المعاصى أخرى![(١)].

• ذكر الله من علامات الولاية •

قال رسول الله ﷺ:

«**أوليـاء الله تعـالـى إذا رءوا ذكـر الله تعـالى**» لما ذكـر الله تعـالى، وشـغلوا به فأعطاهم فوق ما أملوا، أن كانت مجرد رؤيتـهم تذكر بالله تعالى أو حتى مجرد ذكر حديثهم.

كان الناس إذا رأوا أيوب السخـتيانى فى السوق، كبـروا لمخايل النور التى على وجهه.

ويقول جعفر: كنت كلما قسا قلبى نظرت إلى وجه محمد بن واسع.

وقـال بعض السلف: صـحـبت فى طريقى رجـلاً أسـود، فكان إذا ذكـر الله ابيض[(٢)].

---

(١) صحيح الجامع (٢٥٨٤)، والسلسلة الصحيحة ١٦٤٦.

(٢) التبصرة لابن الجوزى.

الباب رقم (٨)

مواقف إيمانية في التصدق في سبيل اللّه تعالى

واعجبًا.. يستقرض المالك قطرة من الدمع، وقد خلق سبعة أبحر ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. (البقرة: ١٠٧)

وقد بعث رسالة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ﴾. (البقرة: ٢٤٥) الكبرياء رداؤه، وهو يقـول: «استطعـمتك فلم تطعـمنى» قطع أعناق الألسن أن تعـترض بحـسام لا يسأل ثم أقبل بإنعام: «هل من سائل» ما يسعه مسكن، ويسعه قلب من تمسكن. سبحانه.. غاب عن الأبصار، وبدا للبصائر، واعجبًا يتحبب إليك وهو عنك غنى، وتتمقت إليه وأنت إليه فقير، إن تأخرت قربك، وإن توانيت عاتبك. ما آثر عليك من المخلوقات شيئًا، وأنت تؤثر عليه كل شىء..

اللطائف لابن الجوزى

• كرم عجيب •

عن أم ذرة - وكانت تغشى عائشة ﵂ قالت:

بعث معاوية بن أبي سفيان ﵁ بثمانين ألف درهم إلى عائشة، فدعت بطبق، وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسم المال بين الناس من الفقراء والمساكين، وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت:

يا جارية، هلمي فطوري، فجاءتها بخبز وزيت.

فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشترى لنا لحمًا بدرهم؟.

قالت عائشة ﵂: لا تعنفيني، لو ذكرتيني لفعلت![1].

رضى الله عن أم المؤمنين عائشة، إنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة.

فعن أبي مليكة ﵁ عن عائشة: أن جبريل ﵇ جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ، وقال له: «**هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**»[2].

إنها الطاهرة النقية التي برأها الله تعالى من فوق سبع سموات.. إنها أحب النساء إلى رسول الله ﷺ.. إنها الصوامة القوامة.. إنها التي رأت جبريل ﵇.. إنها من قبض الرسول الأعظم وهو في حجرها بين سحرها ونحرها إنها السخية الكريمة التي جادت بالآلاف.

يقول عروة بن الزبير: لقد رأيت عائشة ﵂ تقسم سبعين ألفًا، وهي ترقع درعها[3].

أختي المسلمة..

إنه والله موقف إيماني عظيم.. فقد امتلأ قلبها إيمانًا بالله.. ومحبة للخالق الأعظم جل وعلا.. حتى نسيت إلى جانب ذلك نفـ ى صائمة.. لقد بلغ سخاؤها حدًّا جعل الإمام الذهبي يقول عنها في سير أعلام النبلاء:

كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها.

---

(١) خبر صحيح: رواه ابن سعد في الطبقات ٨/٤٦، وأبو نعيم في الحلية ٢/٤٧، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/١٤، والحاكم في المستدرك ٤/١٣ بإسناد رجاله ثقات، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٠ التوفيقية.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٨٠) وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، والألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٣) الزهد لأحمد ص(٢٠٥، ٢٠٦).

• الحث على الصدقة من القرآن والسنة •

أختى المسلمة..

إنَّ المتصدقة تتعامل مع الله تبارك وتعالى الذى يعلم السر وأخفى.. والذى يخلف عليك أضعافًا مضاعفة.. قال سبحانه ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١١، ١٢].

فأى حافز للصدقة أوقع وأعمق وأعظم من شعور المعطية بأنها تقرض الغنى الحميد، وأنها يتعامل مع من خزائنه مملوءة لا تنفد أبدًا؟ وأن ما تنفقه مخلف عليها مضاعفًا، وأنّ لها بعد ذلك كله أجرًا كريمًا؟.

وقد كان يحيى بن معاذ الرازى -رحمه الله- يقول: عجبت ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٧].

والآيات كثيرة فى هذا الشأن.. ونجد السنة المطهرة قد وضحت ثواب الصدقة والإنفاق فى سبيل البر والخير أعظم توضيح.

فعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**(١).

أختى المسلمة..

ومن أعظم فوائد الصدقة أنها تقى مصارع السوء، كما قال ﷺ:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»(٢).

وكفاك أن تنالى شرف دخول الجنة فى الآخرة.. دار البقاء.. لا دار الفناء فالمال فى الدنيا يفنى وتفنى معه.. ويبقى ثوابه أو عقابه.. يوم لا تزول قدمك حتى يسألك المولى عز وجل: من أين اكتسبتيه وفيما أنفقتيه؟.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ورواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة وأحمد فى مسنده.

(٢) رواه الحاكم عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٦٨٩) والصحيحة برقم ١٩٠٨.

فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها»** قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»**(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى»**(٢).

فأنفقي أختي المسلمة.. ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً.. فليس لك من مالك إلا ما أكلت، أو لبست، أو تصدقت كما قال النبي ﷺ: **«يقول العبد: مالي مالي، وإن له من ماله ثلاثًا: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى. وما سوى ذلك، فهو ذاهب وتاركه للناس»**(٣).

أختي المسلمة..

هذا إذا كان المال ملك لك.. لكن إذا كان ملك لزوجك فلا يجوز لك أن تتصرفي فيه إلا بإذنه، وإلا فعليك أن تنفقي بالمعروف ويكون لك بذلك أجر الصدقة، ولزوجك هو الآخر، لما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها وله مثله بما اكتسبت، ولها بما أنفقت، وللخازن مثل ذلك من غير أن ينتقص من أجورهم شيئًا»**(٤).

قال النووي -رحمه الله-:

«المراد المشاركة في أصل الثواب، فيكون لهذا ثواب، ولهذا ثواب، وإن كان أحدهما أكثر، لا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء..»(٥).

أختي المسلمة..

• ما هي أنواع الصدقة؟ •

واعلمي أيتها الأخت المسلمة أن الصدقة لا تقتصر فقط على المال أو ما يقوم به، وإنما تتنوع، فالكلمة الطيبة صدقة، وطلاقة الوجه لأخواتك المسلمات، ولذوي

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ١٣٣٧، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٢٣.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

(٣) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي.

رحمك صدقة، وإعارتك الشيء لجارتك صدقة.. ونهيك عن المنكر صدقة.. وأمرك بالمعروف صدقة.. وإماطة الأذى عن الطريق صدقة.. وهذا كله قد أرشدك إليه الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ حين قال:

«كل معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وأنْ تصب من دلوك في إناء جارك»(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة، تسليمه على من لقي صدقة، وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة»**(٢).

وفي رواية: **«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة.. ويجزيء عن ذلك: ركعتان تركعهما من الضحى»**.

• موقف أغرب من الخيال •

قال الشيخ عطية سالم: «أخبرني الشيخ عبد الحميد عباس - وهو رجل فاضل لا يتهم على خبر - قال: وقع لامرأة من جماعة النخاولة، كانت تسير في طريق بضواحي قباء، فانخسف تحتها «دبل» أي مجرى الماء في قناة تحت الأرض، فسقطت، وسحبها الماء إلى جانبه، وأمسكت بحجر، وجلست عليه، ومكثت أربعة أيام، ومرَّ شخص في ذلك المكان، فسمع صوتًا فنزل وأخرجها، ثم سأل أهلها: كيف كنت تعيشين؟ فقالت:

«إنَّ طاسة الحليب التي كنت أعطيها للعجائز كانت تأتيني كل يوم».

لأن هذه المرأة كان عندها غنم، وكان لها جيران نسوة عجائز، فكانت تعطيهم «طاسة حليب» من غنمها(٣).

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبخاري في الأدب المفرد عن جابر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٣٣.

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود.

(٣) في ظلال عرش الرحمن ص١٨٩.

• أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا[(١)] •

أختى المسلمة. .

أتدرين من هذه التى بشرها النبى ﷺ قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى؟ إنها «أم المساكين» ومن أم المساكين؟.

إنها زينب بنت جحش رضي الله عنها لكن لم لُقبت بأم المساكين؟.

لقد لقبت بذلك لأنها كانت الكريمة التى حبب إليها الجود والإنفاق، فكان لا يأتيها درهم، ولا دينار، إلا أنفقته على الفقراء والمساكين.

تقول عائشة رضي الله عنها: كنا إذا اجتمعنا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمدُ أيدينا فى الحائط نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة، ولم تكن أطولنا يدًا، فعرفت أن النبى ﷺ أراد بطول اليد، الصدقة، وكانت امرأة صناعًا، وكانت تعمل بيدها، وتتصدق به فى سبيل الله[(٢)].

أختى المسلمة. .

فهذا موقف من مواقف كرمها وسخائها وبذلها للصدقات فى سبيل الله، ترويه لنا برزة بنت رافع فتقول:

«لما جاء العطاء بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش بالذى لها -أى من المال- فلما دخل عليها قالت:

غفر الله لعمر، كغيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى!.

قالوا: هذا كله لك.

قالت: سبحان الله، واستترت دونه بثوب، وقالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوبًا. . فصبوه، وطرحوا عليه ثوابًا.

فقالت لى: يا برزة، أدخلى بيدك، فاقبضى منه قبضة فاذهبى إلى آل فلان، وآل فلان من أيتامها، وذوى رحمها، فقسمته حتى بقيت منه بقية، فقالت لها برزة: غفر الله لك، والله لقد كان لنا فى هذا حظ!.

قالت: فلكم ما تحت الثوب.

---

(١) رواه البخارى (١٤١٩) ومسلم (٢٤٥٣).

(٢) صفة الصفوة ٢/٢٦، وابن سعد فى الطبقات ٨/١٠٨، والحاكم ٤/٢٥، وصححه وأقره الذهبى.

قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثلاثين درهمًا، ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا.. فكانت أول نساء النبي لحوقًا به[١].

أليس في هذا أختي المسلمة حث لك على الإنفاق في سبيل الله؟!.

أليس في هذا حض على العطاء وترك البخل، ومجانبة الأنانية وحب النفس؟!.

أختي المسلمة..

إن أردت المزيد فتدبري ما رواه محمد بن كعب القرظي قال:

كان عطاء زينب بنت جحش رضي الله عنها اثني عشر ألف درهم، ولم تأخذه إلا عامًا واحدًا، حُمِل إليها اثنا عشر ألف درهم، فجعلت تقول:

اللهم لا يدركني قابل هذا المال فإنه فتنة.. ثم قسمته في أهلها ورحمها[٢].

• محبة للإنفاق حتى الممات •

أختي المسلمة..

لقد ظلت زينب تنفق وتتصدق حتى آخر لحظة من لحظات حياتها، كما روى لنا القاسم بن محمد -رحمه الله- قال:

«قالت زينب بنت جحش رضي الله عنها حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني، ولعل عمر سيبعث إليَّ بكفن، فإن بعث بكفن، فتصدقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذا دليتموني - أي في القبر - أن تتصدقوا بحقوي - أي إزاري - فافعلوا»[٣].

أليس في هذا الموقف الإيماني العظيم دعوة للإنفاق والتصدق في وجوه الخير؟!.

أليست تستحق أم زينب أن تلقب بـ (أم المساكين)؟.

• فرق بين جود عائشة وأسماء رضي الله عنهما •

فعن عبد الله بن الزبير، قال:

ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء وجودهما مختلف، أما عائشة

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/٢٥، وابن الأثير في أسد الغابة ٥/٢٩٦ وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٨٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/١٠٩.

فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء، فكانت لا تمسك شيئًا لغد[١].

كيف لا يكونان كذلك وقد كان أبوهما أبو بكر الصديق من أكرم الناس بل لقد كان من أسبق أصحاب النبي ﷺ إلى الخيرات، فلننظر مليًّا هذه الصورة المضيئة في بذل المال والسبق إلى الخيرات.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت اليوم أسبق إن سبقته يومًا فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**».

قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله: «**ما أبقيت لأهلك؟**».

قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا.

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٣١، ورواه البخاري.

الباب رقم (٩)

مواقف إيمانية

في

١ - مراقبة الله تعالى.

٢ - عدم غش المسلمين.

٣ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤ - حسن اختيار الزوجة.

• فتاة تلقن الأمة درساً •
فى
• مراقبة الله عز وجل •

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب قـال: بينما أنا مع عمر وهو يعسُّ المدينة، إذا أعيا، فاتكأ إلى جانب جدار فى جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها:

يا ابنتاه، قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء.

فقالت البنت: يا أمتاه، أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟

قالت: وما كان من عزمته يا بنية؟

قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يُشاب - أى لا يخلط - اللبن بالماء.

فقالت لها: يا بنية قومى إلى ذلك الـلبن، فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر.

فقـالت البنت لأمها: يا أُمـتاه، والله ما كنت لأطيـعه فى الملأ، وأعصـيه فى الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك، فقال:

يا أسلم، امض إلى الموضع، فـانظر من القـائلة، ومن المقول لهـا، وهل لهم بعل؟ فـأتيت الموضع، فإذا الجـارية أيم لا بعل لهـا، وإذا تيك أمهـا، وإذا ليس لهم رجل، فأتيت عمـر بن الخطاب فأخبرته، فدعى عـمر ولده، فجمعـهم، فقال: هل فيكم من يحتـاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان بأبيكم حـركة إلى النساء ما سبـقه فيكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله بن عمر: لى زوجة.

وقال عبد الرحمن بن عمـر: لى زوجة. وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لى، فزوجنى فبـعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فـولدت لعاصم بنتًا، وولدت البنت «الابنة» عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى-(١).

أختى المسلمة..

هذه الفتاة المؤمنة نتعلم منها أعظم درس وهو «مراقبة الله تعالى».

إنه موقف إيمانى عظيم.. ينبغى لكل مسلمة وكل مسلم أن يتعلم هذا الدرس العظيم، فما هى المراقبة؟.

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح للعلامة أبى الفضل سبط الإمام أبى الفرج ابن الجوزى ص١٦٥ دار الصحابة، وصفة الصفوة لابن الجوزى، وذكره فى سير ومناقب عمر بن الخطاب ص٧٥.

• منزلة المراقبة •

أختي المسلمة. .

المراقبة: دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين: هو «المراقبة» وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله. هو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين.

قال إبراهيم الخواص: المراقبة، خلوص السر والعلانية لله عز وجل.

المراقبة: «هي التعبد باسمه تعالى «الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير». فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة. . فمن راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه.

قال ذو النون -رحمه الله-: علامة المراقبة، إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله[١].

إذن المراقبة هي: أن يعلم المرء أن الله معه ومطلع عليه ويراه في جميع حركاته وسكناته. . قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ولذلك لما سأل جبريل رسولنا محمد ﷺ، فقال له: وما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»[٢].

فكأن الإحسان المذكور في الحديث قرين للمراقبة. . وقد قال ﷺ: «**اتق الله حيث ما كنت**»[٣] أي في أي مكان كنت، وفي أي زمان كنت.

• المراقبة وحلاوة الطاعة •

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

ومراقبة الله عز وجل تجلب العمل لمرضاته، والأنس به سبحانه وتعالى، ومن

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم بتصرف ٢/ ٦٥ ط/ دار الكتاب العربي.
(٢) جزء من حديث رواه مسلم وأحمد والبخاري وغيرهم.
(٣) رواه الترمذي وأحمد بإسناد صحيح، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٧.

هنا يشعر العبد بالسعادة والسرور، فإن سرور القلب بالله، وفرحه به، وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة.. وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة.. حتى قال بعض العارفين:

إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب.

ولا ريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز وجل، وبذل الجهد في طلبه، وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور، ولا شيئًا منه، فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة.. من لم يذقها، فليرجع، وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان.

وقد ذكر النبي ﷺ ذوق طعم الإيمان، ووجدان حلاوته، فذكر الذوق والوجد، وعلقه بالإيمان، فقال ﷺ: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً»**(١)، وقال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**(٢).

ويقول: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور، يعني أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة وانشراح وقرة عين، وحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول(٣).

• مراقبة الله في الخلوة •

أختي المسلمة..

مراقبة الله تعالى في الخلوة شيء واجب على المؤمن والمؤمنة.. فهو الذي يراك في الخلوات قال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

وعن مالك بن دينار -رحمه الله- قال:

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٦٧، ٦٨ بتصرف.

جنات عدن من جنات الفردوس، وفيها حور خلقن من ورد الجنة، قيل له: ومن يسكنها؟ قال: يقول الله عز وجل:

«وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصى ذكروا عظمتى، فراقبونى، والذين انثنت أصلابهم من خشيتى.. وعزتى وجلالى، إنى لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتى صرفت عنهم العذاب»[١].

وقال الإمام ابن الجوزى فى صيد الخاطر:

«.. كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات، فيترك ما يشتهى حذرًا من عقابه، أو رجاءً لثوابه، أو إجلالاً له.. فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هنديًّا على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو! وعلى قدر المجاهدة فى ترك ما يهوى تقوى المحبة.. أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب.. ويتفاوت تفاوت العود[٢].

• تعلمى المراقبة من شاب يرعى أغنامًا •

أختى المسلمة..

هيا بنا نتعلم درسًا فى مراقبة الله تعالى فى الخلوات من شاب يرعى غنمًا.. يروى لك قصة هذا الشاب نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فيقول: خرج ابن عمر فى بعض نواحى المدينة، ومعه أصحاب له، فمر بهم راعى غنم، قال: فسلم، فقال له ابن عمر: هَلُمّ يا راعى، فأصب من هذه السفرة، فقال له: إنى صائم.

فقال ابن عمر: أتصوم فى هذا اليوم الحار الشديد سمومه، وأنت فى هذه الحال ترعى هذه الأغنام؟.

فقال له: إني والله، أبادر أيامى هذه الخالية، فقال له ابن عمر، وهو يريد أن يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه، فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها، فتفطر عليه؟!.

فقال: إنها ليست لى بغنم، إنها غنم سيدى، قال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدها؟ فقل: أكلها الذئب.

فولى الراعى عنه، وهو رافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟!.

---

(١) إحياء علوم الدين ٥/ ٥٠ للغزالى ط/ دار الفجر.

(٢) صيد الخاطر لأبى الفرج بن الجوزى.

أختى المسلمة..

هذا موقف إيمانى عظيم فى مراقبة الله تعالى نتعلمه من هذا الشاب الراعى، فما كان جزاء ورعه، ومراقبته لله عز وجل؟.

قال نافع: فجعل ابن عمر يردِّد قول الراعى، وهو يقول: فأين الله؟! حتى قدم المدينة، بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعى، فأعتق الراعى، ووهب له الغنم.. وقال له: هذه الكلمة أعتقتك فى الدنيا، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة(١).

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غداً للناظرين قريب

• شيخ يعلم تلاميذه كيف يراقبوا الله! •

قد كان لأحد المشايخ تلاميذ وطلاب علم، فأراد أن يلقنهم درسًا فى مراقبة الله عز وجل، فدعا بعدة طيور، وناول كل واحد منهم طائراً وسكينًا وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه فيه أحد.. فرجع كل طالب بطائره مذبوحًا إلا طالب واحد، فقد رجع بطائره دون أن يذبحه.

فقال له الشيخ: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟.

فقال: لم أجد موضعًا لا يرانى فيه أحد.. إذ الله مطلع علىَّ فى كل مكان.. فاستحسن الشيخ منه ذلك(٢).

• نبى الله يوسف.. ومراقبة الله تعالى •

حكى أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام.. وقبل أن تراوده عن نفسها، قامت تغطى وجه صنم كان لها.. فقال لها يوسف: مالك؟! أتستحين من مراقبة جماد، ولا أستحى من مراقبة الملك الجبار؟!.

وحكى أن شابًا راود جارية عن نفسها، فقالت له: ألا تستحى؟ فقال: ممن أستحى وما يرانا إلا الكواكب؟.

قالت: فأين مكوكبها؟!(٣).

(١) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء ١/ ٢٩٤، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥٢٩١)، والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٦، والهيثمى فى المجمع مختصراً عن مالك بن دينار وقال: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

(٢)، (٣) إحياء علوم الدين ٥/ ٥٠ بتصرف.

إذا ما خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

• النبي ﷺ يعلم أمته درسًا في المراقبة •

أختي المسلمة..

وها هو سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وشفيعنا يوم الدين، يلقن الأمة درسًا في كيفية مراقبة الله تعالى، فيقول ناصحًا وموصيًا: «**استحيوا من الله حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء**»[١].

وقال ﷺ: «**ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت**»[٢].

• مراقبة الله تجعل المؤمن لا يأكل إلا الحلال الطيب •

أختي المسلمة..

إنّ الواجب عليك وعلى كل مسلم ومسلمة أن يسلك سبل الحلال، وينأى عن مواطن الشبهة.. فلا تأكلي إلا الحلال الطيب.. واجتهدي أن لا يدخل بيتك إلا الحلال.. يقول النبي ﷺ: «**يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال، من حلال أو حرام؟**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل منه فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر.. فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته.. فلقيني، فأعطاني ذلك الذي أكلت منه.. فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه»[٤].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٩٣٥.
(٢) رواه ابن حبان في روضة العقلاء، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٥٥.
(٣) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٨٠٠٣.
(٤) رواه البخاري (٣٨٤٢).

• الدرس الثانى •
• عدم غش المسلمين وخداعهم •

الأخت المسلمة . .

يبدو فيما هو ظاهر فى موقف الفتاة مع أمها أنها كانت «تاجرة» تبيع اللبن وهذا لا مانع منه شرعًا، بل لقد حث ديننا الحنيف على الكسب الحلال من التجارة وغيرها، قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ..﴾ [المزمل: ٢٠].

ومن وصية لقمان لابنه:

«يا بنى، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة فى دينه، وضعة فى عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذا استخفاف الناس به».

وقد كان أصحاب النبى ﷺ يتجرون فى البر والبحر. . ويعملون ليعفوا أنفسهم ومن يعولون عن الحرام.

قال أبو سليمان الدارانى: ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يقوتك، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد.

لكن هناك صفات ينبغى لمن يتاجر أن يتصف بها، سواء كان ذلك رجل أو امرأة فما هى هذه الصفات؟.

• صفات من يعمل بالتجارة •

أختى المسلمة . .

هيا بنا لنتعرف على بعض الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها التجار فى معاملاتهم:

١ - الصدق:

والصدق سبب الخير ومفتاح البركة، قال ﷺ: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»**[1].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وغيره، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٢٨٩٢.

فعلى من تعمل بالتجارة فى أى سلعة من السلع أن تتحرى الصدق، فلا تكذب، ولا تحلف كاذبة، فقد قال ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**»(١).

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر**»(٢).

وقال ﷺ: «**التجار هم الفجار**» قالوا: يا رسول الله، أليس قد أحل الله البيع؟ قال: «**بلى، ولكنهم يحلفون، فيأثمون، ويحدثون فيكذبون**»(٣).

٢- الأمانة:

فلو قامت بوضع ماء على اللبن كما أمرت الفتاة اعتبرت غاشة للمسلمين، والغش خيانة، وقد نفى النبى ﷺ الإيمان عن من لا أمانة لها، فقال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(٤).

وقد وصف النبى ﷺ الأمناء الصادقين وبين جزاءهم بقوله: «**التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**»(٥).

٣- البعد عن الشبهات:

ولذلك يقول النبى ﷺ: «**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام..**»(٦).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا حجابًا بينه وبين الحرام.

إنَّ الحياة مزارع　　فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى　　آثارهم والعين تفقد
والمال إن أصلحته　　يصلح وإن أفسدته يفسد

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده، وابن حبان فى صحيحه.
(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.
(٣) رواه البيهقى فى الآداب برقم ١١٠٠ وإسناده صحيح.
(٤) رواه أحمد فى مسنده، والبيهقى فى سننه، وابن حبان فى صحيحه، والبغوى فى شرح السنة وحسنه.
(٥) رواه الترمذى (١٢٠٩)، والحاكم عن أبى سعيد وإسناده حسن.
(٦) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

٤- عدم الغش:

قال ﷺ : «**من غشنا فليس منا**»(١).

وقال: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار**»(٢) وقد ذهب كثير من العلماء كالإمام الذهبي وغيره إلى أن الغش والمكر والخداع من الكبائر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ رجلاً حمل معه خمراً في سفينة ومعه قرد، فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه، فأخذ القرد الكيس، فصعد به فوق الدقل** -أي شراع السفينة- **فجعل يطرح ديناراً في البحر، وديناراً في السفينة حتى قسمه**»(٣).

قال ابن الجوزي:

كان لبّانٌ يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت القطرات فصارت سيلاً، ولسان الجزاء يناديه: يداك أوكتا وفوك نفخ.

٥- التحلي بالقناعة:

فينبغي لمن يعمل بالتجارة رجل أو امرأة أن يتحلى بالقناعة، ويتجنب الجشع، لأن الجشع مرض خطير، وهو الحرص الشديد على الحصول على المال ولو بطريق غير مشروع، فيصل الإنسان بذلك إلى مرتبة الحيوان، قال تعالى واصفًا الكفار: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ [محمد: ١٢]

وقال ﷺ محذراً من هذا المرض: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**»(٤).

وما أجمل قول الإمام النووي -رحمه الله-:

وجدت القناعة أصل الغنى ... فصرت بأذيالها متمسك

فلاذا يراني على بابه ... ولاذا يراني به منهمك

وعشت غنيًا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

(١) رواه ابن ماجه في سننه، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٨٣.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٨٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨٠٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب وعزاه للبيهقي، وإسناده حسن.

(٤) رواه البخاري وأحمد وابن ماجه والترمذي.

• الدرس الثالث •

• الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

ففى موقف الفتاة مع أمها «بائعة اللبن» درس إيمانى عظيم حيث أمرت الفتاة أمها بالمعروف، ونهتها عن المنكر، وهو غش اللبن، وذلك بأسلوب طيب لقوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: ١٢٥].

فينبغى أختى المسلمة على من تعمل بالتجارة وغيرها أن تتعلم أسس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من هذه الفتاة، قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد حدد وعدد ﷺ مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

فتلك الفتاة المباركة نهت عن المنكر بلسانها، لأنها استطاعت ذلك.. واعلمى أن ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمر خطير، يؤدى إلى غضب الله جل وعلا، قال ﷺ:

«**والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده ثم لتدعنَّه فلا يستجاب لكم**»(٢).

• الدرس الرابع •

• أهمية اختيار الزوجة ذات الدين •

فقد جمع عمر بن الخطاب ؓ أبناءه وقال لهم: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟.

ويبين شدة حرصه على الزواج من هذه الفتاة المؤمنة.. فيقول: ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه فيكم أحد إلى هذه الجارية.

وما ذاك إلا لأنه وجدها ذات دين، وقد حث النبى ﷺ أولياء الأمور.

فقال كما فى حديث عائشة ؓ: «**تخيروا الأكفاء لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم**»(٣).

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى وأحمد.

(٢) رواه الترمذى، وحسنه البيهقى فى الشعب.

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والحاكم، وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم ١٠٦٧.

ومن الأسس الكريمة التى بينها المصطفى ﷺ لاختيار الزوجة أن يتم تفضيل ذات الدين على غيرها، كما فى الحديث:

«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١).

فالدين والتقوى هما الأصل فى اختيار الرجل لزوجته.. لأن المرأة الصالحة المتدينة عون لزوجها على دين الله، كما في حديث رسول الله ﷺ: **«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى النصف الباقى»**(٢) وقال ﷺ: **«الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»**(٣).

أختى المسلمة..

ولأجل اختيار الزوجة الصالحة المتدينة، زوج عمر بن الخطاب ابنه عاصم فولدت له بنتًا، وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذى قال عنه الشافعى رضي الله عنه: بأنه خامس الخلفاء الراشدين.

وقد قيل: إنَّ عمر بن الخطاب بشر به قبل موته، فقال: «إن من ولدى رجلاً، بوجهه شتر، يملأ الأرض عدلاً»(٤).

عمر بن العزيز الذى يَوم تولى الخلافة دخلت عليه فاطمة امرأته، فإذا هو فى مصلاه، يده على خده، سائلة دموعه، فتقول له: يا أمير المؤمنين، الشىء حدث؟ فيقول: يا فاطمة، إنى تقلدت أمر أمة محمد ﷺ، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع والعارى المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير وذى العيال فى أقطار الأرض، فعلمت أن ربى سيسألنى عنهم، وأن خصمهم دونى محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لى حجة عند خصومته، فرحمت نفسى فبكيت(٥).

عمر بن عبد العزيز.. الذى عندما تولى خلافة المسلمين، قدمت إليه الخيل، فقيل له: هذه مراكب الخلافة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد والبيهقى وابن حبان.

(٢) رواه الحاكم ٢/ ١٦١، وصححه ووافقه الذهبى، وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٦٢٥).

(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه (١٨٥٥) وابن حبان (٤٠٢٠).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ٥/ ٥٦٨، وابن سعد فى الطبقات ٣/ ١٦١.

(٥) المرجع السابق ٥/ ٥٧٩.

فقال: مـالي ومالها، نَحُوهـا عني، وقربوا إليّ بغلتي.. فقربت إليـه بغلته.. فجاء صـاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة.. فـقال: تنح عنى مالى ولك أنا رجل من المسلمين.. ثم أمر بالستور فهتكت، والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فأمر ببيعها وإدخال ثمنها بـيت مال المسلمين.. ثم ذهب ليقيل - أى لينام وقت القـيلولة - فأتاه ابنه، وقال له: يا أمير المؤمنين، تقيـل ولا ترد المظالم.. فقال: أى بنى، إنى سهرت البارحة فى أمر عمك سليمـان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم فقال له: من لك أن تعيش إلى الظهر.

ثم قال لابنه: ادن منى يا بنى، فـدنا منه، فالتزمه، وقبَّل بين عـينيه.. وقال: الحـمـد لله الذى أخـرج من صلبى من يعـيننى عـلى دينى، وخـرج ولم ينم، وردَّ المظالم[1].

عمر بن عبد العزيز.. الذى اصطلح فى زمانه الذئب مع الشاة..

عمر بن عبد العزيز.. الذى ملأ طباق الأرض عدلاً ورحمة..

عمر بن عبد العزيز.. الذى خرجت حبـة القمح فى عصره مكتوبًا عليها: هذا قمحنا فى عصر العدل.

يوم أن حضرته الوفاة.. وكان قـد ترك أولادًا، ولـم يترك لهم شىء، فقيل له: هؤلاء بنوك، ألا توصى لهم بشىء، فـإنهم فقراء، فـقال: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وهم بين رجلين: إما صالح فـالله يتولى الصالحين.. وإما غـير صالح، فكيف أدع لهم مالاً يستعينون به على معصية الله عز وجل.

اللهم نور دنيانا بنور من توفيقك، واقطع أيامنا فى الاتصال بك، وانظم شتاتنا فى سلك طاعتك.. عجبًا لمن عـرفك ثم أحب غيرك.. ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك. إلهى.. ارحمـنى فى حشرى ونشـرى.. واجعل فى ذلك اليـوم من أوليائك موقفى وفى أحبائك مصدرى.. وفى جوارك مسكنى.. يا رب العالمين.

(١) ذكره أبو نعيم فى الحلية ٥/٣٥٦، وابن الجوزى فى الجليس الصالح ص١٦٦.

الباب رقم (١٠)

مواقف إيمانية في العفة والمحافظة على الأعراض

▪ هكذا تفنى الشهوات وتنقطع اللذات ▪

أختى المسلمة..

هيا بنا لنتوقف مع هذا الموقف الإيمانى المهيب فى العفة والاستعفاف، ويروى لنا هذا الموقف الإمام ابن الجوزى -رحمه الله- فيقول:

قال محمد بن عبد الله بن زيد: حدثتنى أمى عن أبيها قال: أحببت جارية من العرب وكانت ذات عقل وأدب، فمازلت أحتار فى أمرها حتى اجتمعت معها فى ليلة مظلمة شديدة السواد فى موضع خال، فحادثتها ساعة، ثم دعتنى نفسى إليها، فقلت: يا هذه، قد طال شوقى إليك.

قالت: وأنا كذلك. قلت: قد عسر اللقاء.

قالت: ونحن كذلك!.

قلت: هذا الليل قد ذهب والصبح قد اقترب.

قالت: هكذا تفنى الشهوات، وتنقطع اللذات.

قلت: لو أدنيتني منك؟!.

قالت: هيهات هيهات! إنى أخاف العقوبة من الله.

قلت: فما الذى دعاك إلى الحضور معى فى هذا المكان؟.

قالت: شقوتى وبلائى!.

قلت: فمتى أراك؟.

قالت: ما أرانى أنساك، فأما الاجتماع معك فلا أراه يكون.. ثم تولت من بين يدى، فاستحييت مما سمعت منها، فرجعت وقد خرج من قلبى ما كنت أجد من حبها، ثم أنشأت أقول:

توقت عذابًا لا يطاق انتقامه ... ولم تأت ما تخشى به أن تعذّبا
وقالت مقالاً من شدة الحيا ... أهيم على وجهى حبًّا وتعجبا
ألا أف للحب الذى يورث العمى ... ويورد ناراً لا تمل التوثبا
فأقبل عَودى فوق بدء منكرا ... وقد زال عن قلبى العمى فتسربا

قال: فلم أر امرأة كانت أصون منها لدينها ولا أعقل[1].

---

(١) ذم الهوى ص٢١٦ لابن الجوزى ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

أختى المسلمة..

لقد اتفق الأصوليون على جميع الأديان السماوية عملت على توفير العفة والحفاظ عليها ضمن ما يسمونه بـ «الكليات الخمس» أو الست والتى لابد منها لكل مجتمع وهى: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ النسب، وحفظ المال.

ولحفظ العرض حرم الإسلام وسائر الأديان «الزنا» ولكن الإسلام اعتنى بهذا الأمر أشد اهتمامًا، لأنه خاتم الأديان، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وفى تعبير القرآن الكريم بقوله: «ولا تقربوا» غلقًا وسدًّا لهذا الباب بسياج منيع من جميع جوانبه، وتحريمًا لكل نافذة تطل عليه، ابتداءً من نظرة بعين ثم خطرة بالقلب، ثم همسة بالأذن، أو خلوة بأجنبى.

وشدد عقوبته وجعلها من أفظع العقوبات.. فإن أردت معرفة ذلك فاخرجى إلى النور واقرئى سورة النور.

• فما فضل العفة؟ •

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٣].

والاستعفاف: طلب العفة، واختيار طريق الفضيلة التى من وسائلها ما أشار إليه سبحانه فى قوله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..** ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال صاحب الكشاف: «وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولاً: بما يعصم من الفتنة، ويبعد عن مواقعة المعصية، وهو غض البصر. ثم بالنكاح الذى يحصن به الدين، ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء، وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق الله القدرة عليه».

قال الإمام الغزالى -رحمه الله-:

واعلم أنى تأملت هذه الآية، فإذا فيها مع قصرها ثلاثة معان عزيزة: تأديب وتنبيه وتهديد، فأما التأديب فقوله: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ**

أَبْصَارِهِمْ﴾ ولابد للعبد من امتثال أمر السيد، والتأدب بآدابه، وإلا فيكون سيئ الأدب، فيحجب. . وأما التنبيه، فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

وأما التهديد، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(١).

وقد نفر النبي ﷺ من إطلاق البصر، وسمى النظر المحرم زنا، فقال ﷺ: **«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**(٢).

ووعد النبي ﷺ من غض بصره عن الحرام بالجنة، فقال: **«اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، غضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»**(٣).

وقد جعل النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله حيث يكون الناس في حر الموقف، وقد اقتربت الشمس من رءوسهم، جعل العفيف الشريف منهم، فقال:

«سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٤) ومعنى دعته: أي أمرته إلى الزنا بها.

وخص المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في حديث الثلاثة الذين آواهم الغار، واطبقت عليهم الصخرة، وأخذوا يتضرعوا إلى الله ويتوسلوا بصالح أعمالهم. . قال:

«.. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء فطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار

---

(١) منهاج العابدين للإمام الغزالي ص٢٨، ٢٩ ط/ الحلبي.

(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما، وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٤٧٦.

(٣) صحيح الجامع للألباني برقم ١٢٢٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٩٦٢٨)، ورواه البخاري ومسلم.

فجئتها بهـا، فلما قعدت بين رجليـها قالت: يا عبـد الله، اتق الله، ولا تفض الخاتـم إلا بحقه، فقمت عنها، وتركت المائة دينار، فـإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. ففرج الله لهم فرجة..»[١] الحديث.

فقد توسل هذا الرجل بعفـته من الوقوع فى الزنا بابنة عمه التى أحبـها، فقبل الله توسله وفرج كربه.

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: **«ثلاثة حق علـى الله عـونهم: الناكح الذى يريد العفاف، والمكاتب الذى يريد الأداء، والغازى فى سبيل الله»**[٢].

• فى الزواج عفة وصيانة •

أختى المسلمة..

فى الزواج حصن للفرج، وصيانة للأعراض، ولهذا أرشد إليه ﷺ من يستطيع مؤنه، فقال: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكـم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**[٣].

وروى مسلم فى «صحيحه» عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى امرأة، فأتى زينب، فقضى حاجته منها، وقال:

«إنَّ المرأة تقبل فـى صورة شيطان، وتدبر فى صـورة شيطان، فـإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما فى نفسه»[٤].

وهذا هو الدواء الناجح، وعلى ولى أمر الفتاة أن ييسره، وعلى ولاة الأمور أن يساعـدوا المحتاجين للزواج، ولذا يأمـر الله الجماعة المسـلمة أن تعين من يقف المال، ويكون الفقر عقبة فى طريق نكاحهم فيقول: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور: ٣٢].

فعن عائـشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«أعظم النكاح بركـة أيسره مـؤنة»** وفى حديث الترمـذى وغيره: **«إذا أتاكم من ترضون دينـه وخلقه فزوجـوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»**[٥].

---

(٤) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه، والنسائى والحاكم وصححه.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذى (١٠٨٥)، وحسنه ابن ماجه (١٩٦٧).

• يوسف عليه السلام كان مثالاً للعفة •

أختي المسلمة. .

فقد أكرم الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام بأن حسن خَلقه وخلقه، قال ﷺ: «أعطى يوسف شطر الحسن»(١) لأجل هذا افتتنت به امرأة العزيز كما حدث الكتاب العزيز، فقال سبحانه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فلله در نبى الله يوسف عليه السلام فى موقفه مع امرأة العزيز، لقد كان مثالاً للعفة، فكل الظروف من حوله كانت تدفعه دفعًا إلى الفاحشة. . فقد كان شابًا عزبًا، غريبًا، والغريب لا يستحى من الناس، لأنهم لا يعرفونه. . وكان عبدًا. . والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر. . وهى سيدته. . وهى الآمرة. . فدافع الشهوة أكبر حين تكون هى الآمرة الطالبة، وهى حسناء جميلة وقد غاب الرقيب. . وغلّقت الأبواب. . وتهدده بالسجن إن لم يفعل. . وتكرر التهديد أكثر من مرة. . ومع هذا كله يرفع يده إلى الله عز وجل ويناجيه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

• براءة يوسف عليه السلام •

أختي المسلمة. .

ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] قد يفهم منه مرضى القلوب أن يوسف عليه السلام همّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همت هى به منه.

لكن القرآن الكريم بين براءته عليه السلام من الوقوع فى ذلك، فقد برأه الله تعالى واعترف إبليس ببراءته، واعترفت المرأة والشهود والنسوة ببراءته.

أما إعتراف المرأة بذلك ففى قولها للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢].

وأما اعتراف زوج المرأة بذلك ففى قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن أنس، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٠٧٣.

أما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٨].

أما شهادة رب العالمين تبارك وتعالى ففي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وهذه الشهادة تتضمن البراءة أربع مرات:

أولها: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة.

ثانيًا: قوله: ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ أي وكذلك لنصرف عنه الفحشاء.

ثالثًا: قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ وقد قال سبحانه في صفة عباد الرحمن: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

والرابع: قوله: ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان:

قراءة باسم الفاعل -أي بكسر اللام- وقراءة باسم المفعول -أي بفتح اللام.

فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيًا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص.

ووروده باسم المفعول يدل على أنَّ الله تعالى استخلصه لنفسه، واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين، فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهًا عما أضافوه إليه.

● أما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فقد أقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من سادات المخلصين، بنص القرآن الكريم.

● أما شهادة النسوة فقد قال تعالى: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١][1].

قال الفخر الرازي:

«هؤلاء الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعل منهم من يقول: كنا في أول الأمر تلامذة إبليس، إلى أن تخرجنا عليه فزدنا في السفاهة عليه، كما قال الخوارزمي:

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ١٧/ ٢٧.

وكنت أمرأ من جند أبليس فارتقى بى الدهر صـار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدى[١]

إذن فما تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا..﴾ [يوسف: ٢٤].

قال الإمام الرازى: الجواب من وجهين:

الأول: أن المراد بهمّ يوسف بها: خاطر قلبى صرفه عنه وازع التقوى.

وقال بعضهم: هو الميل الطبيعى، والشهوة الغريزية المزمونة بالتقوى، وهذا لا معصية فيه، لأنه أمر جبلى، لا يتعلق به التكليف كما فى الحديث عنه ﷺ أنه كان يقسم بين نسائه، فيعدل، ثم يقول: «**اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك**» يعنى ميل القلب الطبيعى.

ومثال هذا ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد مع أنَّ تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم، وقد قال ﷺ: «**من هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة**» لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفًا من الله، وامتثالاً لأمره كما قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ﴾ [النازعات: ٤٠].

وهمَّ بنى حارثة وبنى سلمة بالفرار يوم أحد، كهم يوسف هذا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] لأن قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ يدل على أن ذلك الهم ليس بمعصية، لأن اتباع المعصية بولاية الله للعاصى -لو كان هذا الهم معصية- إغراء على المعصية.

بخلاف همَّ امرأة العزيز، فإنه همّ عزم وتصميم بدليل أنها شقت قميصه من دبر، ومثل هذا التصميم على المعصية: معصية يؤاخذ بها صاحبها بدليل الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار**». قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**» فصرح أن تصميمه وعزمه على قتل صاحبه معصية أدخله الله بسببها النار.

• عفاف كعفاف يوسف عليه السلام •

خرج سليمان بن يسار وأخوه عطاء حاجين من المدينة ومعهم أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقى

(١) المصدر السابق ١٧/ ٢٨.

عطاء بن يسار قائمًا فى المنزل يصلى، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها ظن أن لها حاجة، فأوجز فى صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟

قالت: نعم. قال: وما هى؟

قالت: قم فأصب منى، فإنى قد ودقت، ولا بعل لى.

فقال: إليك عنى، لا تحرقينى ونفسك بالنار.. وجعلت المرأة تراوده عن نفسه وتأبى إلا ما تريد، فجعل عطاء يبكى ويقول:

إليك عنى.. إليك عنى.. واشتد بكاؤه، فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، فجعل يبكى والمرأة بين يديه تبكى.

فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء والمرأة بين يديه تبكى، جلس يبكى فى ناحية البيت لبكائهما، ولا يدرى ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً، كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكى لبكائهم لا يسألونهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعربية ذلك قامته فخرجت، وقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالاً له وهيبة منه، وكان أسن منه، ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينما عطاء ذات ليلة نائم، إذا استيقظ وهو يبكى!.

فقال له سليمان: ما يبكيك يا أخى؟ فاشتد بكاؤه قال: ما يبكيك يا أخى؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال: ما هى؟ قال: لا تخبر بها أحدًا ما دمت حيًّا.

قال: وما ذاك؟ قال: رأيت يوسف النبى، فجئت أنظر إليه فيمن ينظر فلما رأيت حسنه بكيت! فنظر إلىَّ فى الناس، فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟.

قلت: بأبى أنت وأمى ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن، وفرقة الشيخ يعقوب عليه السلام، فبكيت من ذلك، وجعلت أتعجب منه، فقال عليه السلام: فهلا تعجبت من صاحب المرأة بالأبواء؟ فعرفت الذى أراد، فبكيت، واستيقظت باكيًا.

قال سليمان: يا أخى! وما حال تلك المرأة؟

قال: فقص عليه عطاء القصة فما أخبر سليمان بها أحدًا حتى مات عطاء وحدث بها بعده امرأة من أهله، وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان ابن يسار(١).

(١) ذم الهوى لابن الجوزى ص٢٠٢، والرقة والبكاء ص١٩٨ - ٢٠٠، وصفة الصفوة ٢/ ٤٧، ٤٨.

• نساء عفيفات •

• دع ذلك ليوم التغابن:

قـال خارجـة بن زياد - وهو رجل من بني سليـمـة - هويت من الحي فكنت أتبعها إذا خرجت من المسجد، فعرفت ذلك مني، فقالت لي ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلت: نعم. قالت: وما هي؟ قلت: مودتك.

قالت: دع ذلك ليوم التغابن.

قال: فأبكتني والله فما عدت إلى ذلك[١].

• أنام رب العالمين؟!:

قال ابن الجوزي -رحـمه الله-: بلغنا أن بعض العابدات البـصريات وقعت في نفس رجل مهلبي - أي من بني مهلب - وكانت جميلة، وكانت تخطب فتأبى، فبلغ المهلبي أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكتر - أي يؤجر - من فلان المهلبي، فاكترت المرأة منه، فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: ما هو إلا ما تسـمعين، والله ما أنا بحـمَّال، ولا خرجت في هـذا إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقى في الرجال أحد لم ينم؟.

قال: لا. قالت: عُد فانظر، فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحد إلا وقد نام.

فقالت: ويحك أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة.

وخرَّ المهلبي مغشيًا عليه، ثم قـال: ويحي قتلت نفسًا ولم أبلغ شـهوتي، فخرج هاربًا![٢].

• هل بقي باب لم تغلقيه؟!:

قال أبو محمد الشيباني: كـان بالبصرة رجل أكّار -أي حرّاث- وكانت له امرأة جمـيلة حسناء كثيرة الشحم، فـوقعت في نفـسه، فركب زبيـديته إلى قصـره وقال للأكار: القط لنا من الرطب وصيره في الدواخل، ثم قال له: ائت به فـلانًا وفلانًا، فذهب به، فلما مضى قال لامرأته: أغلقي باب القصر، فأغلقته، ثم قال لها: أغلقي كل باب، ففعلت، فقال لها:

هل بقي باب لم تغلقيه؟!

---

(١) ذم الهوى ص٢١٥.

(٢) ذم الهوى ص٢١٩.

قالت: نعم، باب واحد لم أغلقه.

قال: وأى باب هو؟ قالت: الباب الذى بيننا وبين الله عز وجل.

فبكى ثم قال: عَرِقًا وانصرف، ولم يواقع الخطيئة(١).

• فأين مكوكبها؟

قال أعرابى: خرجت فى بعض الليالى المظلمة، فإذا أنا بجارية كأنها علم فأردتها على نفسها، فقالت: ويلك! أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين! فقلت: إيها! والله ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها؟!(٢).

• امرأة عفيفة:

قال سعيد بن جبير: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أمسى أخذ درته، ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئًا ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلة يعس إذ مرَّ بامرأة على سطح وهى تقول:

تطاول هذا الليل تسرى كواكبه ... وأرقنى أن لا ضجيع ألاعبه

فوالله لولا الله لا شئ غيره ... ليفض من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيبًا موكَّلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: لهان على عمر بن الخطاب ما لقيت الليلة، فضرب باب الدار، فقالت: ما هذا الذى يأتى إلى امرأة مغيبة - أى غاب زوجها - هذه الساعة؟ فقال: افتحى، فأبت، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحى فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت ما أنت أمير المؤمنين، فرفع بها صوته وجهر لها، فعرفت أنه هو، ففتحت له، فقال: هيه، كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت.

فقال: أين زوجك؟

قالت: فى بعث كذا وكذا.. فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرح فلان بن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك، ثم دخل على حفصة، فقال: أى بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟.

فقالت: شهر أو اثنين أو ثلاثة وفى الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث(٣).

---

(١)، (٢) ذم الهوى ص٢١٦، ٢١٧ لابن الجوزى.

(٣) روضة المحبين لابن القيم ص١٩٦، ١٩٧ دار التوفيقية، وذم الهوى لابن الجوزى مختصراً ص٢٢٣، ٢٢٤.

• الأجل ليس بيدى:

قال أبو سعد: إنَّ رجلاً أحب امرأة فأحبته، فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه، فقال: إنَّ أجلى ليس بيدى، وأجلك ليس بيدك، فربما كان الأجل قد دنا، فنلقى الله عاصين، فقالت: صدقت، فتابا وحسنت حالتهما[١].

• شيخ تفوح منه رائحة المسك:

قيل لأبى بكر المسكى: إنا نشم منك رائحة المسك على الدوام فما سببه؟ فقال: والله إنّ لى سنين عديدة لم استعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت علىّ حتى أدخلتنى دارها، وأغلقت دونى الأبواب، وراودتنى عن نفسى فتحيرت فى أمرى، فضاقت بى الحيل، فقلت لها: إنَّ لى حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضى بى إلى بيت الراحة ففعلت، فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، وألقيتها على جميع جسدى، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتنى دهشت، ثم أمرت بإخراجى، فمضيت واغتسلت، فلما كانت تلك الليلة رأيت فى المنام يقول لى: فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك فى الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح منى، واستمر ذلك إلى الآن[٢].

• ثمرات العفة •

أختى المسلمة..

وللعفة فوائد جليلة، وثمار عديدة نوجزها فيما يلى:

١- النجاة من عقوبات المعاصى فى الدنيا والبرزخ، فللمعاصى عقوبات.

يقول ابن عباس ﷺ: «إن للمعصية ظلمة فى الوجه، ظلمة فى القلب، ظلمة فى القبر قتارًا فى الرزق، بغضًا فى قلوب العباد..».

بخلاف الطاعة التى يكون قد نالها المسلم العفيف «فللطاعة نور فى الوجه، نور فى القلب، نور فى القبر، بسطًا فى الرزق، حبًّا فى قلوب الخلق».

٢- الفوز بثمرات التقوى العاجلة والآجلة.. فقد وعد الله المتقين حبه فى الدنيا والآخرة، والخروج من كل ضائقة: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٣] ومن أحبه مولاه حبب فيه الخلائق: تحبه الملائكة وعلى رأسهم جبريل عليه السلام، ثم يحبه البشر: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إنى أحب**

---

(١) ذم الهوى ص٢١٣ لابن القيم.

(٢) المواعظ والمجالس لابن الجوزى ص١٦٣ ط/ مكتبة الإيمان.

فلانًا فأحبه فيحبه جبريل وينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه.. ثم يوضع له القبول فى الأرض..»(١) وتلك ثمار عاجلة.. أما الثمار الآجلة فالفوز بأعلى الدرجات، وتكفير السيئات.

٣- طهارة المجتمع ونقائه من الرزائل الممقوتة.

٤- التدريب على مخالفة الهوى، فيصل بذلك إلى طريق الصالحين: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

إن كنت تبغى الرشاد محضًا ... فى أمر دنياك والمعاد

فخالف النفس فى هواها ... إن الهوى جامع الفساد

ومعلوم أن الله عز وجل قد حف الجنة منذ أن خلقها بالمكاره، والنار بالشهوات.

٥- التدريب على قوة الإرادة والعزيمة على الامتثال بعمل الطاعات، وترك المعاصى والسيئات.. فمن قويت إرادته أمام نفسه، قويت عزيمته وإرادته أمام عدوه فاستطاع أن ينتصر عليه، ويصمد أمامه.

٦- النجاة من الأمراض المهلكة، والبعد عن تلك الأمراض الفتاكة كالإيدز، وغيرها من الأمراض التى تصيب المنحرفين من أصحاب الشهوات.

٧- أنه كما تدين تدان فمن حافظ على أعراض الناس حافظ الله على عرضه ومن انتهك أعراض الناس، انتهك الناس عرضه.

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

إن الزنا دين إن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم

يا هاتكًا حرم الرجال وقاطعاً ... سبل المودة عشت غير مكرم

لو كنت حراً من سلالة ماجد ... ما كنت هتاكًا لحرمة مسلم

من يزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيبًا فافهم

٨- ومن ثمرات العفة: السعادة الزوجية والأسرية، لأن الإنسان الذى قد انحرف طبعه قبل الزواج، وعود نفسه على تدنيس الأعراض، وإشباع الرغبات.. عادة ما يتربص به الشك فى زوجته وأهله.. فتصبح الحياة وابلاً من الشر والفساد والمنغصات.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

الباب رقم (١١)

مواقف إيمانية في الصبـــر

«سبحان المتصرف بخلقه بالاغتراب والإذلال ليبلو صبرهم، ويظهر جواهرهم فى الابتلاء:

فهذا آدم تسجد له الملائكة، ثم بعد قليل يخرج من الجنة. وهذا نوح عليه السلام يُضرب حتى يُغشى عليه، ثم بعد قليل ينجو فى السفينة ويُهلك أعداؤه، وهذا الخليل عليه السلام يلقى فى النار، ثم بعد قليل يخرج إلى السلامة، وهذا الذبيح يضجع مستسلمًا، ثم يسلم ويبقى المدح. وهذا يعقوب عليه السلام يذهب بصره بالفراق، ثم يعود بالوصول. وهذا الكليم عليه السلام يشتغل بالرعى، ثم يرقى إلى التكليم. وهذا نبينا محمد ﷺ يُقال له بالأمس: اليتيم، ويُقلب فى عجائب يلاقيها من الأعداء تارة، ومن مكابدة الفقر أخرى، وهو أثبت من جبل حراء ثم لما تم مراده من الفتح، وبلغ الغرض من أكبر الملوك، وأهل الأرض نزل به ضيف النقلة، فقيل: واكرباه...

صيد الخاطر لابن الجوزى

• من أروع مواقف الصبر •

موقف «أم سليم» رضى الله عنها:

إنه موقف من أروع مواقف الصبر للمرأة المؤمنة.. إنه موقف الصحابية الجليلة **«أم سليمان بنت ملحان»** رضي الله عنها أم الصحابى الجليل «أنس بن مالك» رضي الله عنه.. وها هو يروى خبر صبرها على فقد ولدها فيقول:

«مات ابن لأبى طلحة من أم سليم.. فقالت لأهلها: لاتحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه!!.

قال: فجاء، فقربت له عشاءً، فأكل وشرب.. ثم قال: كيف الغلام؟.

قالت: قد هدأت نفسه.. وأرجو أن يكون قد استراح.. وظن أبو طلحة رضي الله عنه أنها صادقة.

فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك.. فوقع بها.. فلما رأت أنه قد شبع، وأصاب منها.

قالت: يا أبا طلحة.. أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت.. استودعوهم شيئًا.. فطلبوا عاريتهم.. ألهم أن يمنعوهم؟!.

قال: لا.. قالت: فاحتسب ابنك عند الله.. فغضب.. وقال: تركتينى حتى تلخطخت.. ثم أخبرتينى؟!.. ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ.. فأخبره بما كان.. فقال رسول الله ﷺ: **«بارك الله لكما فى ليلتكما»**.

قال: فحملت! قال رجل من الأنصار: «لها تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن»(١) أى مثل رائع لصبر المرأة المسلمة على فقد ولدها؟!.

بل.. أى زوجة صالحة لها عقل رشيد.. ورأى سديد كانت هذه المرأة المؤمنة؟ لقد تملكها الصبر حتى تلطفت فى إخبار زوجها بهذا الابتلاء.. وتلك المصيبة؟!.

• فما هو الصبر؟

الصبر: هو الثبات عند وقوع الأذى والبلاء.

وقيل: هو حبس النفس عن الجزع والتسخط.

والصبر -عند المرض-: حبس اللسان عن التشكى والتضجر.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وهو -عند فقد عزيز-: منع الجوارح عن لطم الخدود.. أو شق الجيوب.. أو الدعاء بدعوى الجاهلية.

وقيل الصبر: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وسئل عنه الإمام الجنيد -رحمه الله- فقال: تجرع المرارة من غير تعبس.

• القرآن الكريم يأمر أتباعه بالصبر •

وفي القرآن الكريم أمر بالصبر في جميع الأحوال.. قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [البقرة: ٤٥] وعلق الفلاح والنجاح على الصبر فقال جل في علاه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وبشر الصابرين بثلاث، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها، فقال سبحانه: ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] وجعل سبحانه الفوز بالنعيم.. والنجاة من الجحيم.. لا يحظى به إلا الصابرون، فقال: ﴿ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١١] فهل هناك جزاء أعظم من الفوز بالجنان.. والنجاة من النيران؟! هل هناك جزاء أفضل من محبة الرحمن لأهل الصبر حيث قال سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٦] هل هناك جزاء أعظم من أن يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب؟! لأجل ذلك أمر به سيد الأولين والآخرين، فقال: ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

أختي المسلمة..

ولقد بين لك رسولك محمداً ﷺ جزاء الصابرين فقال: «**إذا ابتلى الله العبد ببلاء في جسده قال الله عز وجل: اكتبو له صالح عمله، فإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه**»[(١)].

فقد جاء الحديث بلفظ «**إذا ابتلى الله العبد**» فقد أطلق الذكر للتغليب والمراد الذكر والأنثى.. فهما أمام شرع الله تعالى من ثواب وعقاب سواء.

فقد روى الإمام أحمد والنسائي وغيرهما، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟.

قالت: فلم يرعني منه ﷺ ذات يوم إلا نداؤه على المنبر وهو يتلو قول[(٢)] الله

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦٤٥٤) بإسناد صحيح ١٨/٢٦٦، ورواه ابن جرير في تفسيره.

تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فقد ذكر فى الآية المباركة سهام الإسلام العشرة ومنها (الصابرين والصابرات) وقد أخرج الترمذى وغيره عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبى ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال.. وما أرى النساء يذكرن بشيء.. فنزلت الآية.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩٧].

ولنعد متأملين جزاء الصابرين والصابرات.. فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمله فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**»(١).

وقال ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»(٢).

ولهذا الثواب العظيم يتمنى أهل العافية يوم القيامة أن الله تعالى قد أصابهم بالبلاء والمصائب، لعظم ثواب أهل البلاء.

فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء ثوابهم، لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض**»(٣).

أختى المسلمة..

إن نساء السلف الصالح رضوان الله عليهن لما علمن ذلك رضين بثواب الله وصبرن.. تارة على فقد أزواجهن.. وتارة على فقد أولادهن.. وتارة على الأمراض.. فهيا بنا لنقف معهن.. لنعتبر ونتعظ.

■ صبرهن على فقد الأزواج ●

١- موقف أم سلمة رضي الله عنها:

تقول أم سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة**

(١) رواه ابن حبان، والحاكم الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٢) رواه الترمزى فى الزهد، وقال الألبانى فى صحيح سنن الترمزى (١٩٥٧): حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذى (٢٤٠٢)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٨١٧٧.

فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»(١).

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ!!.. ثم إني قلتها، فأخلف الله لي خيراً منه.. رسول الله ﷺ(٢).

أرأيت أختي المسلمة.. كيف عوضها الله تعالى بسيد الأولين والآخرين؟ أرأيت كيف أصبحت أم سلمة من أمهات المؤمنين.. لما جعلت الصبر لله شعارها.

• الصبر على فقد الأولاد ▪

١- الخنساء تحتسب أولادها الأربعة:

إنها صحابية جليلة معروفة.. مشهورة بصبرها.. قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها وأسلمت معهم.. وكان رسول الله ﷺ يعجبه شعرها، ويستنشدها الشعر، فكانت تنشده، ورسول الله يومىء بيده، ويقول: «هيه يا خناس» لقد سجل التاريخ لها موقفًا عظيمًا خالدًا.

فها هي تقف في سهل القادسية الفسيح، وسط أبناء أربع، فتقول لهم، وسط هدأة الليل:

«يا بني، إنكم أسلمتم طائعين.. وهاجرتم مختارين.. والله الذي لا إله غيره.. إنكم لبنو رجل واحد.. كما أنكم بنوا امرأة واحدة.. ما خنت أباكم.. ولافضحت خالكم.. ولا هجنت حبكم.. ولا غيرت نسبكم.

وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين.. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية.. يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين.. فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين.. وبالله على أعدائه مستنصرين.

---

(١) رواه مسلم (٦٣٢)، وأبو داود (٣١١٥)، والترمذي (٩٧٧)، وابن ماجه (١٥٩٨) ومالك في الموطأ، وأحمد في مسنده.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٢ لابن الجوزي ط/ دار الفكر.

وإذا رأيتم الحرب قـد شمرت عن ساقـها.. واضطرمت لظى على سياقـها.. وحللت نارًا على أوراقهـا.. فتيـمموا وطيـسها.. وجالدوا رئيـسها.. عند احـتدام خميسها.. تظفروا بالغنم والكرامة.. فى دار المقامة»[1].

فتـقدم أولادها الأربع إلى أوائل الصـفوف لمقـاتلة الفُرس، واحـتدم القـتال، فاقتحموه وهم يرتجزون الشعر.

تقدم أولهم ليلقى الشهادة وهو يقول:

يا إخـوتى إن العجـوز الناصحـة ... قـد نصـحتنا إذ دعـتنا البـارحـة
بمقـالـة ذات بيـان واضــحــة ... وإنما تلقــون عند الصَّــابحـة
من آل ســاســان كـلابًا نابـحـة

وأنشد الثانى:

إنَّ العــجـوز ذات حـزم وجلد ... قـد أمـرتنا بالسـداد والرشــد
نصـيــحـة منهـا وبرًا بالولد ... فبـاكروا الحرب حمـاة فى العدد

وأنشد الثالث:

والله لانعـصى العـجـوز حـرفًـا ... نصـحًـا وبرًا صـادقًـا ولـطفًـا
فبـادروا الحرب الضروس زحـفًا ... حـتـى تلقـوا آل كـسـرى لفًّـا

وأنشد الرابع:

لسـت لخنســاء ولا للأخـــزم ... ولا لعـمـرو ذى السَّناء الأقـدم
إن لم أرد فى الجيش جيش الأعجمى ... ماض على الهول خـصم حضرمى

تقدم الأربعـة واحدًا تلو الآخر، يبذلون دمـاءهم زكية، على أرض القادسـية، لترفرف أرواحهم مع الشهداء.. فماذا كان موقف الخنساء رضي الله عنها ؟.

لقد بلغها النبأ والخبر.. فقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم.. وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته..».

نعم.. الحمد لله على فقد أربعة شباب وأبناء فى ساحة القتال فى سبيل الله.. إنه الصبر والتحمل.. إنه الشرف والفخر والعظمة.. إنه وسام عز وفخار يحمل لقب أم الشهداء الأربع[2].

---

(١) أسد الغابة ٥/٢٦٨ لابن الأثير طبعة / دار المعرفة بيروت.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٥/٢٦٧، ٢٦٨، وصفـة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٢٧٠، ٢٧١، والإصابة لابن حجر.

٢- موقف أسماء بنت أبي بكر ومقتل ولدها عبد الله بن الزبير:

قال عروة: دخلت أنا وأخي على أمنا بعشر ليال، وهي وجعة، فقال عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعة.

قال: إنَّ في الموت لعافية.

قالت: لعلك تشتهي موتي، فلا تفعل، وضحكت، وقالت: والله ما أشتهي أن أموت -وكان عمرها يزيد عن المائة عام- حتى تأتي على أحد طرفيك: إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني. إياك أن تُعرض على خطة فلا توافق فتقبلها كراهية الموت.

وفي رواية:

أن عبد الله بن الزبير دخل على أمه أسماء، فقال لها: يا أُمَّه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار، وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟.

فقالت: الله الله يا بني، إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه، فامض عليه، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك.. وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت.. أهلكت نفسك ومن معك، وإن قلت: إني كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي.. فليس هذا فعل الأحرار.. ولا من فيه خير.. كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير.. والله لضربة بالسيف في عز أحبُ إليَّ من ضربة بسوط في ذل.

فقال: يا أماه، أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني.

قالت: يا بني، إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح.. فامض على بصيرتك.. واستعن بالله. فقبل رأسها، وقال لها: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى الله، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تنتهك محارمه، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك، فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي، والله ما تعمدت إتيان منكر، ولا عملاً بفاحشة، ولم أجُرْ في حكم، ولم أغدر في أمان.. والله لا أقول ذلك تزكية لنفسي، ولكن أقول تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت: والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً.. إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت، سررت بظفرك.

ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل.. وذلك النحيب، والظمأ في هواجر مكة والمدينة، وبره بأبيه وبي.. اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك.. ورضيت فيه بقضائك.. فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين.

ثم دنا عبد الله من أمه فتناول يدها وقبلها وعانقها.. وودعها بنفس راضية، وقال مخاطبًا إياها:

أسماء إن قتلت لا تبكيني لم يبق إلا حسبي وديني

وصارم لانت به يميني

ثم أخذ أصحابه وذهب بهم قائلاً لهم: احملوا على بركة الله.. ثم حَمَل على أعدائه حتى بلغ بهم الحجون.. وهناك رماه رجل بحجر، فأصاب وجهه.. فأصابته منه رعدة، فدخل شعبًا من شعاب مكة يستدمي.. فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك فقتلوه.. وصلبه الحجاج في المسجد الحرام على جذع.. ثم دخل الحجاج على أسماء، فقال لها: يا أمه، إن أمير المؤمنين أوصاني بك.. فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، ومالي من حاجة.. ولكن أحدثك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**» فأما الكذاب فعرفناه، وأما المبير فأنت[1].

أختي المسلمة..

فهذا موقف إيماني عظيم في الصبر على فقد الأبناء، والرضا بمُر القضاء.. فرضي الله عن أسماء بنت أبي بكر.. ورضي الله عن نساء السلف الصالح.. وإلى لقاء مع أسماء في موقف آخر مع أسماء.

٣- موقف معاذة العدوية والصبر على استشهاد ابنها:

فعن ثابت البناني -رحمه الله- أن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى احتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدم أبوه فقاتل حتى قتل، فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة -رحمها الله- فقالت للنساء: مرحبًا إن كنتن جئتن لتهنئتي مرحبًا بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٢٩٤، والمبير: هو المسرف في هلاك الناس، وذكره ابن سعد في الطبقات مختصراً ٨/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤/ ١٥.

أختي المسلمة..

إنَّ معاذة العدوية من الصالحات القانتات العابدات.. وقد صبرت على استشهاد زوجها وابنها.. واعتبرت أن هذا البلاء العظيم منحة من الرب الكريم فطلبت من النساء أن يهنئنها لذلك.. ورحم الله معاذة.. ورحم الله زوجها العابد القانت صلة ابن أشيم.. ورحم الله ابنهما.. وجزاهم الله خير الجزاء.

٤- صبر عجيب:

وهذا الموقف العظيم.. وذلكم الصبر العجيب ينقله لنا الإمام الأصمعي فيقول:

رأيت سيدة جميلة يبدو عليها أثر النعمة، وصحة البدن مما يلفت الأنظار، فقلت لها: سيدتي، أرى عليك أثر النعمة.. وبقية من عافية.. فأخذت تبكي، وقالت يا سيدي، لو علمت ما أنا فيه من الهموم لرحمتني، ولبكت عيناك، قلت لها: حدثيني لعلي أساعدك قالت: والله لا يملك عوني على ما أنا فيه إلا الله.. ثم قالت: اسمع أحدثك عن شأني: في سنة من السنين، جاءنا عيد الأضحى.. وكنا في دارنا مع زوجي وأبنائي.. وقد أعد زوجي أضحية، فلما رجع من مصلاه قمنا بذبح الأضحية.. وكان لنا ولدان حبيبان.. فلما فرغ من الذبح انصرف لبعض شأنه، وترك السكين أمام الغلامين، فقال الأكبر لأخيه الأصغر: ألا أريك كيف ذبح أبوك الأضحية؟ قال: نعم.. فتناول السكين وذبحه، فلما رأى الدم، ولى هاربًا في جوف الصحراء.. فلما جاء الأب وعلم بما حدث، ذهب وراء الغلام ليبحث عنه في الصحراء.. فمات عطشًا بين الجبال.. ففقدت في ساعة واحدة زوجي وولداي.. فقال الأصمعي: كيف أنت والصبر؟ قالت: لو دام لي لدمت له[1].

أختي المسلمة..

أبعد هذا الصبر صبر.. إنه موقف إيماني عظيم.. فقد رضيت المرأة بقضاء الله تعالى وقدره.. وصبرت واحتسبت أجرها عند الله تعالى.

٢- الرُبَيِّع بنت النضر رضي الله عنها:

أخت أنس بن النضر رضي الله عنه فها هي السيدة الجليلة تصبر على فقد ولدها (حارثة ابن سراقة) وقد كان غلامًا.. استشهد بين يدي رسول الله ﷺ يوم بدر.. فجاءت إلى رسول الله، وقالت: يا رسول الله، أخبرني عن حارثة.. فإن كان في الجنة

(١) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوي ٢/ ١٦٤ بتصرف.

صبرت واحتسبت.. وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء.. فقال ﷺ: **«ويحك..أو هبلت؟ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه أصاب الفردوس الأعلى»**[(١)].

الله أكبر.. لك الله يا خنساء.. ولك الله يا أم حارثة.

• الصبر على فقد الأزواج •

ولنا في موقف أم سلمة رضي الله عنها عبرة وعظة.. وغيرها من النساء كثير فها هي **«أسماء بنت عميس»** رضي الله عنها تصبر وتحتسب على فقد زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

لما علم الرسول ﷺ بوفاة جعفر شهيداً في غزوة مؤتة، وذهب إلى بيته، ودعا عياله فضمهم إلى صدره.. وذرفت عيناه الشريفتان.

فعرفت أسماء ما حدث.. فصبرت واحتسبت.. وبكت عيناها.. ثم قال ﷺ: **«اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم»** فاصبري أختي المسلمة وتذكري هؤلاء.

• الصبر على تربية البنات •

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فأخبرته، فقال:

«من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترًا من النار»[(٢)].

وعند مسلم: «فأعطيتها ثلاث تمرات.. فأعطت كل واحدة منهن تمرة، ودفعت إلى فيها -أي فمها- تمرة لتأكلها، فشقتها لبناتها، فأعجبني شأنها، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **«إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها من النار»**[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٨٠٩) وفي المغازي (٣٩٨٢)، وفي الرقاق (٦٥٥٠)، وأحمد في مسنده والترمذي (٣١٧٣) والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير، وابن الأثير في أسد الغابة ١/٤٠٣.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٩)، وأحمد في مسنده (٢٣٩٣٧)، والترمذي (١٩٣٣)، وحسنه وذكره الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٩٣١

▪ حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها ▪

أختي المسلمة..

وليس ذلك فقط.. وإنما كانت نساء السلف الصالح رضوان الله عليهن يعددن البلاء والصبر عليه منحة عظيمة من الله تعالى.

فها هي: «زوجة فتح الموصلي» رحمها الله قد انقطع أصبعها.. فقال لها بعض من معها: أتضحكين، وقد انقطع أصبعك؟.

فقالت: أخاطبك على قدر عقلك.. «حلاوة أجرها.. أنستني مرارة قطعها»[١].

• ابنة الفضيل بن عياض رحمه الله •

أختي المسلمة..

يروى أنه كان للفضيل بن عياض ابنة صغيرة لكنها كانت عابدة قانتة.. فوجعها كفها.. فسألها الفضيل قال: كيف حال كفك يا بنية؟.

فماذا كان رد هذه الصبية الصغيرة؟

قالت: هو بخير يا أبت والحمد لله.. ووالله لئن كان الله ابتلى منى قليلاً، فلقد عافى منى كثيراً.. ابتلى كفى وعافى سائر بدنى.. فله الحمد على ذلك.

• ومن الثواب الصبر على مرض الصرع •

ما رواه البخارى ومسلم عن عطاء بن أبى رباح، قال: قال لى ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء اتت النبى ﷺ فقالت:

إنى أُصرع وإنى أتكشف.. فادع الله لى، قال ﷺ: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر!! فقالت: إنى أتكشف، فادع الله لى أن لا أتكشف، فدعا لها[٢].

• الصبر على هلاك الزرع والمال •

أختي المسلمة..

جاء فى كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى قال:

رأيت امرأة بالبادية، وقد جاء البَرَدُ فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت:

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى، ومدارج السالكين لابن القيم.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

«اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف.. وبيدك التعويض عما تلف.. فافعل بنا ما أنت أهله.. فإن أرزاقنا عليك.. وآمالنا مصروفة إليك..».

قال: «فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجلاَّء، فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار»[١].

فتأملي هذا الموقف الإيماني العظيم.. واعلمي أن الله يعوض الصابرين في الدنيا والآخرة.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ... أبشر بقرب فإن الفارج الله
إذا بليت فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرةً ... لا تجزعن فإن الكافي الله
والله مالك غير الله من أحد ... فقل بقلب سليم حسبي الله

• الأسباب المعينة على الصبر •

أختي المسلمة..

هيا بنا لنتعرف سويًا على الأسباب التي تعينك على الصبر.. وتكون تسلية لأهل المصائب والابتلاءات:

١- معرفة الثواب العظيم على الصبر:

والآيات في ذلك كثيرة قد تقدمت، ويكفي أهل الصبر أنهم يوفون أجورهم بغير حساب كما قال جل في علاه: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠] وقال سبحانه: ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا**﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإنسان: ١٢-٢٢].

وفي السنة أحاديث كثيرة منها ما رواه ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«**ما من مسلم يصيبه أذى -شوكة فما فوقها- إلا حات الله عنه خطاياه، كما ورق الشجر**»[٢] أي كما يسقط الورق عن الشجر في الخريف.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم.. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟**

---

(١) الفرج بعد الشدة ١/ ١٨١.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وابن حبان وغيرهم.

فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد»[١].

٢- التأسى بأهل المصائب:

ففى التأسى راحة عظيمة للنفس.. وفى النظر فى حال من ابتلى بمثل هذا البلاء نفع عظيم.. وهذا المعنى جاء فى قول الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولى ... على إخوانهم لقتلت نفسى
ولا يبكون مثل أخى ولكن ... أُعزِّى النفس عنهم بالتأسى

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحًا إلا مُلئ ترحًا».

وهذا المعنى قد حرم الله عز وجل منه أهل النار، فإن كل واحد من المخلدين فيها محبوس وحده، يظن أنه لم يبق فى النار سواه.

وفى هذا يقول سبحانه: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩].

٣- أن تعرفى أن مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة الآخرة:

ولأن تنتقلى من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك، فإن خفى عليك ذلك، فتذكرى وتأملى قول رسول الله ﷺ:

«يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[٢].

٤- أن تعلمى أن البلاء قد يرفعك فى الدرجات العلى:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن الرجل -أو المرأة- ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يصيبه بما يكره حتى يبلغه إياها»**[٣]. وكذلك المرأة، فكما ذكرنا النساء شقائق الرجال.

(١) رواه أحمد فى مسنده (١٩٢٢٦)، والترمذى (١٠٢١)، وابن حبان فى صحيحه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٧٩٥٠ والصحيحة برقم١٤٠٨.
(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائى عن أنس، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٨٠٠٠.
(٣) رواه ابن حبان والحاكم والألبانى فى صحيح الجامع برقم ١٦٢٥، وفى الصحيحة برقم ٢٥٩٩.

واعلمى أختى المسلمة، أن البلاء للمؤمن أو المؤمنة، إما أن يكون تكفيراً للذنوب كما أرشدنا إلى ذلك النبى المحبوب، وإما أن يكون رافعًا للدرجات.

فالله سبحانه يبتلى أهل الإيمان ليربيهم بالبلاء، ويهذبهم به.. حتى يصلحوا لمجاورته فى الجنة.

٥- اعلمى أختى المسلمة أن الأمور قد تتشابه، فرب محبوب فى مكروه، ومكروه فى محبوب:

كما قال علام الغيوب: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٦- واعلمى أن الحبيب قد علمك كلمات تذهب الهم وتأتى بالفرج:

لكن ما هى الكلمات التى تذهب الهم والحزن؟

رواه الامام أحمد وغيره أن النبى ﷺ قال: «**ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماض فىَّ حكمك عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى.. إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**» قيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «**بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها**»(١) فتعلمى هذه الكلمات يبدل الله حزنك فرحًا.. ويبدل همك سروراً.

٧- واعلمى أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

فعن صهيب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليست ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**».

وقال ﷺ: «**إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(٢).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٣٧١٢) بإسناد صحيح، ورواه الحاكم والطبرانى وصححه الألبانى فى الصحيحه (١٩٩).

(٢) رواه الترمذى (٢٥٠٧)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٢٨٥ والصحيحة ١٤٦.

ومن أقوال على بن أبى طالب رضي الله عنه: إذا ابتليت فصبرت، جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن سخطت جرى عليك القلم وأنت مأزور.

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسًا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحوادث الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء

وأخيرًا أختى المسلمة..

هل نرضى بالقضاء، ونصبر على البلاء، ونشكر فى الرخاء؟

أم نقنط من رحمة الله؟

فمن صبر على البلاء، ورضى بالقضاء، وشكر عند الرخاء، عاش سعيدًا، ومات سعيدًا، وبعث بمشيئة الله سعيدًا.

أما من سخط عاش ذليلاً، ومات ذليلاً، وبعث يوم القيامة ذليلاً.

أختى المسلمة..

اعلمى أنه لولا المصائب والابتلاءات لوردنا يوم القيامة مفاليس، قالت ذلك العابدة البصرية (أم إبراهيم) وذلك حين ضربت دابتها، فكسرت رجلها، فجاءها قوم يعزونها، فقالت:

«لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس»[1].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٢٤ ط/ دار الفكر.

الباب رقم (١٢)

مواقف إيمانية في التوكل على اللّٰه

«التوكل هو نظام الإيمان، وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدى إلى نفى الفقر، ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله عز وجل إلا رزقه الله من حيث لم يحتسب» روضة العقلاء

«إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله» أبو الدرداء

سلى الحاجات من سيد
ليس له ستر ولا حاجب
يعطى عطاياه إذا شاءها
من غير توقيع إلى كاتب

■ ابنة حاتم الأصم وحسن توكلها على الله ■

روى أن حاتم الأصم قال لأولاده:

إنى أريد الحج.. فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله تعالى بنعمة التوكل واليقين.. فقالت: دعوه يذهب فليس برزاق فخرج فباتوا جياعًا، فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تخجلنى بينهم.. فمرَّ بهم أمير البلد، فقال لبعض أصحابه:

اطلب لى ماء.. فناوله أهل حاتم كوزاً جديداً، وماء بارد، فشرب، فقال: دار من هذه؟.

قالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى فليصنع مثلما صنعت.. فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء.. فجعلت البنت تبكى.. فقالت أمها:

ما يبكيك وقد وسع الله علينا.. فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرة فأغنتنا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!(١).

إنه موقف إيمانى عظيم فى حسن التوكل على الله تعالى.. لقد فهمت هذه الفتاة المؤمنة أن الذى يرزق العباد إنما هو الله رب العالمين.. علمت هذه المؤمنة الموحدة أن أباها «حاتم الأصم» ليس هو الرازق، وإنما هو سبب فى وصول الرزق إلى أسرتها.. لقد كانت تعى قول النبى ﷺ: **«لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»**(٢).

• فما هو التوكل؟(٣) •

أختى المسلمة..

اختلفت كلمة العلماء فى معنى التوكل.. قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب.. ومعنى ذلك: أنه عمل قلبى.. ليس بقول اللسان.. ولا عمل الجوارح.. ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

وقال سهل بن عبد الله: التوكل هو الاسترسال مع الله مع ما يريد.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى.

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥٢٥٤.

(٣) راجعى الرسالة القشيرية ومدارج السالكين.

ومنهم من يفسره بالرضا، فيقول: هو الرضا بالمقدور.. ولذلك قال بشر الحافي -رحمه الله-: يقول أحدهم توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله، رضى بما يفعل الله.

وقال أبو تراب النخشبي:

هو طرح البدن في العبودية.. وتعلق القلب بالربوبية.. والطمأنينة إلى الكفاية.. فإن أعطى شكر.. وإن منع صبر.

فجعله مركبًا من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية، وتعلُّق القلب بتدبير الرب.. وسُكونه إلى قضائه وقدره، وطمأنينته وكفاية له، وشكره إذا أعطى، وصبره إذا منع.

أختي المسلمة..

اعلمي أنَّ التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطال، وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته

ومنهم من قال: التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح، ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة.

• آيات القرآن تحث على التوكل •

أختي المسلمة..

إن آيات الذكر الحكيم تأمر أهل الإيمان بالتوكل على الله تعالى.. لأن منزلته عالية لا يبلغها إلا المخلصون الصادقون.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] وقد أمر الله رسوله ومصطفاه بالتوكل، فقال عز من قائل: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩] وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال سبحانه آمرًا رسوله بالتوكل، ومرشدًا إلى أن من أسباب محبة الله تعالى التوكل عليه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وذكر سبحانه ما كان عليه أنبياؤه ورسله من التوكل عليه فقال: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

المتوكلون﴾ [إبراهيم: ١٢] وقد وصف أصحاب نبينا محمد ﷺ فقال: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ..﴾** [آل عمران: ١٧٣].

فما أعظم هذه العبارة المباركة: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

لقد قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها حبيبنا محمد ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقد قال الله بعدها: **﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾** [آل عمران: ١٧٣].

● وفى السنة المطهرة حث على التوكل ■

أختى المسلمة..

وفى السنة المطهرة أحاديث كثيرة تحث على التوكل ومنها:

١- عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**»(١).

أى مثلها فى التوكل.. أو أن قلوبهم رقيقة مثل قلوب الطير.

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«**عرضت علىَّ الأمم، فرأيت النبى ومعه الرُهيط، والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض النبى ﷺ ودخل بيته، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا فى الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذى تخوضون فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**».

فقام عكاشة بن محصن، فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»(٢).

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى (٦٤٧٢) ومسلم.

والمراد بقوله: «**لا يرقون ولا يسترقون..**» كما قال القرطبي: تركهم رقيا الجاهلية، أو تركهم للرقيا التي تكون بأسماء الملائكة أو بما لا يُعرف.

والتطير: أي التشاؤم بالطيور ونحوها.. ومعناه: أنهم لا يرجعون عما عزموا عليه عند وجود ما جرت به عادة الجاهلية من التطير به.

٣- وعن جابر ﷺ أنه غزا مع النبي ﷺ قِبَل -أي ناحية- نجد، فلما قفل رسول ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة - أي أدركهم وقت الظهيرة والقيلولة في مكان فيه شجر كثير - فنزل رسول الله وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول ﷺ تحت شجرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال:

«**إنَّ هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله ثلاثًا**»(١).. ولم يعاقبه وجلس.

وفي رواية: أن رسول الله لما قال: الله، سقط السيف من يد الأعرابي، فأخذ رسول الله السيف، فقال للأعرابي: «**من يمنعك مني؟**» فقال: كن خير آخذ، فقال له رسول الله: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟**».

قال: لا، ولكني أعاهدك، أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وقد ورد في صحف إبراهيم وموسى، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام:

«**يا موسى، ما خافني من خاف الخلق، وما توكل عليّ من خاف فوات الرزق، وعزتي وجلالي: ما توكل عليّ عبد إلا كفيته، وبيدي مفاتيح الملك والملكوت.. يا موسى، من اعتصم بغيري، اسخت الأرض من تحته، وقطعت الأسباب من فوقه، ولا أبالي كيف أهلكته يا موسى**».

• هاجر وحسن التوكل •

أختي المسلمة..

وهذا الموقف الإيماني العظيم في التوكل أهديه إلى كل أخت مسلمة.

إنها أم نبي: وهو إسماعيل عليه السلام.

وزوجة نبي: وهو أبو الأنبياء، إبراهيم عليه السلام.

لقد ضرب المثل الأعلى في التوكل على الله تعالى.. فإنه لما خرج بها إبراهيم عليه السلام

(١) رواه البخاري ومسلم (٨٤٣) وغيرهما.

بأمر من مولاه إلى ذلك المكان المبارك، الذى لم يكن به أنيس ولا جليس، وليس به زرع ولا ماء.. ثم تركها، ولم يكن معها إلا جرابًا من تمر، وسقاء فيه ماء فماذا حدث بعد ذلك؟.

هيا بنا لنذهب سويًا إلى صحيح البخارى، ليروى لنا ابن عباس رضي الله عنهما قصتها فيقول: أول ما اتخذ النساءُ المنطق - أى الحزام الذى يشد على الوسط - من قِبَل أم إسماعيل، اتخذته لتعفى أثرها -أى تخفى حملها- على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء.

ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء؟.

قالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم.. قالت: إذن لا يضيعنا.. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية، حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، فرفع يديه، وقال: **﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** [إبراهيم: ٣٧].

ورجعت أم إسماعيل ترضع وليدها، وتشرب من ذلك الماء، حتى نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادى تنظر.. هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا.. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف درعها، ثم سعت سعى الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا.. فعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبى ﷺ: **«فلذلك سعى الناس بينهما»** فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتًا، فقالت: صه، تريد نفسها.. ثم تسمعت، فسمعت أيضًا.. فقالت: قد أسمعت إن كان عنك غواث، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم،

فبحث بعقبه - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء.. فجعلت تحوضه وتقول بيدها.. هكذا، وجعلت تغرف من الماء فى سقائها، وهو يفور بعد ما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبى ﷺ:

«يرحم الله أم عيسى! لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عينًا معينًا»(١).

قال: فشربت، وأرضعت ولدها.. فقال لها الملك: لا تخافى الضيعة، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

أختى المسلمة..

أرأيت كيف ارتقى التوكل على الله تعالى بأصحابه؟ أرأيت ما فعل التوكل والتسليم لله رب العالمين بأم إسماعيل عليه السلام؟!.

لقد تركت وراءها كل شىء، فجاد الله عليها بكل شىء، جاد عليها بزمزم وفيها كل شىء، لقول رسولنا محمد ﷺ:

«ماء زمزم لما شرب له» ولقوله: «وزمزم طعام طعم، وشفاء سقم» وقد مَنَّ الله عليها بالأنس بعد فقده.

ولكرامتها على الله عز وجل.. أنه سبحانه لم يرسل أحدًا من عامة الناس لحفر البئر، وإنما الملك، وسيد أهل السماء جبريل عليه السلام بعقبه، أو جناحه.. جبريل يحفر.. وإسماعيل يشرب.. ورسولنا محمد ﷺ يتمنى أن يستسقى، وصار السعى دينًا.. وصار الشرب سنة.. وكل قطرة من زمزم قصة تروى.. وتحوى ظلاً وديعًا، يروى هجير دنيانا.

• أم موسى مثلاً أعلى فى التوكل •

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

لقد ولد موسى عليه السلام فى تلك الظروف القاسية.. ولد والخطر محدق به.. ولد والموت يتلفت عليه.. والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه.

إن أم موسى حائرة.. ماذا تفعل؟ هل تتركه يذبح بالسكين.. أم ماذا تفعل وهى الضعيفة المسكينة.. لقد أوحى الله إليها: أن أرضعيه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ إنه فى نظر البشر تضارب وتناقض.. لكنه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٥٤، ١٥٥.

في علم الله تعالى منتهى الانسجام والاتساق.. لأنه سيكون في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها.. اليد التي لا خوف معها.. اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها.. اليد التي جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم.. وهي التي ستجعل البحر ملجأ ومنامًا.

وإذ العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

إذا خفت عليه فألقيه في اليم.. ولا تخافي ولا تحزني.. يا الله! يا للقدرة!..
يا أم موسى أرضعيه.. فإذا خفت عليه وهو في حضنك.. وهو في رعايتك.. وفي فمه ثديك.. وهو تحت عينيك.. فألقيه في اليم.

ووثقت أم موسى التقية بما عند الله تعالى.. وثقت وهي الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة بما عند الله.. توكلت عليه سبحانه.. وألقت به في اليم.

لا تدبر لك أمرًا فأولوا التدبر هلكى
سلم الأمر تجدنا نحن أولى بك منكا

فماذا كان جزاؤها؟

ماذا كان جزاؤها وقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلى الماء، ولكن أين هو يا ترى؟ وماذا فعلت به الأمواج؟.

ولعلها سألت نفسها: كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف به في الماء؟
كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أُمٌ؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة؟
وكيف استسلمت لهذا الهاتف الغريب؟!

لقد التقطه آل فرعون.. لا ليقتلوه.. وإنما ليكون لهم عدوًا وحزنًا.. التقطه آل فرعون.. لا ليقتلوه.. ولكن ليعود إلى أمه الملهوفة.. معافى في بدنه.. مرموقًا في مكانته.. يحميه فرعون.. وترعاه امرأته.. وترضعه أمه آمنة مطمئنة بعد أن كانت قبل ذلك ترضعه على خوف من فرعون وملئه.. فالآن ترضعه على عين فرعون ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

أختي المسلمة..

تدبري معي كيف كانت ثقتها بالله تعالى، وتوكلها عليه.. سببًا في هذا الجزاء العظيم.

قال العلماء:

في هذه الآية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ..﴾ [القصص: ٧] أمران وخبران ونهيان وبشارتان.

فالأمر الأول: أن أرضعيه، والثاني: فألقيه في اليم.

والنهي الأول: ولا تخافي، والنهي الثاني: ولا تحزني.

والخبر الأول: وأوحينا، والخبر الثاني: فإذا خفت عليه.

والبشارة الأولى: إنا رادوده إليك.. والبشارة الثانية: وجاعلوه من المرسلين ثمانية أمور في آية واحدة.. فسبحان من أنزل هذا الكتاب!.

(لطيفة):

لما سعت بتابوته إلى البحر، ارتعشت يد التسليم فأمسكها، فصاح شجاع الشجاعة بملء فيه: اقذفيه فيه، فصدرت بعد إلقائه بصدر قد لوى به لواعج الاشتياق، لا يعلم قدر من رمى به إلا من رمى به، فتلقاها بالبشر بشير ﴿إِنَّا رَادُّوهُ﴾ فلم تزل أمواج اليم تيمم به مسالك القدر، فألقته في برية ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ فلما فتحوا التابوت، أسفر عن نجيب النجابة، قد جعل زاده في مزود ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

أختاه..

لو كان في صخرة في البحر راسية — صماء ملمومة مُلس حواليها
رزق لعبد براه الله لانفلقت — حتى تؤدي إليه ما فيها
أو كان لعبد طباق السبع مطلبه — يومًا لسهّل في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خُطّ له — إن هو أتاه وإلا فهو آتيها

الباب رقم (١٣)

مواقف إيمانية في التفكر فى مخلوقات اللّه عزوجل

إلهـــى...

يا من يرى مـد البـعوض جناحـه

فى ظلمـة الليل البـهـيم الأليل

ويرى نياط عـروقـها في نحـرها

والمخ فـى تلك العـظام النُـحل

امنن عليَّ بتـــوبة تمحـــو بهـــا

مـا كــان منى في الزمـان الأوَّل

• فطرة نقية ومعرفة الرب جل وعلا •

أختى المسلمة. .

هذا الموقف الإيمانى كان مع جارية عبد الله بن مسعود ﷺ فيقول: كان لى جارية ترعى الغنم، فهجم عليها الذئب، فأخذ منها واحدة، فضربتها ثم ندمت، يقول:

فجئت إلى النبى ﷺ فأخبرته بالقصة، فلامنى على ضربها، فقلت: يا رسول الله، أو أعتقها؟ فعسى أن يكون ذلك كفارة لى على ضربها؟ فقال لى النبى ﷺ: **«ائتنى بها»**.

فأحضرتها إلى مجلس النبى ﷺ، فلما جلست بين يديه قال لها: **«يا جارية، أين الله؟»** قالت: هو فى السماء.

فسكت النبى ﷺ وقال: **«يا عبد الله، اعتقها، فإنها مؤمنة»**(١).

إنه موقف إيمانى عظيم. . يدل على أن للجارية فطرة نقية صافية، لا تحتاج إلى جهد وعناء لتعرف ربها. . لقد نطقت بالحق اليقين دون التواء ولامراء. . فما أحوج الأمة إلى التفكر فى ملك الله وملكوته، وخصوصًا فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الأهوال، ورانت فيه الغفلة على العقول والقلوب، وخيم ضباب الشهوات وظلماتها على النفوس والأرواح فقطعتها عن الله عز وجل.

• فضل التفكر فى مخلوقات الله •

أختى المسلمة. .

قد تكونى عبدت ربك بـ[illegible] العبادات كالصلاة والصيام والصدقة والحج وزيارة المريض وغير ذلك من العبادات، إلا أنه ربما لا تكونى عبدتيه ولو مرة واحدة فى هذا العمر بعبادة التفكر فى مخلوقات الله عز وجل، رغم أن القرآن الكريم فى كثير من آياته قد حثك على التفكير فى هذا الخلق العظيم من سموات وأرض، وبحار وأنهار، وليل ونهار قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ**

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان.

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقال سبحانه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وجاء في كتب السابقين أن الحواريين قالوا لسيدنا عيسى عليه السلام اعجابًا وتقديراً له: يا روح الله، هل على الأرض اليوم مثلك؟ قال: «نعم. من كان صمته فكراً، ونطقه ذكراً، ونظره عبراً فهو مثلي».

وقد أوصانا رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ بذلك فقال: «**تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله**»(١).

وفي رواية أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يتفكرون فقال لهم: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق**»(٢).

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن صمته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو»(٣).

أختاه..

هل فكرت يومًا في السماء من رفعها؟ وبالكواكب من زينها، والجبال من نصبها؟ والأرض من سطحها وذللهما؟ والنبت في الصحراء من أرباه؟ والبدر من أتمه وأسراه؟ والصخر من فجر منه المياه؟ والنهر من أجراه؟ والبحر من أطغاه؟ والليل من حاك دجاه؟ والصبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم من جعله وفاة واليقظة منه بعده حياة؟ والعقل من منحه وأعطاه؟.

والنحل من هداه؟ والطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ وفي أوكاره من غذاه؟.

أختاه..

وأنت من خلقك؟ من صورك؟ من شق سمعك وبصرك؟.

من سواك فعدلك؟ من رزقك؟ من أطعمك؟ من آوك ونصرك؟ إنه الله ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [السجدة: ٧] إن تأملتِ ذلك عرفت حقًا كونه موحدًا خالقًا..

---

(١) رواه ابن حيان وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٩٧٦.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٨٨.

(٣) سمير الصالحين للشهاوي ١/ ٢٣ ط/ دار التأليف.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴿١٧﴾ وإلى السماء كيف رفعت ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١٧-٢١].

• وللتفكر أنواع ومظاهر •

أختاه..

وللتفكر أنواع ومظاهر منها:

١- التفكر فى الآيات والعلامات.

٢- التفكر فى الآلاء والنعماء.

٣- التفكر فى الثواب والعقاب.

٤- التفكر فى إحسان الله إليه.

١- فأما التفكر فى الآيات والعلامات، فأن ينظر فى قدرة الله تعالى فيما خلق الله تعالى فى السموات والأرض، وطلوع الشمس من مشرقها، وغروبها من مغربها.

والأرض كم جبلاً بها وكم نهراً وكم بحراً وكم بحيرة؟ وكم كهفًا فى جبالها وكم حفرة فى أراضيها؟ وكم نقطة من المطر تهبط إليها؟ وكم ذرة من البخار تصعد منها آناء الليل وأطراف النهار؟ وكم بها من أنواع الحياة؟ الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية؟ كم ألفًا من صنوف النبات على وجه الأرض؟ وأى دقائق تفرق بين نبات ونبات مختلف ألوانه: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وكم ألفًا من صنوف الحيوان والطير والحشرات فى السهول والفيافى والقفار والوديان والغابات؟.

وكم مليونًا من البشر من مختلف الألوان واللغات والعقائد والأفكار؟.

بل النبات الواحد، والحيوان الواحد، والإنسان الواحد.. كم فيه من معجزات الخلق؟ الزهرة الواحدة البديعة التناسق، المعجزة التلوين.. هل يفرغ الإنسان من تأملها؟ إنَّ أمهر المصورين، وأقدر الرسامين ليعجز عن الإحاطة «بالفن» الذى تمثله زهرة واحدة من تلك الزهور(١).

إذن تفكر المسلم أو المسلمة فى هذه الآيات، وتلك المخلوقات يزيد به يقينًا ومعرفة.

٢- وأما التفكر فى الآلاء والنعماء، فأن ينظر إلى نعم الله تعالى.

---

(١) قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٦٧، ٦٨ دار الشروق.

وقد سئل بعض الحكماء عن الفرق بين الآلاء والنعماء، فقال:

كل ما ظهر من النعم، فهو الآلاء، وما بطن فهو النعماء.

ومثال ذلك: أن اليدين من آلائه، لكن قوة هاتين اليدين نعماؤه، والوجه آلاؤه، وحسنه وجماله نعماؤه، والفم آلاؤه، وطعم الطعام نعماؤه.

وقال بعضهم: الآلاء، إيصال النعمة، والنعماء، دفع البلية.

فإذا تفكر الإنسان فى الآلاء والنعماء يزيد من محبته - أى لخالقه-.

٣- وأما التفكر فى ثوابه: فهو أن يتفكر فى ثواب ما أعد الله لأوليائه فى الجنة من الكرامات، فإن التفكير فى ثوابه يزيد رغبة فيها، واجتهادًا فى طلبها، وقوة على طاعة ربه عز وجل.

وأما التفكر فى عقابه: فهو أن يتفكر فيما أعده الله لأعدائه فى النار من الهوان والعقوبة والنكال، فإن التفكر فى ذلك يزيد الإنسان رهبة وخوفًا، وبعدًا عن المعاصى.

٤- وأما التفكر فى إحسانه إليه: فهو أن يفكر فى إحسان الله عز وجل، وهو ما ستر عليه من ذنوبه، ولم يعاقبه بها، ودعاه إلى التوبة، وينظر فى جفاء نفسه كيف ترك أوامره، وارتكب معاصيه؟.

فإن التفكر فى ذلك يزيد المسلم أو المسلمة حياءً وخجلاً[1].

أختاه..

• هل تعلمي أن..؟ •

هل تعلمى أن الطير يسبح ربه ويمجده ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

مرَّ سليمان عليه السلام بعصفور وهو يسفد -أى يجامع- أنثاه، وهو يصيح ذلك الصياح.

فقال: أتدرون ماذا يقول هذا العصفور؟.

قالوا: لا يا نبى الله.

قال: يقول: تابعينى على ما أريد منك، فو الله، ما أريد تلذذًا، وما أريد إلا أن يخلق الله فيما بيننا خلقًا يسبحه[2].

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندى ص ٤٤٦، ٤٤٧ بتصرف ط/ التقوى.

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى الإشراف(٣٢٩) بإسناد حسن.

الطير سبحه والوحش مجده والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينسى وربي ليس ينساه

أختاه..

هل تعلمي أن الشجر يسبح بحمد ربه وكذلك الجماد والحجر والنبات: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

هل تعلمي أن الأرض تسجد لربها، والنجوم تسجد لربها، والشمس تسجد لربها، والقمر يسجد لربه، والجبال والشجر والدواب تسجد جميعًا لربها: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحج: ١٨].

حتى الضفدع يسبح بحمد ربه.. فعن المغيرة بن عتيبة قال:

قال داود عليه السلام: يا رب، هل بات أحد من خلقك طول الليل أذكر لك مني؟ فأوحى الله عز وجل إليه: نعم، الضفدع[١].

حتى الدودة الصغيرة تسبح.. قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:

بينما داود عليه السلام جالس ذات يوم، إذ مرت به دودة حمراء رافعة رأسها فتفكر داود عليه السلام في نفسه، ووسوس إليه الشيطان، فقال:

ما احتاج الرب إلى خلق هذه؟!.

فنطقت الدودة بإذن الله تعالى، فقالت: يا داود، أعجبتك نفسك، فتفكرت، فإن تسبيحة واحدة أسبحها خير من عبادتك[٢].

فسبحانك.. يا من سبحت لك الكائنات.. يا من سجد لك النبات، يا من تدكدكت لخشيتك الجبال الراسيات.

• الإيمان بالخالق وموقف المرأة البريطانية وزوجها •

أختي المسلمة..

وتأملي هذا الموقف الإيماني العظيم، الذي يدل على وحدانية الخالق جل في علاه، وأنه سبحانه لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا يفنيه الليل ولا النهار.

نزل رجل بريطاني وزوجته بلاد اليمن، فتقابلا بأحد العلماء هناك، فقالت المرأة البريطانية للعالم اليمني: أأنت مسلم؟.

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص٨٨ بإسناد جيد.

(٢) أبو الشيخ في العظمة (١٢٦٣) بإسناد جيد، وذكره السيوطي في الدر المنثور.

قال: نعم. فقالت له: دينكم هذا خرافات وأباطيل.

فقال لها: كذبت، بل إن ديننا دين العلم والعقل.

فقالت له: سوف أثبت لك بالأدلة المادية أن دينكم هذا خرافات.

قال لها: كيف ذلك؟.

قالت: سأسألك سؤالاً واحداً، فإن أجبتني عليه -ولن تستطيع- سأدخل معك في دينكم، وإن لم تستطع علمت صدق قولي بأنّ دينكم هذا خرافات وأساطير.

قال: سلي.

قالت المرأة: من تعبد؟.

قال: الله.

قالت البريطانية: ما طول هذا الإله وما عرضه؟.

أختاه..

إنه سؤال يدل على انتكاس في الفطرة، ورداءة في التفكير.

ولم لا والسائلة لا تؤمن بقرآن ولا سنة، ولا تصدق إلا حواسها الخمس فقط (الشم، واللمس، والسمع، والبصر)؟.

قال العالم اليمني: وأنت هل تحبين زوجك؟

قالت: نعم. قال: ما طول هذا الحب وما عرضه؟

قالت: وهل الحب يقاس بالكيلومترات؟!

فقال العالم: إذا كان الحب وهو من مخلوقات الله عز وجل، لا يخضع للمقاييس، أتريدين أن تدخلي الله -جل في علاه- تحت المقياس.. الله لا يشبه الناس، ولا يدخل تحت المقياس، ولا تدركه الحواس ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

• موقف الشافعي والزنديق •

التقى زنديق بإمامنا الشافعي رحمه الله يومًا، فقال له: يا شافعي، ما الدليل على وجود الله؟.

فقال الإمام: ورقة التوت.

فقال الزنديق: وكيف ذلك؟

قال الشافعي: تأكلها الدودة فتخرجها حريراً طريًّا، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً شهيًّا، وتأكلها الغزالة فتخرجها مسكًا ذكيًّا، وتأكلها الشاة فتخرجها لبنًا

صافيًا.. المادة واحدة، واللون واحد، لكن الصنعة مختلفة فمن الصانع؟! ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

سل الواحة الخضراء والماء جاريًا
وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانًا سل الزهر والندى
سل الليل والإصباح والطير شاديًا
سل هذه الأنسام والأرض والسما
سل كل شيء تسمع الحمد ساريًا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدًا
فمن غير ربى يُرجع الصبح ثانيًا

• وقفات مع عالم الحشرات •

١- وقفة مع النحلة:

تلك التى خاطبها ربها بما خاطب به الأنبياء فقال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

أختاه..

هل تأملت النحل وأحواله وأعماله؟ ألم تتأملى أقراص الشمع السداسية، فى دقتها واتقان صنعتها؟.. إنها مأمورة بالأكل من كل الثمرات، بخلاف كثير من الحشرات والتى تعيش على أنواع معينة من الأشجار أو الأعشاب.. وتعجبين معى حين تعلمين أن النحلة لا تأكل، بل ولا تقف على شجرة التبغ «الدخان».

وللنحلة عيون كبيرة توجد فى حافتى الرأس عينان، وعينان أخريان فى أعلى الرأس، وتحتهما عين ثالثة مما جعل لها سعة أفق فى النظر، فهى ترى أقصى اليمين، وأقصى الشمال، وترى القريب والبعيد فى وقت واحد، مع العلم بأن عيونها لا تتحرك، فمن الذى جعل عيونها كذلك؟ إنه من أحسن كل شيء خلقه.

والنحلة لها سمع دقيق جدًا يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان.. فمن الذى زودها بهذا السمع العجيب؟!.

والنحلة تحمل ضعف وزنها، وبسرعة أربعمائة خفقة جناح فى الثانية الواحدة.. فسبحان من خلق فسوى، وقدر فهدى.

وهناك من النحل من تعمل مرشدات عندما تجد مصدراً للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية أخواتها، وعندما ينتهى ما به من رحيق تفرز عليه رائحة كريهة حتى لا تضيع فى البحث فيه مرة أخرى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فمن الذى علمها وأرشدها؟ إنه الله رب العالمين.

إن النحلة (الشغالات) خارج الخلية تستطيع الرجوع إلى خليتها، بالتعرف عليها من بين عشرات الخلايا بلا تعب أو عناء، حتى ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال.

وهناك حراسًا للخلية، فلا تدخل الخلية نحلة غريبة عنها إلا قتلوها.

وهناك نوع آخر -أو نحل آخر- يعمل بالنظافة، ولذلك فهى لا تلقى مخلفاتها إلا خارج الخلية فمن الذى علمها؟ ومن الذى ألهمها؟! وفيما يخرج منها من العسل كلام يطول ذكره.

٢- وقفة مع النملة:

أختاه..

النملة حشرة من أصغر الحشرات التى نعرفها.. ولها حياة عجيبة، تبين العلماء أن النمل أمة كأمة البشر، لها قانونها الاقتصادى والسياسى، والاجتماعى، بل والعسكرى فالنمل لها نظام اقتصادى خاص فى التوفير، ورصد الاحتياطى، وادخار القوت من الصيف للشتاء، ولذلك قال لقمان لابنه: يا بنى، لا تكن النملة أعقل منك تدخر قوتها من الصيف للشتاء.. إنها تنقل الحب إلى مساكنها، ثم تكسره اثنين أو أربعة لئلا ينبت إذا أصابه بلل، وإذا خافت عليه العفن أخرجته إلى الشمس حتى يجف ثم ترده إلى بيوتها، فمن الذى علمها؟ ومن الذى دربها على ذلك؟.

إنه من قال: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] بل قد اكتشف أن هناك بعض النمل يعمل بالزراعة وفلاحة الأرض.

واكتشفوا كذلك أن للنمل عيشة مدنية فى بيوت ذات شقق وأدوار، وأجزاء منها تحت الأرض، وأخرى فوقها، وله حراس وخدم وعبيد، وهناك ممرضات ليلاً ونهاراً. إنّ عالم النمل عالم عجيب، من تأمله ازداد إيمانًا ويقينًا بأن وراء ذلك التنظيم المحكم خالق.

أختى المسلمة..

إنَّ النملة تعرف ربها وتذكره، وتسبحه، وتعرف أنه الرزاق ذو القوة المتين جاء فى بعض الآثار الصحيحة أنَّ نبيًا من الأنبياء نام فى ظل شجرة فقرصته نملة فأمر بمتاعه فأخرج، فوجد أمة من النمل فأمر بإحراقها، فعاتبه الله تعالى فى ذلك وأخبره أنه قتل أمة تسبح ربها.

• وقفة مع عالم الحيوانات •

١- مع الكلب:

ذكر الشيخ على القرني أن صاحب كتاب «من الثوابت العلمية فى القرآن» قال: ذُكر أنَّ طبيبًا وجد فى طريقه كلبًا كسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته، واهتم به، وقومها وجبرها، واعتنى به حتى شفى تمامًا، ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك بزمن سمع الطبيب قرعًا لطيفًا على باب عيادته، فوجد الكلب نفسه مصطحبًا معه كلبًا آخر مكسور الرجل، جاء به للمعاينة والعلاج، فسبحان الله.

٢- وقفة مع الهرة:

يقول: والأعجب من ذلك قصة هرٍّ -أى قط- اعتاد أن يجد طعامه اليومى أمام بيت أحد المهتمين به، فيأكله، وفى أحد الأيام لاحظ رب البيت أن الهر لم يعد يكتفى بالقليل مما كان يقدم له من قبل، أصبح يسرق غير ذلك، فقام رب البيت يرصده، ويراقبه، فوجده يذهب بالطعام إلى هرٍّ أعمى، فيضع أمامه الطعام فسبحان من يقول: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

٣- وقفة مع الفرس:

ذلكم الفرس العربى الأصيل، الذى كان يستعمل فى الكر والفر، وفى الجهاد فى سبيل الله، إنه يعرف ربه ويذكره، بل ويدعوه، كما أخبرنا بذلك الصادق والمصدوق ﷺ حيث قال: **«إنه ليس من فرس عربى إلا ويؤذن له مع كل فجر، فيدعو بدعوة، فيقول: اللهم إنك خولتنى من بنى آدم، فاجعلنى من أحب أهله وماله إليه»**(١).

فمن الذى علمه هذا الدعاء؟!

٤- وقفة مع القرد:

من الملاحظ أن القرد يشبه الإنسان فى بعض تصرفاته وحركاته، وهو يختلف عن سائر الحيوانات، فهو يحتفظ لنفسه بزوجة لا يعتدى عليها آخر.

ومن عجيب أمر القرد كما ذكرت السنة المطهرة أنه يقيم حدًّا من حدود الله ألا وهو حد الزنا.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم٢٤١٤.

فعن عمرو بن ميمون قال: رأيت فى الجاهلية قرداً وقردة زنيا، فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا(١).

٥- وقفة مع الفأرة:

ذلكم الحيوان المؤذى، حتى أن الرسول ﷺ سماها الفويسقة كما ورد فى السنة ومن عجيب أمرها كما ذكر الإمام ابن القيم فى شفاء العليل:

أنها إذا شربت من الزيت الذى فى أعلى الجرة، وعز إليها الوصول إليه ذهبت وحملت فى أفواهها ماء، وصبته فى الجرة، فينزل الماء إلى أسفل، ويرتفع الزيت إلى أعلى لأن كثافة الزيت أقل من كثافة الماء، فحيئذ تشرب منه.

فمن أعلم الفأرة أن كثافة الزيت أقل من كثافة الماء؟

تأمل فى الوجود بعين فكر ... ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعًا سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال

* * *

تأمل سطور الكائنات فإنها ... من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ... ألا كل شىء ما خلا الله باطل

• وقفة مع عالم النبات •

أختى المسلمة..

هل سرت يومًا بين الحقول والمزارع، فتأملت شجرة عظيمة، لها فروع طوال، وجذور عميقة، وأغصان مرتفعة، فسألت نفسك ما أصل هذه الشجرة الكبيرة؟ أصلها حبة صغيرة ثم نظرت بجوار هذه الشجرة سترين شجرة صغيرة كشجرة الفول مثلاً، وسألت نفسك ما أصلها؟ أصلها حبة كبيرة تساوى عشرات المرات من بذرة التوت أو الكافور، فمن الذى أنبت الشجرة الكبيرة من البذرة الصغيرة، والشجرة الصغيرة من الحبة الكبيرة؟ لا شك أنه الخالق الأعظم جل فى علاه.

ومن عجائب النبات ما ذكره صاحب كتاب «نوادر الكتب» من أن شجرة غريبة فى جنوب الصين تكون أوراقها فى الأحوال الجوية العادية خضراء كأوراق الشجر، وقبل حدوث الفيضانات، أو هطول الأمطار تتغير فتصبح حمراء، فأصبحت عند

(١) رواه البخارى (٣٨٤٩) فى مناقب الأنصار باب القسامة.

سكان تلك المنطقة كمـراقبة للأحوال الجوية.. إنها تقـول بلسان الحال: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].
أختاه..

هل تعلمي أن الشجر يسـبح بحمد ربه كما ذكـرت قبل ذلك، وقد دلت السنة المطهـرة على ذلك، فقد شـهدت لربنا جل فـى علاه بالوحدانيـة، ولرسولنا بالـنبوة والرسالة.

فعن ابن عمر ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فأقبل أعرابى، فلما دنا، قال له رسول الله ﷺ: **«أين تريد؟»**.

قال الأعرابى: إلى أهلى.

قال ﷺ: **«هل لك إلى خير؟»**. قال: وما هو؟.

قال: **«تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؟»**.

قال: هل من شاهد على ما تقول؟

قال: **«هذه الشـجرة»** فدعـاها رسول الله ﷺ وهى على شاطىء الوادى، فأقبلت تخد الأرض خداً -أى تشقهـا- حتى قامت بين يديه، فاستشـهدها رسول الله ثلاثًا فشهـدت أنه كما قال: ثم إنهـا رجعت إلى منبتهـا، ورجع الأعرابى إلى قومه.. وقـال للرسول ﷺ: إن يتبـعونى أتيتك بهـم، وإلا رجعت إليك وكنت معك[1].

---

(١) رواه الحاكم ٢/ ٦٢ وصححه، والبيهقى فى دلائل النبوه ٦/ ١٥، وقال ابن كثير: إسناده جيد.

• قصيدة في التفكر في مخلوقات الله •

قل للطبيب تخطفته يدى الردى	يا شافى الأمراض من أرداكا؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما	عجزت فنون الطب من عافاكا؟
قل للصحيح يموت لا من علة	من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟
قل للجنين يعيش معزولاً بلا	راع ولا مرعى ما الذى يرعاكا؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه	فاسأله من ذا بالسموم حشاكا؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو	تحيا وهذا السم يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت	شهداً وقل للشهد من حلاكا؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين	دم وفرث ما الذى صفاكا؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخفى	عن عيون الناس من أخفاكا؟
وإذا رأيت البدر يسرى ناشراً	أنواره فاسأله من أسراكا؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبعد	كل شىء ما الذى أدناكا؟
كل للمرير من الثمار من الذى بالمر	من دون الثمار غذاكا؟
وإذا رأيت النار شب لهيبها	فاسأل لهيب النار من أوراكا؟
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحًا	قمم السحاب فسله من أرساكا؟
وإذا ترى صخراً تفجر بالمياه	فسله من بالماء شق صفاكا؟
وإذا رأيت النهر بالعذب الذلال	جرى فسله من الذى أجراكا؟
وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج	طغى فسله من الذى أطغاكا؟
وإذا رأيت الليل يغشى داجيًا	فاسأله: من يا ليل حاك دجاكا؟
وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيًا	فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا؟
هذى عجائب طالما أخذت بها	عيناك وانفتحت بها أذناكا
ومن الذى تعصى ويغفر دائما	ومن الذى تنسى ولا ينساكا؟
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذى	بالله جل جلاله أغراكا؟
يا مدرك الأبصار والأبصار لا	تدرى له ولكنه إدراكا
إن لم تكن عينى تراك فإننى	فى كل شىء استبين علاكا
يا منبت الأزهار عاطرة الشذا	هذا الشذا الفواح نفخ شذاكا
فاقبل دعائى واستجب لرجائى	ما خاب يومًا من دعا ورجاكا

(١) القصيدة للشاعر على بديوى.

الباب رقم (١٤)

مواقف إيمانية

في

١ - قيام الليل.

٢ - التضرع إلى ذى الجلال والإكرام.

لله قوم أخلصوا فى حبه
فاختصهم ورضى بهم خدامًا
قوم إذا هجم الظلام عليهم
قاموا فكانوا سجداً وقيامًا
يتلذذون بذكره فى ليلهم
ونهارهم لا يفترون صيامًا
فسيفرحون بورد حوض محمد
وسيسكنون من الجنان خيامًا
وتقر أعينهم بما أخفى لهم
وسيسمعون من الجليل سلامًا

قال الفضيل بن عياض قال الله تعالى:

«كذب من ادعى محبتى، فإذا جنه الليل نام عنى، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، ها أنا مطلع على أحبائى، إذا جنهم الليل، جعلت أبصارهم فى قلوبهم، ومثلت نفسى بين أعينهم فخاطبونى على المشاهدة، وكلمونى على حضورى، غداً أقرعين أحبائى فى جناتى».

• مواقف حبيبة العدوية •
• وقيام الليل •

قال أبو عبد الله المكي -رحمه الله-:

كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة -أي العشاء- قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: «إلهي، غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك» ثم تقبل على صلاتها، فإذا كان السحر قالت:

«اللهم هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعرى، هل قبلت منى ليلتى فأهنَّى، أم رددتها علىَّ فأعزى، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبدًا ما أبقيتنى، وعزتك لو انتهرتنى ما برحت عن بابك، ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك»(١).

وكانت تقول: «اللهم اغفر لى سوء أدبى فى صلاتى».

أختى المسلمة..

هذا موقف إيمانى عظيم بسيدة كريمة قامت لرب كريم تناجيه فى الليل وتتضرع إليه فى خشوع وخضوع.. قامت إليه تصلى وتتهجد.. قامت تدعوه بقلبها ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

موقف إيمانى مشرق.. قنوت وطاعة وتوجه إلى من خلق الكائنات وهى ساجدة قائمة وهى تحذر الآخرة، وترجو رحمة ربها.

موقف إيمانى فيه صفاء وشفافية.. تفتح بصيرتها.. ليمنح رب العالمين قلبها نعمة الرؤية والتلقى والحب الخالص لله رب العالمين.

موقف فيه دروس وعبر، فما هى الدروس والعبر التى نأخذها من حبيبة العدوية؟(٢).

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى٤/١٩، ٢٠.

(٢) تنبيه المغترين للشعرانى ص١١٦.

الدرس الأول
قيـــام الليـــل

أختي المسلمة. .

وقيام الليل هو أول الدروس الإيمانية التي نتلقـاه من هذه العابدة القانتة لله رب العالمين. . وقيام الليل دأب الصالحين. . قال رب العالمين واصفًا عباده المؤمنين في أكثر من آية: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] وقال سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وقال تعالى في أوصاف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقد جعل الله تعالى الليل والنهار للبشر ليستعينوا بهما على ما فيه نفعهم في دنياهم وأخراهم. . قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالى-:

روى ابن أبي الدنيا بإسـناده عن مالك بن دينار قال: كـان عيس عليه السلام يقول: «إنّ هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ما تضعون فيهما».

وكان يقول: «اعملوا الليل لما خلق له، واعملوا النهار لما خلق له».

وكان الحسن يقول: يا ابن آدم، اليـوم ضيفك، والضـيف مرتحل يحـمدك أو يذمك، وكذلك ليلك.

وبإسناده عن بكر المزني أنه قـال: «ما من يوم أخرجـه الله إلى أهل الدنيا، إلا ينادي. ابن آدم، اغـتنمني» لعلـه لا يوم لك بعـدي، ولا ليلـة إلا تنادي ابن آدم، اغتنمني لعله لا ليلة بعدي».

وعن داود الطائي أنه قال: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفـرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك. . واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك.

وقال قتـادة: «فأدوا إلى الله من أعمالكم خـيرًا في هذا الليل والنهار، فـإنهما

مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم.. يقربان كل بعيد.. ويبليان كل جديد.. ويجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة»(١).

• الترغيب فى قيام الليل من السنة •

وفى الحث على قيام الليل أحاديث كثيرة منها:

١- عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أطب الكلام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وصلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام»**(٢).

٢- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: **«إنَّ فى الجنة غرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»** قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام»**(٣).

٣- وعن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبى ﷺ ليلة، فقال: **«ألا تصليان؟»**.

فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك، ولم يرجع إلى شيء، ثم سمعته وهو يقول يضرب فخذه: ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٤](٤).

قال ابن حجر فى الفتح: قال ابن بطال: «فيه فضيلة صلاة الليل، وايقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك».

وقال الطبرى: لولا ما علم النبى ﷺ من عظم فضل الصلاة فى الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله سكنًا، لكنه اختار لهما احراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: ١٣٢].

٤- وعن جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«ما من مسلم ذكر ولا أنثى إلا وعليه**

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص٤١، ٤٢ ط/ دار ابن كثير.

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه، وأبو نعيم فى الحلية، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ١٠٣٠ والصحيحة ٥٦٩.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبى وحسنه الهيثمى، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

جرير معقود، فإن هو توضأ، وقام إلى الصلاة أصبح نشيطًا قد أصاب خيرًا، وقد انحلت عقده كلها، وإن استيقظ ولم يذكر الله أصبح وعقده عليه، وأصبح ثقيلاً كسلان، ولم يصب خيرًا[١].

وفي رواية البخاري:

«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة، فإذا صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[٢].

قال البيضاوي: التقييد بالثلاث: إما للتأكيد، أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء: الذكر والوضوء والصلاة، فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه.. وخص القفا بذلك لكونه محل الوهم، ومجال تصرفه، وهو أطوع القوى للشيطان، وأسرعها إجابة لدعوته.

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته، فإن أبت، نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبى، نضحت في وجهه الماء»**[٣].

٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، كتبا في الذاكرين والذاكرات»**[٤].

▪ نساء قائمات ساجدات ▪

١- قيام أم المؤمنين عائشة:

قال القاسم: «كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها، فغدوت

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٦٤٤.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وابن ماجه والنسائي ومالك في الموطأ.
(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والنسائي وابن حبان في صحيحه، والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٨٨.
(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم، وصححة السيوطي والألباني في صحيح الجامع برقم ٣٣٠.

يومًا، فإذا هي قائمة تسبح، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] وتدعو وتبكي وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي»[١].

فإذا كان هذا هو نهارها فكيف يكون ليلها؟!.

٢- أم المؤمنين: حفصة بنت عمر:

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل عليه السلام: «**راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة**»[٢].

إن هذه الشهادة وسام شرف، لأنها شهادة المولى عز وجل لها وجبريل عليه السلام.

٣- قيام أم المؤمنين: زينب بنت جحش:

لقد كانت هي الأخرى صوامة قوامة، ففي البخاري أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب، تصلي، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «**لا. حلُّوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**»[٣].

٤- قيام معاذة العدوية زوجة صلة أشيم:

وهي تلميذة لعائشة رضي الله عنها تخرجت من مدرستها.. فقد كانت رحمها الله تصلي الليل الطويل، فكانت تكل الرجال وهي لا تكل[٤].

كانت تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار، وهي تقول: «يا نفس، النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبور على حسرة أو سرور».

وكانت تقول: عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور»[٥].

٥- قيام حفصة بنت سيرين:

قال هشام بن حسان: كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف، تقول: فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب وقودًا لا يؤذي دخانه ويدفئني نمكث بذلك ما شاء الله[٦].

---

(١) السمط الثمين ص٩٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم٤٢٢٧.

(٣) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٤) تنبيه المغترين للشعراني ص١١٧.

(٥) صفة الصفوة لابن الجوزي٤/ ١٤ ط/ دار الفكر.

(٦) صفة الصفوة ٤/ ١٦ ط/ دار الفكر.

٦- قيام كريمة بنت سيرين:

وهى أخت حفصة بنت سيرين.. يقول مهدى بن ميمون: مكثت كريمة بنت سيرين خمس عشرة سنة ما تخرج من مصلاها إلا لقضاء حاجة(١).

٧- رابعة العدوية:

لقد كانت صوامة قوامة صالحة.. كانت تصلى الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكانت تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة: «يا نفس، كم تنامين؟ وإلى متى تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور»(٢).

تقول عبدة بنت أبى شوال: وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت..».

٨- عجردة العمية:

كانت من الصالحات القانتات.. كانت إذا جاء الليل، لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلى إلى السحر، ثم تجلس فتدعو إلى أن يطلع الفجر. فقيل لها: لو نمت من الليل شيئًا، فبكت، وقالت: ذكر الموت لا يدعنى أنام(٣).

٩- عفيرة العابدة:

قال لها روح بن سلمة الوراق: بلغنى أنك لا تنامين بالليل، فبكت، ثم قالت: «ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام من لا ينام حافظاه ليلاً ولا نهارًا»(٤).

١٠- عمرة امرأة حبيب العجمى:

كانت من قوام الليل.. ومن الصالحات العابدات.. انتبهت ليلة وزوجها نائم.. فأيقظته فى السحر وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحات قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا(٥).

(١، ٢) المرجع السابق٤/ ١٧.
(٣) المرجع السابق ٤/ ١٩.
(٤) المرجع السابق ٤/ ٢٠.
(٥) المرجع السابق ٤/ ٢٢.

١١- بردة الصريمية:

عن عطاء المبارك قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة، يقال لها: بردة، وكانت تقوم الليل، فإذا اسكنت الحركات، وهدأت العيون، نادت بصوت لها حزين: هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بى يا محبوبى، أفتراك تعذبنى وحبك فى قلبى؟ لا تفعل يا حبيباه[١].

١٢- امرأة أبى عمران الجونى:

عن عويد بن أبى عمران الجونى قال: كانت أمى تقوم من الليل حتى تعصب ساقيها بالخرق، فيقول لها زوجها: دون هذا يا هذه، فتقول: هذا عند طول القيام فى الموقف قليل، فيسكت عنها[٢].

١٣- امرأة رياح القيس:

تزوج رياح القيس امرأة.. فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته، قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، فقالت: يا رياح فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر.. ثم نادته، فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم، ليت شعرى من غرنى بك يا رياح، قال: فقامت الربع الآخر.

ويقول زوجها: كانت إذا صلت العشاء تطيبت وتدخنت، ولبست أحسن ثيابها ثم تأتينى، فتقول: لك حاجة.. فإن قلت: نعم، كانت معى.. وإن قلت: لا قامت فنزعت ثيابها، ثم صفت بين قدميها حتى تصبح[٣].

١٤- غضنة وعالية - رحمها الله -:

فقد كانتا من عابدات البصرة.

قال أبو الوليد العبدى: ربما رأيت غضنة وعالية تقوم إحداهما من الليل، فتقرأ البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام والأعراف فى ركعة واحدة[٤].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٢٣.

(٢)، (٣) المرجع السابق ٤/ ٢٧.

(٤) المرجع السابق ٢٥.

١٥- فاطمة بنت بزيع امرأة أبى عثمان:

عن رباح بن الجراح قال: رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبى عثمان، وكانت من العابدات وكانت تصلى أكثر الليل، ما كنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها فى القراءة والصلاة حتى تصلى الصبح بوضوء العتمة -أى العشاء-.

أختى المسلمة..

وهكذا قد التقينا بتلك العابدات الصالحات.. وطفنا معهن سريعًا فى بستان العبادة.. قسم قيام الليل.

أما تكون هذه كلها مواقف إيمانية عظيمة تعتبرين وتتعظين بها؟ أما تكون هؤلاء العابدات اللاتى وقفت بك معهن أسوة وقدوة حسنة لتجعلك من قائمات الليل. ومن العابدات الناساكات؟!.

فحافظى على قيام الليل كما كانت الصالحات يحافظن عليه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وهكذا كان ليل الصالحات القانتات.

اشترى أبو عبد الله النباجى جارية سوداء للخدمة، فقال لها: قد اشتريتك، فضحكت، فحسبها مجنونة، فقال لها: أنت مجنونة؟ فقالت: سبحان من يعلم خفيات القلوب، ما أنا بمجنونة.

ثم قالت له: هل تقرأ شيئًا من القرآن؟ فقال: نعم.

فقالت: اقرأ علىّ.. فقرأ عليها.. بسم الله الرحمن الرحيم، فشهقت وقالت: يا مولاى هذه لذة الخبر، فكيف بلذة النظر؟! فلما جن الليل وطئ فراشًا للنوم فقالت له: أما تستحى من مولاك إنه لا ينام وأنت تنام؟ ثم أنشدت:

عجبت للمحب كيف ينام ... جوف ليل وقلبه مستهام
إن قلبى وقلب من كان مثلى ... طائران إلى مليك الأنام
فأرض مولاك إن أردت نجاة ... وتجافى عن اتباع الحرام

قال النباجى: ثم قامت ليلتها تصلى، فلما كانت فى آخر سجدة سمعتها تقول فيها: يا رب، بحبك إياى لا تعذبنى.. فقلت لها: غلطت، قولى: بحبى إياك لا تعذبنى.. فلما فرغت قالت لى: يا مولاى، ما غلطت، بل أصبت، لولا سابق محبته لم أحبه، ولم توجد محبتى له.

أختى المسلمة..

بقيام الله يعلو أجرك.. ويثبت مجدك.. وإياك أن تهدى بالكسل بنيانه، وتسقطى بالملل إيوانه.. فيخرب منك ما لا يعمر.. وينصدع منك ما لا يجبر وتخسرين من بضائعك أعظم ما يخسر.

لو يعلم الراقد ما فاته ... وأى مجد هدّ أبياته
لحرّم النوم على جفنه ... وسدّ بالخدمة أوقاته
وأرسل الدمعة ممزوجة ... على مبيت طالما بـاته
ضيّع فيه الحظ من ربه ... ولم يبال الذى فاته
من درجات ثبتت فى العلى ... تحكم فى الفردوس إثباته
ومن يرم تلك المعالى غداً ... يطل إليها اليوم إعناته

• الدرس الثانى •

• الدعاء والتضرع إلى الله •

أختى المسلمة. .

والدرس الثانى الذى نتعلمه سويًّا من «حبيبة العدوية» هو التضرع والدعاء إلى الله تعالى، وخاصة فى وقت السحر، ذلكم الوقت العظيم، الذى ينزل فيه الرب الكريم جل فى علاه إلى سماء الدنيا ويقول: «**من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**»(١).

ولذلك فإن يعقوب عليه السلام لما قال لإخوة يوسف: ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**﴾ [يوسف: ٩٨] قصد أن يدعو لهم وقت السحر.

أختى المسلمة. .

والدعاء هو العبادة نفسها التى خلقنا من أجلها. . فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠](٢).

ومن الملاحظ أن «**حبيبة العدوية**» دعت ربها وهى ساجدة لله رب العالمين وهذا الموضع من أشرف أحوال الإنسان، ولذلك يقول سيد الأكوان: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء**»(٣).

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألبانى، ورواه الترمذى وقال: (حسن صحيح)، ورواه ابن ماجه والحاكم وصححه.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

وينبغى أن تعلمى أختى المسلمة.. أنك إذا لم تسألى ربك يغضب عليك، قال ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله، يغضب عليه**»(١).

وقد رأى أحد الصالحين رجلاً يتردد على أحد الملوك، فقال له: يا هذا تذهب إلى من يسدُ دونك بابه، ويظهر لك فقره، ويخفى عنك غناه، وتترك من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه، ويقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

وفى ذلك قيل:

لا تسألنَّ بُنى آدم حاجة — وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله — وإذا سألت بنى آدم يغضب

وقال سبحانه: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ**﴾ [النمل: ٦٢].

سلى ربك وتضرعى إليه، وارفعى إليك حاجتك فـ «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما فى يمينه**»(٢) أى لم ينقص ما فى يمينه.

سليه فهو الذى يقول: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

أختى المسلمة..

ها هى جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى - قاضى البصرة -رحمها الله- يقول عبيد الله بن الحسن العنبرى: «كانت عندى جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجبًا، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبى، فانتبهت فلم أجدها، فالتمستها، فإذا هى ساجدة تقول:

بحبك لى اغفر لى، فقلت: يا جارية، لا تقولى: بحبك لى، قولى: بحبى

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذى (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد فى مسنده بإسناد صحيح، ورواه الحاكم، وصححه الألبانى.

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والترمذى.

لك اغفر لى، فقالت: يا بطال، حبه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام، فأيقظ عينى، وأنام عينك، فقلت: اذهبى فأنت حرة لوجه الله.. فقالت: يا مولاى، أسأت إلىَّ، كان لى أجران، فصار لى أجر واحد»(١).

ويذكر سعيد الباهلى أنه دخل الطواف ليلاً، فبينما هو يطوف، فإذا هو بامرأة فى الحجر ملتزمة للبيت قد علا نشيجها، فدنا منها، فإذا هى تقول:

«يا من لا تراه العيون.. ولا تخالطه الأوهام ولا الظنون، ولا تغيره الحوادث، ولا يصفه الواصفون.. يا عالمًا بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار.. وعدد قطر الأمطار.. وورق الأشجار.. وعدد ما أظلم عليه الليل.. وأشرق عليه النهار.. ولا توارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل ما فى وعرة.. ولا بحر ما فى قعره، أسألك أن تجعل خير عمرى آخره.. وخير عملى خواتمه.. وخير أيامى يوم ألقاك.. وخير ساعاتى مفارقة الأحياء من دار الفناء إلى دار البقاء، التى تكرم فيها من أحببت من أوليائك.. وتهين فيها من أبغضك من أعدائك يا ذا الجلال والإكرام»(٢).

فيا له من دعاء ما أبلغه.. ويا له من تضرع ما أفصحه.. ويا لها من كلمات ما أعظمها؟!.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٢٨.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٢٩٠ .

الباب رقم (١٥)

مواقف إيمانية في الخوف من الله عزوجل والبكاء من خشيته سبحانه

إذا مـا الليل أظلم كـابدوه
فـيـسـفـر عنهم وهم ركـوع
أطار الخـوف نومـهم فـقـامـوا
وأهل الأمن فى الدنيـا هجـوع
لهم تحت الظلام وهم سـجـود
أنـين مـنـه تـنـفــرج الـضـلـوع
وخرس فى النهار لطول صمت
عليـهـم من سكينتـهـم خشـوع

«عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا».

الحسن البصري

• من مواقف الخائفات من رب الكائنات •

أختي المسلمة..

يحدثك عن هـذا الموقف الإيماني الجليل تابعي جليل، هو ثابت البناني -رحـمه الله- فيقول:

كانت امرأة من الصدر الأول يقال لها: بردة الصريحية: وكانت تكثر من البكاء فقيل لها: اتقي الله، أما تخافين على بصرك أن يذهب؟

قالت: دعـوني، فإن أكن من أهل النار، فـأبعدني الله، وأبعـد بصري، وإن أكن من أهل الجنة، فسيبدلني الله بصرًا خيرًا من بصري(١).

رحـمك الله يا بردة يامن كنت إذا سُـئلت: كيف أصبـحت؟ قلت: أصبـحنا أضيافًا منتجعين بأرض غربة، ننتظر إجابة الداعي.

لقد كانت تخاف من الله عز وجل خوفًا جعلها تبكي بكاءً شديدًا حتى ظن من حولها أنها ستفقد بصرها، لكنها تعلم علم اليقين أن ما عند الله خير وأبقى، تعلم أن جزاء الخائفين عظيم ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقد تعلمت ذلك من كتـاب ربها، عندما وصف علماء الأمة ومدحـهم، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] إنها تدبرت قول الله تعالى في أوصاف التـالين لكتاب الله: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨].

علمت بردة رحمها الله أن ملائكة الرحمن جل وعلا، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون يبكون من خشية الله جل وعلا:

١- جبريل وميكائيل يبكيان:

قال ﷺ: « مررت ليلـة أسرى بي بالملأ الأعلى، وجـبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى »(٢).

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٢ لابن الجوزي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٨٦٤.

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «**مالي لا أرى ميكائيل يضحك؟ قال: ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»[١].

٢- بكاء الأنبياء:

١- بكاء آدم عليه السلام:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل آدم بالحجر يمسح به دموعه حين أهبط من الجنة، ولم ترقأ عين آدم حين خرج من الجنة حتى رجع إليها[٢].

٢- بكاء نوح عليه السلام:

عن وهيب بن الورد قال: «لما عاتب الله نوحًا في ابنه، فأنزل عليه ﴿**أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: ٤٦] بكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت عينيه أمثال الجداول من البكاء»[٣] ولكثرة بكائه كان يسمى نوحًا.

٣- بكاء داود عليه السلام:

كان دواد عليه السلام يبكي حتى كان يسمى «النواح» من كثرة بكائه[٤].

٤- بكاء يحيى عليه السلام:

عن مجاهد قال: كان يحيى بن زكريا يأكل العشب، وإن كان ليبكي من خشية الله مالوطار الطائر على عينيه لحرقه.. وكانت الدموع قد اتخذت مجرى في وجهه.

٥- بكاء نبينا محمد ﷺ:

عن عبيد بن عمير، أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «**ياعائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي**» قلت: والله إني أحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام، فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره. قالت: وكان جالسًا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته.[٥]

قالت ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

---

(١) رواه أحمد في مسنده(١٣٢٧٦) بإسناد حسن ١٥٣/١٢، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم٢٥١١.

(٢) رواه البيهقي في الشعب بإسناد صحيح٨٣٧.

(٣) رواه أحمد في الزهد بإسناد صحيح ص٥٠، والرقة والبكاء ص٢٣١.

(٤) الرقة والبكاء لابن قدامة (١٧) وإسناده حسن.

(٥) المرجع السابق ص١٢٠ بإسناد صحيح.

قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت على الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»(١) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وكان إذا سمع آيات القرآن يبكى خشوعًا وخضوعًا من الله عز وجل..

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ:

«اقرأ علىَّ» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟

قال: «إني أحب أن أسمعه من غيرى» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان(٢).

وقد بكى ﷺ اشفاقًا على أمته وخوفًا عليها من عذاب ربها...

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى فى إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

ورفع يديه وقال: «اللهم أمتى» وبكى...

فقال الله عز وجل: «يا جبريل، اذهب: إلى محمد فسله ما يبكيك»؟

فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله بما قال -وهو أعلم-.

فقال الله: «ياجبريل، اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك»(٣).

وقد بكى النبى ﷺ شفقة على حال أصحابه، وبكى عند ذكر الحساب، وبكى عند فقد الأحبة، كفقده جعفر بن أبى طالب، وعند زيارة قبر أمه، وعند موت عثمان ابن مظعون رضي الله عنه وغير ذلك..

• فضل البكاء من خشية الله تعالى •

أختى المسلمة...

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه بإسناد صحيح، ورواه أبو الشيخ فى أخلاق النبى، وصححه الألبانى.

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرها.

(٣) رواه مسلم.

لقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل البكاء من خشية الله تعالى منها:

١- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«عينان لا تمسهما النار: عين بكت فى جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس سرية فى سبيل الله»(١).

٢- وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يلج النار من بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى عبد أبدًا»**(٢).

٣- وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته»**(٣).

٤- عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله،ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إنى أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه...»(٤).

فقد ذكر ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله يوم الحر الأكبر.. رجل ذكر الله أو امرأة ففاضت عيناها.

قال القرطبى: «وفيض العين بحسب حال الذاكر، وبحسب ما يكشف له، ففى حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفى حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه سبحانه»(٥).

وقد سأل داود عليه السلام ربه، فقال: إلهى.. ما جزاء من بكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجنتيه - أى خديه -؟

قال: **«جزاؤه أن أحرم وجهه على لفح النار، وأن أؤمنه يوم الفزع»**(٦).

---

(١) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٥/٢٠٩، والترمذى (١٦٣٩)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٤١١٣، ومشكاة المصابيح برقم٣٨٢٩.

(٢) رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى المشكاة (٣٨٢٨).

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

(٤) رواه البخارى ومسلم وصحيح الجامع برقم٣٦٠٣.

(٥)فتح البارى ٢/ ١٧٢ لابن حجر.

(٦) حلية الأولياء ٦/٥٦، ٥٧ لأبى نعيم بإسناد حسن.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

«لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار»[١].

من كــان يخــشى الله جل جــلاله فليكـثـر العـبــرات فى الخلوات
فلـعله بـعــد التــذكــر والبـكا بدلت لـه العــبـرات بالحـسنات
وتخــفف الأوزار عـم منشــوره يوم الحـساب وموقف الحسرات

ورحم الله من قال:

يانفـس قــومى فــقــد نام الورى إن تصنعى الخير فذو العرش يرى
وأنت يـا عين دعـى عنك الكـرى عند الصـباح يحـمد القوم السُّرى

• نساء صالحات باكيات •

١- زجلة العابدة:

قال عـباد بن عبـاد: دخلنا على زجلة العابدة - مـولاة معاوية - وكـانت قد صامت حتى اسودت، وبكت حتى عمشت، وصلت حتى أقعدت.. وكانت صلاتها قاعـدة، فسلمنا عليها، ثم ذكـرناها بعفو الله تعـالى لنهون عليها الأمـر... فبكت وقـالت: علمى بنفسى قـرح فؤادي، وكلم قـلبى.. والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئًا مذكوراً.. ثم أقبلت على صلاتها[٢].

٢- عفيرة العابدة:

كانت رحمها الله تبكى طويلاً فقيل لها: أما تسأمين من طول البكاء؟ فبكت ثم قالت:

كيف يسأم ذو داء من شيء يرجو أن فيه من دائه الشفاء؟![٣].

٣- شعوانة العابدة:

قال مـعاذ بن الفضل: بكت شعـوانة حتى خفنا عليـها العمى، فـقلنا لها فى ذلك، فقالت: أعمى والله فى الدنيا من البكاء أحب إليَّ من أن أعمى فى الآخرة من النار![٤].

قيل لبعض من رآها: صف لى بكاءها؟

فقال: هى والله تبكى الليل والنهار لا تكاد تفتر..

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان بإسناد حسن.
(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢٥.
(٣)،(٤) المرجع السابق ٤/ ٢١،٣٣.

فقيل له: ليس عن هذا نسألك، كيف تبتدئ بالبكاء؟

قال: تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جفونها كالقطر(١).

ولله در ابن المبارك حين قال عن مثل هؤلاء:

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوع

٤- معاذة العدوية:

قال محمد بن الفضيل: كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار، قالت: هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي.. وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم(٢).

وها هي تعظ امرأة فتقول -رحمها الله-:

«يا بنية، كوني من لقاء الله عز وجل على وجل ورجاء، وإني رأيت الراجي له محفوفًا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه، ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم بكت وغلبها البكاء..»(٣).

وهي بذلك تريد أن تؤكد حديث النبي ﷺ عن رب العزة جل وعلا:

«لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين، فإن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة، وإن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة»(٤).

فرحم الله معاذة ورحم الله نساء السلف الصالح وأمنهن من العذاب يوم الفزع الأكبر.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

«ألا وإن الله يضحك إلى رجلين -أي يَقبل بالرضا عن صنفين- رجل قام في ليلة -أو امرأة- باردة عن فراشه ولحافه ودثاره، فتوضأ، ثم قام إلى الصلاة، فيقول الله عز وجل لملائكته:

---

(١) المرجع السابق ٤/ ٣٣.

(٢)،(٣) صفة الصفوة ٤/ ١٤.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

«ما حمل عبدى هذا على ما صنع؟» فيقولون: ربنا رجاء ما عندك، وشفقة مما عندك، فيقول الله تعالى:

«فإنى قد أعطيته ما رجا، وأمنته مما يخاف»(١).

٥- فاطمة بنت محمد بن المنكدر:

وكانت من عابدات المدينة المعروفات بالتقوى والصلاح.

عن إبراهيم بن مسلم قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة، فإذا جنها الليل تنادى بصوت حزين:

«هدأ الليل، واختلط الظلام، وآوى كل حبيب بحبيبه، وخلوتى بك أيها المحبوب أن تعتقنى من النار»(٢).

٦- أم الدرداء رضي الله عنها:

عن سعيد بن عبد العزيز قال: «أشرفت أم الدرداء على وادى جهنم ومعها إسماعيل بن عبيد الله، فقالت: يا إسماعيل اقرأ، فقرأ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

فخرت أم الدرداء على وجهها وخر إسماعيل على وجهه فما رفعا رءوسهما حتى ابتل ما تحت وجوههما من دموعهما»(٣).

ورحم الله ابن القيم حين قال عن مثلها:

يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم	مثل أنهار الوابل الهطال
فى الليل رهبان وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالى

٧- عائشة رضي الله عنها والخوف من الله:

لقد سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ يومًا عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قالت عائشة: الذين يشربون الخمر ويسرقون؟

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٢٥٧ وقال: إسناده حسن.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١١٩.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٢٠٨.

فقال ﷺ : **«لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون فى الخيرات»**(١).

أختاه. . .

وفارق بين من يسارعون فى الخيرات، ومن يسارعون في الآثام. .هو نفس الفارق بين النور والظلمة. . بين السماء والأرض. .بين الحياة والموت.

•إذا وجدتى باب الطاعة فلا تغترى•

أختى المسلمة. .

إذا وجدت باب الطاعة فلا تغترى، فربما فتح لك باب طاعته، وأنهضك إلى خدمته، ولم يفتح لك باب القبول.

سئل حاتم الأصم: كيف تصلى؟

قال: أقوم بالأمر، وأمشى بالخير، وأكبر بالتعظيم، وأقرأ بالترتيل والتفكير وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالسنة وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل، وأرجع على نفسى بالخوف. . وأخاف أن لا يقبل منى شيء(٢).

وإعلمى أن أمر النجاة ليس معلقًا بكثرة الطاعات فحسب، فإن أكبر طاعة إذا أصابته آفة كالعجب والرياء صارت لا قيمة لها، مصداقًا لقول النبى ﷺ :

«ربَّ قائم حظه من قيامه السهر، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش»(٣).

أختى المسلمة. .

ورحم الله مالك بن دينار حين قال:

«عجبًا لمن يعلم أن الموت مصيره، والقبر مورده، كيف تقر بالدنيا عينه؟ وكيف يطلب فيها عيشه؟!

ورضى الله عن سلمان الفارسى حين قال:

ثلاث أعجبتنى ثم أضحكتنى!

---

(١) رواه الترمذى، وابن ماجه، وذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة رقم ١٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٧٤،٧٥.

(٣) رواه البيهقى والطبرانى والحاكم، وصححه وذكره الألبانى فى صحيح الجامع.

- مؤمل الدنيا والموت يطلبه.
- وغافل وليس بمغفول عنه.
- وضاحك ملء فيه، ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راضن عنه؟!
- وثلاثة أحزنتني حتى أبكتنى:
- فراق محمد ﷺ وحزبه والأحبة.
- وهول المطلع.
- والوقوف بين يدى ربى، لا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار؟!

أختى المسلمة..

ونختم هذه المواقف الإيمانية فى الخوف من الله عز وجل، والبكاء من خشيته بهذه الموعظة الجليلة وهى لامرأة من عابدات مكة يرويها لنا أبى عبد الرحمن المغازلى، فيقول: دخلنا عليها ذات يوم، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاءوك يحبون أن يسمعوا كلامك... قال: فبكت طويلاً، ثم قالت:

إخوتى وقرة عينى، مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبكم، وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالك، فما ظننتم أنه يجوز فى ذلك اليوم، فارغبوا إلى السيد فى قبوله، وتمام النعمة فيه.. وما خفتم أن يرد من أعمالكم فى ذلك اليوم عليكم فخذوا فى إصلاحه من اليوم، ولا تغفلوا عن أنفسكم.. ثم بكت طويلاً، وأقبلت علينا تقول: إخواتى وقرة عينى، إنما صلاح الأبدان وفسادها فى حسن النية وسوئها..

إخوانى وقرة عينى، بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله والله واسع كريم(١).

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٦٦، ١٦٧ لابن الجوزى.

الباب رقم (١٦)

مواقف إيمانية في الهجرة النبوية

سلِّم على الخلق وارحل نحو مولاكا
واهجر على الصدق والإخلاص دنياكا
عساك فى الحشر تعطى ما تؤمله
ويكرم الله ذو الآلاء مثواكا

يحيى بن معاذ الحلية (١٠/ ٦٣)

• موقف أم سلمة من الهجرة إلى المدينة

أختى المسلمة..

وهذا الموقف الإيمانى الرائع، موقف صبر واحتساب، تقصه علينا السيدة الجليلة أم سلمة رضي الله عنها(١) فتقول:

لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة، رَحَّل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سلمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بعيره، فلما رأته رجال بنو المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟!.

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد -رهط أبى سلمة- وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا -أى زوجها-.

قالت: فتجاذبوا ابنى «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بينى وبين ابنى وبين زوجى.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس فى الأبطح، فلما أزال أبكى حتى أُمسى سنة، أو قريبًا منها، حتى مرَّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة، فرأى ما بى، فرحمنى.. فقال لبنى المغيرة، ألا تحرجون من هذه المسكينة، فرَّقتم بينها وبين زوجها، وبين ولدها؟.

قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: فردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ عند ذلك ابنى.

قالت: فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابنى، فوضعته فى حجرى، ثم خرجت

---

(١) أم سلمة رضي الله عنها: هى هند بنت أبى أمية، كانت عند أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى، هاجرت إلى الحبشة وهاجرت إلى المدينة، قيل: إنها أول من هاجرت من النساء إلى المدينة، مات عنها أبو سلمة بعد غزوة أحد سنة أربع من الهجرة، فتزوجها رسول الله ﷺ، توفيت أول أيام يزيد بن معاوية فى رمضان سنة ٥٩هـ صلى عليها أبو هريرة وقيل: سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها، عاشت نحو التسعين سنة وكانت آخر نساء الرسول موتًا. سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦٩.

أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان ابن طلحة أخا بني عبد الدار، فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟.

قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أوما معك أحدٌ؟.

قلت: لا، ما معي إلا الله وبني هذا.

فقال: والله! مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله! ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، وكان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى شجرة، فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه، ورَحَّله -أي وضع عليه الرحل- فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية، فادخليها على بركة الله.. ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة(١).

أختاه.. إنني لو أعطيت ريشة من الجنة، وأعطيت قدرة التصوير، ما استطعت أن أرسم هذه الصورة العظيمة المشرقة التي امتلأت بالإيمان والإخلاص لله عز وجل.

فما أجمله من موقف تتعلم منه المرأة المسلمة الصبر والجهاد والكفاح من أجل دينها.. من أجل عقيدتها!!.

ما أعظمه من موقف تتعلم منه المرأة المؤمنة كيف تتغلب على الشدائد والمحن والملمات التي قد تحل دون أن يكون هناك مقدمات لهذا الامتحان الرهيب، وذلك البلاء العظيم؟!.

إنه موقف يشع نوراً وبهاءً، وترتسم صورته في صفحة كل مؤمن ومؤمنة، لقد كانت أم سلمة بحق جبل من جبال الصبر.. وما زالت تصبر وتحتسب حتى بلغها الله عز وجل فوق ما تتمناه.

وقد صبرت قبل ذلك على هجرة قد سبقت تلك الهجرة المباركة، ألا وهي:

---

(١) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٤٥٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٦٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٧٥ وفي سنده مسلمة بن عبد الله بن عمر«لم يوثقه غير ابن حبان» قال الحافظ في التقريب ١/ ٣١٧: مقبول.

•هجرتها إلى الحبشة•

تقول رضي الله عنها:

لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، وأنَّ رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان هو فى منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه.

فقال لهم رسول الله ﷺ: **«إنَّ بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحدٌ عنده، فألحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا»**.

فخرجنا إليه إرسالاً، حتى اجتمعنا فنزلنا بخير دار إلى خير جار، وأمنَّا على ديننا(١).

وفى رواية، أنها قالت:

لما نزلنا إلى أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار «النجاشى» أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى، ولا نسمع شيئًا نكرهه.

•لماذا الهجرة؟•

أختى المسلمة..

عندما نزل الوحى على إمام الأنبياء، وسيد الأتقياء ﷺ حمل الأمانة وانطلق بها إلى قومه، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم الأغلال التى كانت عليهم. لكن كان الأمر على غير ما تمنى كانت إجابتهم لهذا النور العظيم.. سبًّا وتكذيبًا وتعذيبًا.

وتحت وطأة هذا الظلم.. وهذا الطغيان.. لم يجد النبى ﷺ بدًّا من أن يشير على أصحابه بأن يهاجروا فى سبيل الله فرارًا بدينهم، لكن إلى أين؟ إلى الحبشة.. ولماذا الحبشة؟.

لأن بها ملكًا عادلاً، لا يظلم عنده أحد، لأنه له دين يردعه عن الظلم. لكن الأذى قد اشتد.. والبلاء قد نال كل من آمن بالله ربًّا، وبمحمد رسولاً، وحيئذ خرج الحبيب المصطفى بنفسه يشق الأودية والجبال على قدميه ومعه مولاه زيد بن حارثة.. وتحت حراراة الشمس الملتهبة، وعلى الرمال والصخور المحرقة.. لكن إلى أين هذه المرة؟.

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية ١/ ١١٥، وابن هشام فى السيرة مطولاً وإسناده صحيح.

إلى الطائف لعله يجد أرضًا تقبل بذرة التوحيد.. وإذا بالطائف هى الأخرى تلفظ بذرة التوحيد.. وليس هذا فقط لكن فعلوا برسول الله ﷺ أخس وأحقر ما يفعله الإنسان بأخيه الإنسان

ثم يأمر الرسول ﷺ بالهجرة مرة أخرى.. لكن إلى أين هذه المرة؟.

إلى يثرب.. ويومها شعر أولئك الظالمون المتغطرسون بالخطر الجسيم، فعقدوا برلمانهم الشركى، عقدوا مجلسًا للتشاور فى دار الندوة، لإصدار قرار بالإجماع للتخلص من الحبيب المصطفى ﷺ.. بل لقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًّا لكن أين مكر العبيد من مكر خالق السموات والأرض!.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقد أُخبر الحبيب المصطفى ﷺ بهذه المؤامرة الخطيرة، فماذا فعل؟.

• الهجرة النبوية درس فى التخطيط والتنظيم •

أختاه..

إن الحبيب المصطفى ﷺ ظل ثلاث عشرة سنة يدعو الناس فى مكة إلى عبادة الخالق جل وعلا، وينهاهم عن عبادة الأصنام والأوثان.. فلما وجد أن شجرة التوحيد لم تؤتى ثمارها، وأن التربة غير صالحة لأن تضرب الشجرة جذورها فى أعماق قلوب أهل مكة.. كان لابد من الانتقال إلى مكان آخر صالح للدعوة.. متى كان هذا الوقت؟.

كان هذا الوقت بعد أن بلغ الرسول ﷺ من العمر ثلاث وخمسون سنة فى ظروف صعبة قاسية.. فقد أذن لأصحابه فسبقوه، لكنه لابد أن يهاجر متخفيًا بليل هو وصاحبه صديق الأمة الأكبر.

وإذ به يتسلل فى ظلام ويخرج بإذن ربه، تاركًا مكة بمن فيها من المتآمرين، بمن فيها ممن رصدوا الجوائز المادية المغرية لمن يأتى به حيًّا أو ميتًا.. فماذا كانت خطته؟.

أختاه..

لقد كانت خطة العبقرى المحنك، خطة الذكى الألمعى.. لقد دبر راحلتين قويتين للطريق الوعر.

الطريق يحتاج إلى خبير بدروب الصحراء، فاختار عبد الله بن أريقط، وإن كان مشركًا لكنه وثق فى أمانته.

يعلم أن قريش لن تهدأ فى الأيام الأولى لخروجه، فاختفى فى غار ثور.. لكن كيف يتصرف على أخبار القوم، وكيف يعلم تدبيرهم؟.

لقد جاء بعبد الله بن أبى بكر الصديق بليل لينقل ما سمعه من أخبار القوم، ولكنه وقبل الفجر يكون فى مكة وكأنه قد بات فيها.

ولكن سير عبد الله على الرحال يجعل له آثاراً وأقداماً لابد من إزالتها فماذا فعل؟.

كلف ﷺ عامر بن أبى فهيرة مولى أبى بكر الصديق، ليرعى الأغنام فتمحو الآثار، ويحلب لهما اللبن، ويقدم لهما الطعام..

وفى بيت الحبيب المصطفى ينام «عليٌّ» على فراشه، ويتسجى ببردته.. دقة محكمة.. وحيطة بالغة.. وحذر شديد.. لم يعرف تاريخ البشرية له مثيلاً إنه يُعلم الأمة دروساً عظيمة.

يعلمها درساً فى الأخذ بالأسباب، والتزور بالزاد والحيطة، والحذر.

يعلمها درساً فى عدم الاستهانة بقانون السببية.

يعلمها درساً فى التوكل على الله جل فى علاه.

•دور المرأة فى الهجرة•

أختاه..

وكان للمرأة دور بارز فى حادث الهجرة.. بل كان من أروع الأمثلة فى التضحية والفداء «**أسماء بنت أبى بكر**» تقول السيدة أسماء:

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر وحمل ماله كله، فدخل علينا جدى «أبو قحافة» وكان قد ذهب بصره، فقال: والله، إنى لأراه قد فجعكم فى ماله مع نفسه.. فماذا كان رد أسماء؟.

قالت: كلا، يا أبت، بل ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجاراً فوضعتها حيث كان أبى يضع المال، ووضعت عليها ثوبى، ثم أخذت بيد الشيخ، وقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، فوضع يده، فقال: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن.. تقول أسماء: لا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أسكت هذا الشيخ بذلك(١).

(١) ذكره ابن هشام فى السيرة ٤٣٥، وأحمد فى مسنده، والطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم فى الحلية، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/٥٩: رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، والذهبى فى السير ٣/٥٢٣.

وهل وقف دور أسماء إلى هذا الحد؟ لا. بل كانت أسماء لها دورها البارز بل والأساس فى خطة الهجرة.

لقد تكلفت بإعداد طعام الرحلة هى وأختها السيدة عائشة رضي الله عنهما فقد كانت تذهب إليهما بالطعام.

تقول السيدة عائشة: فجزناهما أحث -أى أسرع- الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت: ذات النطاقين[١].

قال الزبير بن بكار -فى هذه القصة- قال لها رسول الله ﷺ: **«أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة»** فقيل لها: ذات النطاقين[٢].

وهل اكتفت أسماء بهذا الدور فحسب؟.

لا، بل ظلت تكتم خبر الهجرة، وتحفظ سر رسول الله ولا تفشى هذا الأمر، حتى ولو تعرضت لأنواع الإيذاء، وصنوف البلاء.

تقول: أتى أبو جهل فى نفر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك؟.

تقول: قلت: لا أدرى والله أين هو؟.

قالت: فرفع أبو جهل يده، ولطم خدى لطمة خرَّ منها قرطى (الحلق) ثم انصرفوا[٣].

أختاه..

أرأيت إلى السفاهة كيف وصلت إلى هذا الإنسان اللعين «أبو جهل» فيتخلى عن أخلاق العرب، وشيمهم العظيمة فى الترفع عن إيذاء المرأة، وينزل بنفسه الحقيرة إلى الدرك الأسفل من الإسفاف والسوء.

فقد عجز عن مواجهة الرجال، فضرب امرأة حاملاً!.

أختاه..

إنَّ أعمال أسماء هذه يعجز عنها الرجال الشجعان، لما فيه من مخاطرة.

---

(١) رواه البخارى (٥٠٩٣).

(٢) فتح البارى لابن حجر ٧/ ٢٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٢٣، وابن سعد فى الطبقات.

• نساء مهاجرات •

١ - أهل بيت رسول الله:

ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة المنورة، بعث زيدًا وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين، وخمس مائة درهم.. فخرجنا جميعًا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وبأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة، وبأم أيمن، وأسامة ابنه.. وخرج عبد الله ابن أبي بكر الصديق بعيال أبي بكر، ومنهم السيدة عائشة، وبقيت زينب عند أبي العاصي، لم يمكنها الخروج حتى هاجرت بعد بدر.

وهناك عاشوا في رحاب الأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ١٠].

٢ - أم كلثوم[1] بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها:

عن عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال:

لما كتب «سهيل بن عمرو» يومئذ -أي يوم الحديبية- كان فيما اشترط على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه.

ويقول ابن سعد في الطبقات: هي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر أزواج النبي ﷺ إلى المدينة، ولم نعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة، خرجت من مكة وحدها، وصاحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة في الهدنة، هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة، فقدما المدينة من الغد يوم قدما فقالا: يا محمد فِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه.

وقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، أفتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني، ولا صبر لي؟.

---

(١) أسلمت بمكة وبايعت النبي ﷺ وهاجرت وتزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف، ليس لها في الصحيح إلا حديث واحد. سير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٥.

فقيد الله العهد في النساء في صلح الحديبية، وأنزل فيهن المحنة، وحكم في ذلك بحكم رضوه كلهم، وفي أم كلثوم نزل قوله تعالى:

﴿ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

فامتحنها رسول الله ﷺ، وامتحن النساء بعدها يقول: «**والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام، وما خرجتن لزوج ولا مال؟**» فإن قلن ذلك تُركن وحبسن فلم يرددن إلى أهليهن، فقال رسول الله ﷺ للوليد وعمارة ابني عقبة: «**قد نقض الله العهد في النساء بما علمتما فانصرفا**»(١).

فرضي الله عن أم كلثوم بنت عقبة ورضي الله عن النساء المؤمنات.

٣- درة بنت أبي لهب رضي الله عنها:

فعن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما قالوا: قدمت درة بنت أبي لهب مهاجرة، فنزلت دار رافع بن المعلى الزرقي رضي الله عنه فقال لها نسوة جلسن من بني زريق: أنت بنت أبي لهب الذي قال الله فيه:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١- ٣].

فما يغني عنك مهاجرك؟.

فأتت درة النبي ﷺ فشكت إليه ما قلن لها، فسكنها رسول الله ﷺ وقال: «**اجلسي**» ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة، ثم قال: «**يا أيها الناس، مالي أوذى في أهلي؟ فوالله إن شفاعتي لتنال حتى صُداء وحكمًا وسلهما يوم القيامة**» وفي رواية أنه قال: «**يا أيها الناس، ألكم نسب، وليس لي نسب؟**» فقام عمر بن الخطاب، فقال: أغضب الله من أغضبك، فقال ﷺ: «**هذه بنت عمي، فلا يقول لها أحد إلا خيرًا**»(٢).

• أم معبد وهجرة الرسول •

أختي المسلمة..

وها أنذا أقف معك مع موقف الحبيب المصطفى ﷺ مع أم معبد والتي وصفت الرسول ﷺ وصفًا يعجز البلغاء وأهل الفصاحة عن أن يأتوا بمثله:

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٧، وابن الأثير في أسد الغابة.

(٢) نساء حول الرسول (المجدي الشهاوي) ط/ التوفيقية.

فلقد مرَّ رسول الله ﷺ فى مسيره ذلك حتى مرَّ بخيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت بزة -أى معروفة ومشهورة- جلدة تحتبى بفناء الخيمة، ثم تُطعم وتسقى مَنْ مرَّ بها، فسألاها: هل عندك شىء؟.

فقالت: والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى -أى الضيافة- والشاة عازب وكانت سنة شهباء -أى قحطاء جدباء- فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة -أى فى جانبها- فقال: **«ما هذه الشاة يا أم معبد»**؟.

قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟

قالت: هى أجهد من ذلك.

فقال: أتأذنين لى أن أحلبها؟

قالت: نعم بأبى أنت وأمى، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فمسح رسول الله بيده ضرعها، وسمَّى الله ودعا، فتفاجت عليه -أى انتفخ ضرعها، ودرت، فدعا بإناء لها يُربض الرَّهط -أى يرويهم- فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانيًا حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، فارتحلوا، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، يتساوكن -أى يتمايلن- هزالاً، لا نقى بهن -أى لا مخ- فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازب؟ ولا حلوبة فى البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك، كان من حديثه كيت وكيت ومن حاله كذا وكذا.

قال: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه، صفيه لى يا أم معبد. . فقالت: ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه -أى مشرقهُ- حسن الخلق، لم تعبه ثجلة -أى ضخامة البطن- ولم تزر به صعلة -أى صغر الرأس - وسيم قسيم، فى عينيه دعج - أى سواد - وفى أشفاره وطف -أى فى أجفانه طول- وفى صوته صحل، وفى عنقه سطع، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر، ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعه، لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحضون به، إذا قال استعموا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود -أى يعظمه أصحابه -محشود- أى يجتمع الناس عليه - لا عابس، ولا مفند - أى الذى لا يكثر لومه-.

فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذى ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً(١).

أختاه..

إنَّ أم معبد لامس الإيمان شغاف قلبها منذ رأت رسول الله ﷺ بدليل أنه حين مرَّ بهما القوم وسألوها عن رسول الله، وكان يلاحقونه، أشفقت عليه منهم، وقالت: إنكم تسألون عن شيء ما سمعت به قبل عامي هذا.

لقد أسلمت وبايعت النبى ﷺ وحسن إسلامها هى وزوجها.. فرضى الله عنها وأرضاها، وجعل الجنة مثواها.

• موقف أسماء بنت عميس من الهجرة •

أختى المسلمة..

وتأملى هذا الموقف الإيمانى العظيم.

إن أسماء بنت عميس رضي الله عنها عاشت مع زوجها جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه ما شاء الله لهما أن يعيشا هناك فى بلاد النجاشى فرارًا بالدين.. وظلا هناك حتى المحرم من السنة السابعة للهجرة النبوية.. وفى عام فتح خيبر فكر رسول الله ﷺ فى أن يرد غربة مهاجرى الحبشة، فأرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ليبعث بهم إلى المدينة، فاستجاب له، وعاد المهاجرون فى سفينتين إلى أرضهم بعد هجرة قاربت الاثنى عشر عامًا.

ورجع جعفر بن أبى طالب وزوجه فاطمة بنت عميس وأولادهما، ففرح الرسول ﷺ فرحًا شديدًا، وقال: **«ما أدرى بأيهما أفرح، بقدوم جعفر، أو بفتح خيبر؟»**.

وداعب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسماء بنت عميس قائلا:

يا حبشية، سبقناكم بالهجرة.

فقالت: أى لعمرى لقد صدقت، كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء.

ثم قالت: أما والله لآتين رسول الله ﷺ فلأذكرن له ذلك.

قالت أسماء: يا رسول الله، إنَّ رجالاً يفخرون ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين.

---

(١) ذكره ابن سعد فى الطبقات الكبرى، والحاكم وإسناده حسن.

فقال ﷺ: «بل لكم هجرتان، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إليّ».

وفي رواية الحاكم: «ليس بأحق بي منكم وله - أي عمر- ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان»(١).

أختاه..

إذا كان هؤلاء هاجرن مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، أو من مكة إلى الحبشة، وقاسين الأهوال والملمات.. وصبرن على البليات.. فما هي هجرتك أنت، وقد جاء في الأثر: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية»؟.

• الهجرة فرض إلى يوم القيامة •

أختاه..

يقول سهل بن عبد الله التستري -رحمه الله تعالى-:

«الهجرة فرض إلى يوم القيامة: من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة..»(٢).

أختاه..

اهجري المعاصي إلى الطاعة.. لأن المعصية تربتها الأمل، وبذرها الحرص، وماؤها الجهل، وصاحبها الإصرار.

وتربة الطاعة: المعرفة، وبذرها اليقين، وماؤها العلم، وصاحبها السعيد المفوض أمره إلى الله تعالى.

وقد بين رسولنا محمد ﷺ أن الهجرة الحقيقية الدائمة هي: هجر ما نهى الله عنه، حيث قال: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٧٢، والطبراني في الكبير.

(٢) الحلية لأبي نعيم ١٠/ ١٩٧.

(٣) رواه البخاري وغيره.

الباب رقم (١٧)

مواقف إيمانية

في

تربية الأبناء على الصدق والأخلاق العالية وقضاء أوقاتهم فيما ينفع وأمهات مثاليــات

كم من حسيب كريم كان ذا شرف
قد شانه الكذب وسط الحيِّ إنْ عَمَدَا
وآخر كان صعلوكًا فشرفه
صدق الحديث وقولٌ جانب الفندا
فصار هذا شريفًا فوق صاحبه
وصار هذا وضيعًا تحته أبدا

روضة العقلاء

[illegible]

وفي [illegible]

[illegible] الهمام

[illegible]

• تربية الأبناء على الصدق •

أختى المسلمة . .

هذا الموقف الإيمانى التربوى يـرويه لنا عبد الله بن عامـر ﷺ فيقـول: دعتنى أمى يومًا ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك!.

فقال لها رسول الله ﷺ: **«وما أردت أن تعطيه؟!»**.

قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ:

«أما إنك لو إنك لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»[(١)].

إنه موقف إيمانى تربوى أخلاقى، لقد أراد الرسول ﷺ أن يلقن الأمهات درساً فى التـربيـة للأطفال والـصغـار . . وهذا الدرس هو «عـدم تعـويدهم على الكذب، والتزامهم لخلق الصدق».

وقد حرص الرسول ﷺ على تعويد الأطفال والصغار على الصدق والحذر من الكذب منذ نعـومة أظافرهم، لأنهـم يكونون بين يدى مربيـهم كالقطعة مـن العجين يصورونها كيف يشاءون، بخلاف الكبار، وقد أحسن القائل:

قد ينفع الأدب الأطفال فى صغر ... وليس ينفع عنـد الشيبـة الأدب
إن الغضـون إذا قومتها اعـتدلت ... ولن تلين إذا قومـتهـا الخشب[(٢)]

والطفل الصغير كما يعوده والداه، فإن تعود على الصدق كان صادقاً فى كبره، وإن تعود الكذب صار كذاباً فى صباه وفى شبابه . .

وينشــأ ناشئ الـفـتـيـان فـينا ... علـى مـا كـان عـوده أبوه

لهذا اهتم النبى ﷺ بالصبـيان فى هذا السن، وأعطى لأوليـاء الأمور تعاليـماً ومنهجاً قويماً فى تربية الأولاد، كما فى هذا الموقف التربوى الخالد وكما فى حديث: **« مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعًا، واضربوهم إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم فى المضاجع »**[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود، وحسـنه الألبانى فى صـحيح سنن أبى داود برقم ٤٩٩٠ والصـحيحـة برقم ٧٤٨، وذكره الخرائطى فى مكارم الأخلاق ص٣٣ والمساوى ص٦٥، والبيهقى فى السنن.

(٢) بهجة المجالس ١/ ١١٣، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٨٣.

(٣) رواه أحمد فى مـسنده (٦٦٨٩) بإسناد صحيح ٦/ ٢٤٣، وزواه الطبرانى فى الكبـير، والألبانى فى صحيح سنن أبى داود.

• الآباء قدوة لأبنائهم •

فقد نصح النبي ﷺ أم الصبي، وحذرها أنها لو لم تعطه التمرة لكتبت عليها كذبة حتى لا تعوده على الكذب..

ولذلك نصح عمرو بن عتبة معلم ولده، فقال له:

« ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه... »

قال الشاعر:

وإن من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقًا ناضرًا ... بعد الذى أبصرت من يبسه
ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

• الحث على الصدق والتحذير من الكذب •

أختي المسلمة...

لقد حذر الرسول ﷺ الأمة المحمدية من الكذب وحثها على الصدق، فقال ﷺ: **«إياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»**(١).

والكذب خصلة من خصال النفاق، قال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق، ومن كانت فيه خصلة ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**(٢).

وفى رواية:

«ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى، وقال: إنى مسلم، الذى إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى وأحمد وابن حبان وأبو نعيم والبيهقى.
(٣) رواه أحمد فى مسنده، والخرائطى فى المساوىء ص٦٨ وإسناده حسن.

وعن الحسن قال: «الكذب جماع النفاق»[(١)].

وعن أسماء بنت يزيد قالت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يُعد ذلك كذبًا؟

قال ﷺ: «**إنَّ الكذب يكتب كذبًا حتى تكتب الكذيبة كُذَيبة**»[(٢)].

قال أبو حاتم - رحمه الله -:

إنَّ الله عز وجل فضل اللسان على سائر الجوارح، ورفع درجته، وأبان فضيلته، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده، فلا يجب للعاقل أن يُعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده، بالكذب، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق، وما يعود عليه نفعه في داريه (الدنياوالآخرة) لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقًا فصدق، وإن كذبًا فكذب[(٣)].

ولقد أحسن القائل:

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به ... إنَّ اللسان لما عودت معتاد

موكل بتقاضي ما سننت له ... فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد

أختي المسلمة...

وكما أن الصدق يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فكذلك الكذب يهوى به في الدارين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أنَّ المرء إذا عرف به قُبل كذبه، وصار صدقًا عند من يسمعه؛ لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب..

• أم تعاهد ولدها على الصدق •

أختي المسلمة...

تعودي على الصدق في أقوالك وأفعالك، وعودي أبناءك الصدق...

فتلك أم تعاهد ابنها على الصدق، فيصدق في أشد الأوقات، وتأملي هذا الموقف المبارك..

سئل الإمام عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - فقيل له: علام بنيت أمرك؟

قال: بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة المكرمة إلى بغداد في طلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق.

---

(١) رواه الخرائطي في المساوىء برقم ١٣٧ ص٦٥ وإسناده حسن.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) روضة العقلاء ص٤٩ ط/ دار المغني.

فلما وصلنا إلى أرض همدان من (العراق) خرج علينا أعراب، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال لي: ما معك؟

فقلت: معي أربعين ديناراً. فتعجبوا من صدقي، وظنوا أن بي خبلاً فقالوا: ما شأنك؟

قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح كبيرهم باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!

ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال كبيرهم: أنا تائب إلى الله عز وجل على يديك..

فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة صدقه..

وصدق من قال:

الكذب مرديك وإن لم تخف   والصدق منجيك على كل حال

فانطق بما تشاء تجد غبه   لم تبتخس وزنه مثقال

الصدق يزوجه امرأة عريقة النسب

أختي المسلمة...

كان لسيدنا بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول ﷺ الله أخ يريد الزواج من امرأة من قبيلة مخزوم، وهي قبيلة عريقة في حسبها ونسبها، ولم تكن ترضى بمثل بلال صهراً لها.. فلما أصر أخوه على أن يخطب هذه المرأة رضخ بلال لقوله، وتوجه معه إلى أشراف مخزوم، وعرض عليهم رغبة أخيه في مصاهرتهم، وقال لهم:

«يا قوم، نحن من قد عرفتم، كنا عبيداً فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وكنا فقراء فأغنانا الله، وإن أخطب منكم ابنتكم لأخي، فإن تنكحوها له فالحمد لله، وإن تردونا عن قصدنا، فسوف يغنينا الله..».

فرحب به القوم، وأكرموا وفادته، وقبلوا شفاعته، وقالوا: مرحبًا بمؤذن رسول الله، ثم زوجوه ابنتهم..

فلما خرجوا من عندهم أقبل عليه أخوه يلومه ويعنفه، ويقول له: يا بلال، هلاَّ ذكرت لهم مواقفنا في الإسلام، فقد أبلينا مع رسول الله بلاء حسنًا.

فقال له بلال - رضي الله عنه -: اسكت يا هذا، فقد أنكحك الصدق[1].

(١) سمير الصالحين للشهاوي ٢/ ٨١ ط/ دار التأليف.

•أمهات مثاليات•

على الأم أن تكون مثلاً أعلى لأبنائها فى الأقوال والأفعال. . وعلى الأمهات أن يربين أولادهن على الصدق والعفاف والأخلاق الكريمة. . ولك أختى المسلمة الأسوة الحسنة فى أمهات كريمات ربين عظماء يشهد التاريخ لهم بالعظمة. .

يقول محمد المقدم:

«لا تكاد تقف على عظيم ممن راضوا شمس الدهر، وذلت-لهم نواصى الحادثات، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة. . وكيف لا يكون ذلك، والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها، مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال، والتأثير فيهم، والنفاذ إلى قلوبهم، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم، وفى مسارب دمائهم».

● فالزبير بن العوام: قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب، فنشأ على طبعها وسجيتها.

● والكملة العظماء عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبى بكر، وما منهم إلا وله الأثر الخالد، والمقام المحمود.

● وعلىّ بن أبى طالب ﷺ تنقل فى تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة، وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ .

وعبد الله بن جعفر، سيد أجواد العرب، وأنبل فتيانهم، تركه أبوه صغيراً فتعاهدته أمه «أسماء بنت عميس » ولها من الفضل والنبل ما لها.

● ومعاوية بن أبى سفيان أريب العرب وألمعيها، ورث عن هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبى سفيان، وهى القائلة - وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها: إن عاش معاوية، ساد قومه- ثكلته إن لم يسد قومه، وكان معاوية ﷺ إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأى، انتسب إلى أمه، فصدع أسماع خصمه بقوله: أنا ابن هند.

● وأبو حفص عمر بن عبد العزيز، أروع الملوك وأعدلهم، وأجلهم، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أكمل أهل دهرها كمالاً، وأكرمهن خلالاً، وأمها تلك التى اتخذها عمر لابنه عاصم، وليس لها ما تعتز به من نشب ونسب، إلا

ما جرى على لسانها قول الصدق فى نصيحتها لأمها، وهى التى نزعت به إلى خلائق جده الفاروق(١).

●والأمير عبد الرحمن الناصر، الذى ولى الأندلسى، وهى ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبثت أن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج فى طليعة جنده، فافتتح سبعين حصنًا فى غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك فى قلب فرنسا، وتغلغل فى أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل أولئك له، ورجف لبأسه.

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسى على منابرها، وتمضى باسمه أحكامها، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوربا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدرين ما سر هذه العظمة؟

إنها المرأة، فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا قتل عمه أباه، فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال، وروح السمو فى ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت.

●وسفيان الثورى، وما أدراك ما سفيان الثورى؟!

إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين فى الحديث، الذى قال فيه زائدة: الثورى سيد المسلمين.

وقال الأوزاعى: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضى إلاسفيان.

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعالم الشامخ إلا ثمرة أم صالحة، حفظ لنا التاريخ مآثرها وفضائلها ومكانتها، وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة.

قالت له ذات مرة:

«يا بنى، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك وحلمك، ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك».

فهل ترين من غرابة بعد هذا، أن نرى سفيان يتبوء منصب الإمامة فى الدين، كيف وقد ترعرع فى كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذَّى بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

●والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيهم أبو عمرو الأوزاعى.

(١) عودة الحجاب ٢/ ١٤٢.

يقول فيه أبو إسحاق الفزارى: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعى والثورى فأما الأوزاعى، فكان رجل عامة، والثورى كان رجل خاصة، ولو خيرت لهذه الأمة، لاخترت لها الأوزاعى، لأنه كان أكثر توسعًا، وكان والله إمامًا.

وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعى، وجلالته وعلو مرتبته وكمال فضله وأقاويل السلف رحمهم الله- مشهورة مصرحة بورعه وزهده، وعبادته، وقيامه بالحق، وكثرة حديثه وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسُّنَّة، وبراعته فى الفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته.

ذلك الحبر البحر كان أيضًا ثمرة أم عظيمة:

قال الذهبى: . . ولد الأوزاعى ببعلبك، وربى يتيمًا فقيراً فى حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه فى نفسه، ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا يقهقهه، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد، أقول: تُرى فى المجلس قلب لم يبك؟!

•وهذه أم ربيعة الرأى شيخ الإمام مالك، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خلفها زوجها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها(١).

أختى المسلمة. . .

فهذه هى الأم المسلمة التى خرَّجت العلماء، والأمراء، وصنعت هؤلاء الرجال العظماء الذين قادوا البشرية إلى الخير والرشاد.

•ارشاد الأبناء إلى ما فيه نفعهم•

أختى المسلمة. . .

عليك أن تعودى أبناءك الصدق فى الأقوال والأفعال، وأن تقومى بإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم. .

فقد روى أن شريحًا القاضى كان له ابن فى نحو العاشرة من عمره، وكان الصبى مؤثرًا اللهو، مولعًا باللعب، فافتقده فى يوم من الأيام، فإذا هو قد ترك الكُتَّاب، ومضى يتفرج على الكلاب، فلما عاد إلى منزله، سأله: أصليت؟

قال: لا، فدعا بقرطاس وقلم، وكتب إلى مؤدبه يقول:

---

(١) عودة الحجاب محمد أحمد المقدم ٢/١٤١-١٤٥ بتصرف يسير.

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها ... يبغى الهراش مع الغواة الرجس
فليأتينك غدوة بصحيفة ... كتبت له كصحيفة المتلمس
فإذا أتاك فداوه بملامة ... أو عظه موعظة الأديب الكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة ... وإذا بلغت بثلاثة لك فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه ... مع ما يجرعنى أعز الأنفس(١)

وقد كان إبراهيم بن أدهم وهو صغير يقول له أبوه:

«يا بنى، اطلب الحديث فكلما حفظت حديثًا فلك درهم، فيقول إبراهيم: فطلبت الحديث على هذا».

•عودن أبناءكن الشجاعة•

فقد روى أن نفراً من الصبيان كانوا يلعبون فى إحدى ساحات المدينة، وكان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يمر فى الطريق، فما إن وقعت أبصارهم على عمر رضي الله عنه وهو مقبل نحوهم، حتى فروا جميعًا، وتنحو عن الطريق مختبئين إلا غلامًا واحداً، هو عبد الله بن الزبير.

فقال عمر بن الخطاب للغلام: لماذا لم تفر مثلهم؟

فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، ليس الطريق ضيق فأوسعه، ولم أرتكب جرمًا فأعاقب عليه.

فأعجب عمر بشجاعته، وصدقه..

•لاتجمعن جوعًا وكذبًا•

أختى المسلمة...

وهذا موقف آخر ترويه لنا أسماء بنت عميس رضي الله عنها فتقول: كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة...

قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى - أى طعامًا للأضياف - إلا قدحًا من لبن..

قالت: فشرب منه ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية، فقلنا: لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه، فأخذته على حياء، فشربت منه.

ثم قال: «ناولى صواحبك».

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم.

فقلنا: لا نشتهيه، فقال: «**لا تجمعن جوعًا وكذبًا**».

فقلت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا تشتهيه يُعد ذلك كذبًا؟

قال ﷺ: «**إنَّ الكذب يكتب كذبًا حتى تكتب الكذيبة كذيبة**»[١].

أختاه...

إن الكثير من النساء ربما يقعن في مثل هذا النوع من الكذب، وقد بين هذا الموقف الإيماني المبارك حرمته..

فاحذري الكذب، وتجنبي شر الأخلاق، وتخلقي بأحسنها، فما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس الجنة، حسن الخلق..

نسأل الله العلي العظيم أن يحسن أخلاقنا، وأن يرفع يوم القيامة درجاتنا، وأن يجعلنا مع الصادقين والصادقات، والصالحين والصالحات إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى اللّهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٧٣٤٤) بإسناد حسن ١٨/٥٥٩، ٥٦٠.

الباب رقم (١٨)

مواقف إيمانية في حسن الخاتمة وموت الصالحات

«خوف السابقة وحذر الخاتمة أقلق قلوب العارفين، وزادهم إزعاجًا يحول بين المرء وقلبه، ليس لهم في الدنيا راحة، كلما دخلوا سكة من سكك السكون، أخرجهم الجزع إلى شارع من شوارع الخوف.

اشتد قلق الخوف بإبراهيم بن أدهم فصاح: إلهي، إن كنت أعطيت أحدًا من المحبين ما يسكن به قلبه، فأعطني، فقد ضر بي القلق.

فصاحت صيحة الحق في منامه: يا إبراهيم، أما استحييت مني، تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي، وهل يسكن قلب المشوق إلى غير حبيبه؟

اللطائف لابن الجوزي

• موقف راهبة العابدة ومفارقتها الحياة ▪

أختى المسلمة. . .

يروى لنا هذا الموقف عثمان بن سودة الطفاوى عن أمه، وقد كانت من الصالحات العابدات قال:

لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت:

«يا ذخرى، ويا ذخيرتى، ويامن عليه اعتمادى فى حياتى وبعد موتى، لا تخذلنى عند الموت، ولا توحشنى فى قبرى» ثم ماتت. .

قال: فكنت آتيها فى كل جمعة فأدعو وأستغفر لها، ولأهل القبور. .

قال: فرأيتها ذات ليلة فى منامى، فقلت: يا أماه كيف أنت؟

قالت: أى بنى، إن للموت لكربة شديدة، وأنا بحمد الله لفى برزخ محمود، نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور. .

فقلت: ألك حاجة؟

قالت: نعم، لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا[1].

أختاه. . حقيق على من عرف أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدى الجبار مشهده، أن تطول فى الدنيا حسرته، وفى العمل الصالح رغبته.

أختاه. . الموت هادم اللذات، مفرق الجماعات، ومكدر الشهوات، مباعد الطيات. الموت . . الذى يفرق بين الأحبة. . الذى يمضى فى طريقه ولا يتوقف، ولا يتلفت ولا يستجيب لصرخة ملهوف، ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف. .

قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كل نفس تذوق هذه الجرعة. . لا فارق بين نفس ونفس. . يموت الصالحون، ويموت الطالحون، يموت المتكبرون، ويموت المستضعفون. .

يموت كل أمير ووزير، وكل عزيز وحقير، وكل غنى وفقير، يموت كل نجى وتقى يموت، كل زاهد وعابد، يموت كل مقر وجاحد، يموت كل صحيح وسقيم، وكل مريض وسليم الكل يموت إلا رب العزة والجبروت.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/٢٦.

الموت حتى لازم.. لاتمنع منه الحصون والقلاع، ولا يحول دونه الحجاب، ولا ترده الأبواب، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجمعة: ٨].

أختاه..

كيف تفرح بالدنيا من يومها يهدم شهرها، وشهرها يهدم سنتها، وسنتها تهدم عمرها؟ وعمرها خطاها إلى القبر؟

كيف تفرح من يقودها عمرها إلى أجلها، وحياتها إلى موتها؟ ﴿فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] آخر العدد فراق روحك، ولقاء ربك.. إنَّ النفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف، ولا تطرف الأخرى إلا بين يدى ملك الملوك، ومالك الملك.

أختاه..

وهذا الموقف الإيمانى الذى ذكرنا فيه حسن خاتمة «راهبة العابدة» -رحمها الله- حيث توجهت إلى الله تعالى بالثناء والدعاء، وختم لها بذلك...

• أسباب حسن الخاتمة •

أختاه..

إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والعبرة بالخواتيم كما بين النبى الكريم ﷺ فى قوله: **«إنَّ العبد ليعمل عمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»**(١).

فلا تصلح الأعمال الصالحة حتى يختم بعمل صالح يدخل صاحبه الجنة، قال ﷺ: **«والذى نفسى بيده، إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها..»**(٢). ولحسن الخاتمة أسباب كثيرة منها:

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

١- الاستقامة:

وهى من أعظم أسباب حسن الخاتمة.. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٠] وقال ﷺ عندما سأله أحد أتباعه، قائلاً: قل لى فى الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحد بعدك، فقال: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**»[١] والاستقامة كلمة جامعة لكل معانِ الخير والصلاح من الأقوال والأفعال والأحوال.

٢- التقوى:

وهى من أعظم ما يوصل الإنسان إلى حسن خاتمته، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[آل عمران: ١٠٢] والرجل والمرأة في حال السكرات فى شدة وكرب وضيق، وقد قال مولانا: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾[الطلاق: ٢]

٣- حسن الظن بالله:

فأحسنى الظن بالله عز وجل فبهذا أوصاك الحبيب المصطفى ﷺ قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بثلاث، فقال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**»[٢]وقد قال رب العزة فى حديثه القدسى الجليل: «**أنا عند ظن عبدى بى، إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله**»[٣].

قال ابن الجوزى -رحمه الله-: «فليجعل المريض حسن الظن بالله شعاره ودثاره، وليلقو نفس رجائه، فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد، وما بقى فى الناقة موضع لسوط، إنما حسن الظن».

وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**» قال: أرجو الله، وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف**»[٤].

٤- التوبة إلى الله:

والتوبة إلى الله تعالى والرجوع إليه قبل الموت من علامات حسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٤٣٩٥.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وأحمد، والألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٩).

(٣) رواه أحمد فى مسنده، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٤٣١٥ والصحيحة ١٦٦٣.

(٤) رواه ابن ماجه فى سننه، وحسنه الألبانى فى الصحيحة برقم ١٠٥١.

وقال في الحديث القدسي الجليل: «يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة..»(١).

أختاه..

إن عثمان بن سودة الطفاوي لما رأى أمه (راهبة) في المنام رآها بخير حال، وسألها عن حالها، فأخبرته، وذكرت أنها: «في برزخ محمود، وأنها تفترش الريحان وتتوسد السندس والاستبرق..»

وهذا يدل على أنها منعمة في قبرها، ومن المعلوم أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من النار.

• فراش المؤمن في قبره •

ففي حديث البراء ﷺ: «فينادي مناد من السماء، إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة» وهذا الفراش، وهذا اللباس من الجنة لا تقوم لهما الدنيا بما فيها ومن فيها.. ولو لم يكن للعبد إلا هذا لكفاه..

قال تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[الروم: ٤٤].

قال ابن جرير: قال مجاهد: «أي في القبر».

قال يحيى بن معين: طوبى لمن كان له عمل صالح، يكون له وطاءه في قبره.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «يقال للمؤمن في قبره: ارقد رقدة المتقين».

• موت القانتات العابدات •

١ - العابدة التقية: معاذة العدوية:

كانت تقول إذا جاء النهار: هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح..

وقالت عفيرة العابدة: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت.

فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟

قالت: أما البكاء الذي رأيتم، فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك.

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم ٢١٣٩٧.

وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى، فإنى نظرت إلى «أبى الصهباء» -زوجها وكان قد مات- وقد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله، ما رأيت لهم شبهًا فى الدنيا، فضحكت إليه، ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضًا، فماتت قبل دخول وقت الصلاة(١).

٢-رابعة العدوية:

تلك الزاهدة العابدة، الواجلة المحبة الربانية.. أجمع جمهور العلماء على صلاحها وتقواها وعلو منزلتها.. وكل يؤخذ من قوله ويترك..

قال محمد بن عمرو: كانت رابعة إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة.

قالت عبدة بنت أبى شوال:

لما حضرتها الوفاة دعتنى فقالت: يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحدًا، وكفنينى فى جبتى هذه -جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون-.

قالت: فكفناها فى تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عابدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها فى منامى عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئًا قط أحسن منه.. فقلت: يا رابعة! ما فعلت الجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف؟!

قالت: إنه والله نزع عنى، وأبدلت به هذا الذى ترينه علىَّ، وطويت أكفانى وختم عليها، ورفعت فى عليين ليكمل لى بها ثوابها يوم القيامة(٢).

٣-عابدة تخر ميتة حين رأت الكعبة:

عن عبد العزيز بن أبى راود قال: دخل قوم حُجاجٌ ومعهم امرأة تقول: أين بيت ربى؟ فقالوا لها: الساعة ترينه، فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك، أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول: بيت ربى بيت ربى، حتى وضعت جبهتها على البيت، فو الله ما رُفعت إلا ميتة(٣).

٤- ابنة منية البصرية:

قال أبو عياش القطان: كانت امرأة متعبدة بالبصرة، يُقال لها: «منية» وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثة سنها،

(١) صفة الصفوة ٤/ ١٥ لابن الجوزى.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٩ لابن الجوزى.

(٣) المرجع السابق.

فبينما الحسن جالس ذات يوم إذا أتاه آت، فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت، فوثب الحسن، فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت.

فقال لها: ما يبكيك؟

قالت له: يا أبا سعيد، التراب يحثى على شبابى، ولم أشبع من طاعة ربى، يا أبا سعيد، انظر إلى والدتى وهى تقول لوالدى: احفر لابنتى قبراً واسعًا، وكفنها بكفن حسن.. والله لوكنت أُجهز إلى مكة لطال بكائى، فكيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور، ووحشتها، وبيت الظلمة والدود؟![1].

٥- زهراء الوالهة:

إنها من العابدات القانتات الصالحات، وقد ماتت شوقًا إلى لقاء ربها.

عن محمد بن سلمة قال: سمعت ذا النون المصرى يقول:

بينما أنا فى بعض أودية بيت المقدس إذ سمعت صوتًا يقول: «ياذا الأيادى التى لا تحصى، ويا ذا الجود والبقاء، متِّع بصر قلبى من الجولان فى بساتين جبروتك، واجعل همتى متصلة بجود لطفك يا لطيف، وأعذنى من مسالك المتحيرين بجلال بهائك ياروف، واجعلنى لك فى جميع الحالات خادمًا وطالبًا، وكن لى يا منور قلبى، وغاية فى طلبى فى الفضل صاحبًا».

قال ذو النون: فطلبت الصوت حتى ظهر لى، فإذا امرأة كأنها العود المحترق، وعليها قميص من الصوف، وخمار من الشعر الأسود، قد أضناها الجهد والتعب..

فقلت لها: السلام عليك.. فقالت: وعليك السلام ياذا النون..

فقلت: لا إله إلا الله، كيف عرفت اسمى ولم ترينى؟

قالت: كشف عن سرى الحبيب، فرفع عن قلبى حجاب العمى، فعرفنى اسمك..

فقلت: ارجعى إلى مناجاتك.

فقالت: أسألك ياذا البهاء أن تصرف عنى شر ما أجد، فقد استوحشت من الحياة ثم خرت ميتة، فبقيت متحيراً متفكراً، فأقبلت عجوز كالوالهة، فنظرت إليها ثم قالت: الحمد لله الذى كرَّمها.

قلت: من هذه؟

---

(١) صفة الصفوة ٤/١٧.

فقالت: ألم تسمع بزهراء الوالهة -أي شديدة الحب لربها- ؟.

هذه أبنتى، توهم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتلها الشوق إلى ربها[١].

٦- السيدة نفيسة رضي الله عنها

إنها ابنة الحسن بن زايد من آل بيت رسول الله ﷺ كانت من الصالحات القانتات الزاهدات.. تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عزوجل، حتى قيل لها: ترفقى بنفسك.. لكثرة ما رأوا منها، فقالت: كيف أرفق بنفسى، وأمامى عقبة لا يقطعها إلا الفائزون ؟

حجت ثلاثين مرة، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره..

توفيت -رحمها الله تعالى- وهى صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «واعجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟ هذا لا يكون»، فخرجت روحها وهى صائمة، وكانت تقرأ القرآن حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿**قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[٢] [الأنعام: ١٢] وهكذا أختى المسلمة رحلت العابدات القانتات وختم لهن بخير..

• ما ينفع به الميت •

أختى المسلمة..

والأمور التى ينتفع بها الميت كثيرة منها:

١- دعاء المسلم له: وذلك إذا توافرت فيه شروط القبول، لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

وفى السنة المطهرة ما يدل على ذلك، قال ﷺ: **«دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به، آمين ولك بمثل»**[٣] وصلاة الجنازة أكبر شاهد لذلك، لأن أغلبها دعاء للميت، واستغفار له.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/٢٤٩.

(٢) مرآة النساء ص٨٢ نقلاً عن سكب العبرات.

(٣) رواه مسلم وأبو داود وأحمد.

٢- ما خلفه الميت بعده من آثار صالحة، وصدقات جارية:

قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

ومن السنة قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجرى يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده**»(٢).

وفي حديث ابن ماجه أمور كثيرة ينتفع بها الميت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله، وحسناته بعد موته، علمًا عمله ونشره، وولداً صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته**»(٣).

٣- ينفع الميت ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل أجره، دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

وقال ﷺ: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه**»(٤).

ويؤيد مادلت عليه الآية والحديث أحاديث خاصة وردت في انتفاع الوالد بعمل ولده الصالح كالصدقة والصيام والعتق ونحوه ومنها:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: إن أمي افتلتت نفسها -أي ماتت فجأة- ولم توص، وأظنها لو تكلمت، تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ولي أجر؟ قال: «**نعم، فتصدق عنها**»(٥).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ سعد بن عُبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنَّ أمي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟ قال: «**نعم**» قال: فإني اشهدك أنَّ حائط المخراف صدقة عليها»(٦).

---

(١) رواه مسلم والبخاري في الأدب المفرد، وأحمد وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان والمنذري في الترغيب ٥٨/١ وإسناده صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي في شعب الإيمان، ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٤) رواه الترمذي، وحسنه وابن ماجه وأحمد وأبو داود، ورواه الحاكم ٤٦/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والنسائي والبيهقي.

(٦) رواه البخاري وأحمد والترمذي وأبو داود.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ إنَّ أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «**نعم**»(١).

قال الشكواني في نيل الأوطار:

وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابهما، فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ**﴾ [النجم: ٣٩] ولكن ليس في أحاديث الباب إلا لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه، فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، أما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرآنية أنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها، حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها(٢).

٤- ومما ينفع الميت في قبره: قضاء صوم النذر عنه من جهة وليه: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ امرأة ركبت البحر، فنذرت إن الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهراً، فأنجاها الله عز وجل، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت قرابة لها إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «**أرأيت لو كان عليها دين كنت تقضينه؟**» قالت: نعم. قال: «**فدين الله أحق أن يقضى، فأقض عن أمك**»(٤).

٥- قضاء الدين عنه من أي شخص وليًّا كان أو غيره:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن العاص بن وائل السهمي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة، وأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية قال: حتى أسأل رسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، وإن هشام أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون، أفأعتق عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنه لو كان مسلمًا فأعتقتم أو تصدقتم عنه، أو حججتم عنه بلغه ذلك**»(٥).

---

(١) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والنسائي.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني٤/ ٧٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٤) رواه أبو داود والنسائي، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه أبو داود وأحمد بإسناد حسن.

أختاه..

استمعى إلى هذه الموعظة الجليلة والتى يقول فيها بلال بن سعد - رحمه الله-:

«يا أهل الخلود، يا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء، إنما خلقتم للخلود والأبد ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار، كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف ثم الخلود فى الجنة أو النار»[١].

(١) ذكره أبو نعيم فى الحلية ٥/٢٢٩.

الباب رقم (١٩)

مواقف إيمانية في التحذير من سوء الخاتمة

إذا لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

«الناس صنفان: صنف مقرب مصان، وصنف مبعد مهان، صنف نصبت له الأسرة والحجال، وجمعت له الرغائب والآمال، والآرائك والطلال، وصنف أعدت له المقامع والأغلال، وضروب الأهوال».

اغتنام الأوقات للسلماني

• نظرة..وسوء خاتمة •

أختى المسلمة . .

هذا الموقف يرويه لنا الإمام ابن القيم الجوزية -رحمه الله- فيقول: يروى أن رجلاً كان واقفًا بإزاء داره، وكان بابها يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر، فقالت.

أين الطريق إلى حمام منجاب؟

فقال: هذا حمام منجاب، فدخلت الدار، ودخل وراءها، فلما رأت نفسها فى داره، وعلمت أنه قد خدعها، أظهرت له البشرى والفرح باجتماعها معه، وقالت له: ما يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، وتقر به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ماتريدين وتشتهين، وخرج وتركها فى الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تخنه فى شىء، فهام الرجل وأكثر الذكر لها، وجعل يمشى فى الطرق والأزقة وهو يقول:

يا رب قائلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب؟

فبينما هو يومًا يقول ذلك، إذا بجارية أجابته من طاقة:

هلا جعلت سريعًا إذ ظفرت بها حرزًا على الدار أو قفلاً على الباب؟

فازداد هيمانه واشتد، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا[1].

أختاه. . هذا الموقف يدل على سوء خاتمة هذا الرجل الذى تعلق قلبه بتلك المرأة، وهام بها وجدًا حتى انتهت أيامه، ولحظات عمره، وهو يردد هذه الكلمات بدلاً أن ينطق بالشهادتين. . فما معنى سوء الخاتمة؟

سوء الخاتمة معناه: أن يغلب القلب عند الموت الشك، أو الجحود، فتقبض على تلك الحالة، ودون ذلك أن يتسخط الأقدار. . فيختم له بما يوجب له الخلود فى نار جهنم، أو بما يوجب له دخولها فترة، إن يغفر له الله جل وعلا.

---

(١) الداء والدواء لابن القيم ص٢١٣، والتذكرة للإمام القرطبى ص ٤٣ ط/ التوفيقية، وذكر نحوه البيهقى فى الشعب برقم ٦٥٤١.

أختى المسلمة. .

إنَّ الخوف من سوء الخاتمة، هو الذى طيش قلوب الصادقين والصادقات، وحير الأفئدة فى كل حين، خوفًا من لقاء رب العالمين.

قال ابن رجب الحنبلى:

قد خذل خلق كثير عند الممات، فمنهم من آتاه الخذلان من أول مرضه، فلم يستدرك قبيحًا مضى، وربما أضاف إليه جوراً فى وصيته، ومنهم من فاجأه الخذلان فى ساعة اشتداد الأمر، فمنهم من كفر، ومنهم من اعترض وتسخط.

وقال الشيخ صديق حسن خان: سوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما: أعظم من الأخرى، أما الرتبة العظيمة الهائلة فهى أن يغلب على القلب عند سكرات الموت، وظهور أهواله: إما الشك، وإما الجحود، فتقبض الروح على تلك الحالة، فتكون حجابًا بينه وبين الله تعالى أبدًا، وذلك يقتضى البعد الدائم، والعذاب المخلد.

الثانية: وهى دونها، أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك فى قلبه، ويستغرق حتى لا يبقى فى تلك الحالة متسع لغيره، فمهما اتفق قبض الروح فى حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر، لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة.

• أسباب سوء الخاتمة •

أختى المسلمة. .

والأسباب التى تفضى إلى سوء الخاتمة لا يمكن انحصارها على التفصيل، ولكن يمكن تلخيصها فى عدة أمور منها:

١ - الشك والجحود الذى تسببه البدعة:

ومعناه: أن يُعتقد فى ذات الله تعالى أو صفاته أو أفعاله خلاف الحق، إما تقليدًا، إو برأيه الفاسد، فإذا انكشف الغطاء عند الموت بأن له بطلان ما اعتقده فظن أن جميع ما اعتقده لا أصل له.

فكم ختم لكثير من البشر بالسوء بسبب ما ابتدعوا فى دين الله عز وجل، وزاغوا وانحرفوا عن صراطه المستقيم، وظهرت حقيقتهم فى أول لقائهم مع رب العالمين، فيكونوا من الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا**

يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] وقال: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]

فهذا ابن الفارض، الذى كان يقول بالاتحاد، ويقول بحلول الله عز وجلّ فى مخلوقاته، وأن الرب عبد، والعبد رب، فعندما احتضر نظم بيتين من الشعر، وهو فى تلك الحالة يعبر فيها عن شقوته، وعن هلاكه، فكان يبكى ويقول:

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى
أمنية ظفرت نفسى بها زمنًا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

ابن الفارض الذى كان يقول:

ألا أبلغ أحبائى بأنى ... ركبت البحر وانكسر السفينة
على دين الصليب يكون موتى ... فلا البطحا أريد ولا المدينة

ابن الفارض الذى كان يكذب على رسول الله ﷺ، ويقول: إنه رآه منامًا وأنه سأله عن قصيدته التائية: ما سمّاها؟ فأجابه ابن الفارض بأنه سماها: لوائح الجنان، وروائح الجنان، فقال له النبى ﷺ: **لا بل سمها: نظم السلوك**[1].

فماذا كان حاله عند موته؟

عند موته كان يتأوه، ويصرخ صراخًا عظيمًا، ويبكى بكاء شديدًا، وتغير لونه، ثم ذكر هذين البيتين السابقين:

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

٢- السبب الثانى: مخالفة الباطن للظاهر

فقد يكون المسلم أو المسلمة تعمل بطاعة الله عز وجل، ولكنها تبطن النفاق أو الرياء ولذلك قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «**إنَّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**»[2].

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى الإسلام: «**هذا من أهل النار**» فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها أسهمًا، فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا:

---

(١) ديباجة الديوان ص٦، ٧ وقد نقلت من سكب العبرات سيد بن حسين العفانى ١/ ٧٢.

(٢) رواه البخارى.

يا رسول الله، صدَّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال ﷺ: «قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إنَّ الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر»(١).

٣- السبب الثالث: طول الأمل:

وطول الأمل سبب من أسباب سوء الخاتمة، ومن أسباب شقاء الكثير من الناس الذين يخدعهم الشيطان، فيصور لهم أن الحياة أمامهم، والعمر أمامهم طويل، فجعله يحب الناس ويكره الموت، يجعله آملاً في طول عمره، غير متذكر للموت.

وقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى، ويقول: أما طول الأمل فينسى الآخرة، وأما اتباع الهوى، فيصد عن الحق وكان ينصح أتباعه فيقول:

«ألا وإنَّ الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد أسرعت مقبلة، ولكل واحد منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-:

«لا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله ما بُسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسى بعد صباحه، وربما كان بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترًا، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة..».

أختى المسلمة..

فإذا كنت لا تعلمى متى أجلك، فلماذا يطول فى الدنيا أملك... فلله در من قال:

تزود من الدنيا فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من فتى يمسى ويصبح لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبرِ
وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

(١) رواه البخارى.

أيتها الغافلة المؤملة فى الدنيا:

تنبهى قبل فوات الأوان، وتيقظى قبل أن يُقال: ماتت فلانة ومات فلان.

تفكرى قبل أن تندمى، ولا تغترى بالدنيا، فإن صحيحها يسقم، وإن جديدها يبلى، وإنَّ شبابها يهرم.. لذلك كان من أسباب سوء الخاتمة:

٤- السبب الرابع: حب الدنيا:

فمن غلب على قلبها حب الدنيا، والتعلق بأسبابها ساءت خاتمتها فى الغالب، قال يحيى بن معاذ: «الدنيا خمر الشيطان من سكر منها فلا يفيق إلا فى معسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين».

وكان كثير من السلف الصالح يتعوذون بالله من أمل يمنع العمل، ويخافون من الدنيا وغدراتها، فقد كتب عمرو المقدسى إلى إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- يقول له: عظنى موعظة أحفظها عنك.. فكتب إليه:

«أما بعد.. فإن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وينقص منه فى كل وقت نصيب، وللبلى فى جسمه دبيب، فبادر بالعمل قبل أن ينادى بالرحيل، واجتهد فى العمل فى دار الجهاز، قبل أن تدخل دار المستقر»(١).

وكان داود الطائى -رحمه الله- يعاتب نفسه قائلاً:

«يا داود، من خاف الوعيد، قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا داود، أن كل شئ يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم واعلم يا داود، أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، فبما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون»(٢).

قال الحافظ أبو محمد عبد الحق الأشبيلى:

«واعلم أن لسوء الخاتمة -أعاذنا الله منها- أسبابًا ولها طرق وأبواب، أعظمها: «الانكباب على الدنيا، والإعراض عن الآخرى، والإقدام على معاصى الله عز وجل..»(٣).

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ٨/ ١٧، والبيهقى فى الشعب (٤٨٧) بإسناد حسن.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى، والبيهقى فى الزهد (٥٢٥) وإسناد حسن.

(٣) الداء والدواء لابن القيم ص٢١٢ ط/ دار الخلفاء تحقيق السيد العربى، والتذكر للقرطبى ص٤٣.

قال القرطبى وابن القيم:

حكى أن بعض السماسرة جاء عند الموت فقيل له: قل: **لا إله إلا الله**، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، وأربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة.

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية، أصلحوا فيها كذا وكذا.

وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: البقرة الصفراء، غلب عليه حبها والاشتغال بها، نسأل الله السلامة(١).

أختاه..

أما آن للنائمة أن تستيقظ من نومها، وحان للغافلة أن تنتبه من غفلتها، قبل هجوم الموت بمرارة كأسه، وقبل سكون حركاتها، وخمود أنفاسها، ورحلتها إلى قبرها ومُقامها بين يدى ربها جل وعلا.

٥- السبب الخامس: تسويف التوبة:

أى تأخيرها، والمؤمنون والمؤمنات مخاطبون ومكلفون بالتوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها، قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١]

وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا..**﴾ [التحريم: ٨] ومع أن رسولنا محمد ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقد كان يتوب إلى الله كل يوم مائة مرة ويقول لأتباعه: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة**»(٢).

ومن أنجح الحيل التى استطاع الشيطان الرجيم أن يحتال بها على الناس، أنه يجعلهم يسوفون التوبة، فيوسوس للعاصى أنه فى شبابه وأن العمر أمامه طويلاً، فلا يشق على نفسه بالتزام الطاعات.

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن إبليس قال لربه عز وجل: وعزتك وجلالك لا أبرح أغوى بنى آدم، ما دامت الأرواح فيهم، فقال له رب المغفرة: فبعزتى وجلالى لا أبرح أغفر لهم ما داموا يستغفروننى**»(٣).

---

(٤) التذكرة للقرطبى ص٤٣ ط/ دار التوفيقية.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (١١٣٠٦) بإسنادين أحدهما حسن والآخر صحيح ١٠/ ١٣٠.

قال بعض السلف: أنذركم سوف التوبة، فإنها أكبر جنود إبليس، ومثل المؤمن الحازم الذى يتوب إلى الله من كل ذنب، وفى كل وقت خوفًا من سوء الخاتمة ومحبة لله، والمفرط المسوف الذى يؤخر توبته كمثل قوم فى سفر دخلوا قرية، فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وجلس متأهبًا للرحيل.

أما المفرط فإنه يقول كل يوم: سأتأهب غدًا حتى أعلن أمير القافلة الرحيل ولازاد معه، وهذا مثل للناس فى الدنيا، فإن المؤمن الحازم متى جاء الموت لم يندم، أما العاصى المفرط، فإنه يقول: رب ارجعون لعلى أعمل صالحًا فيما تركت.

أختاه..

العمر ينقضى والذنوب تزيد ... وتقال عثرات الفتى فيعود

هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود

والمرء يسأل عن سنيه فيشتهى ... تقليلها وعن الممات يحيد

أختاه.. أما سمعت قوله تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٥٤- ٥٦].

وقد سمع بعض المتحضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول: ﴿ **يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ..** ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال آخر عند احتضاره: سخرت بى الدنيا حتى ذهبت أيامى.

وقال آخر عند موته: لا تغرنكم الحياة الدنيا، كما غرتنى.

وقال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

قال الحسن البصرى -رحمه الله-: اتق الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وسكرة الفوت.

أختاه..

سكر بعض المتقدمين ليلة فعاتبته زوجته على تركه للصلاة، فحلف بطلاقها ثلاثًا لا يصلى ثلاثة أيام، فاشتد عليه فراق زوجته، فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاثة فمات فيها على حاله، وهو مُصرٌ على الخمر، تارك للصلاة.

أختاه.. أفيقى..

فإن غاية أمنية الموتى فى قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يفرطون فى حياتهم فتذهب أعمارهم فى الغفلة ضياعًا، ومنهم من يقطعها بالمعاصى[١].

فاحذرى السكرة والحسرة، واحذرى أن يفاجأك الموت وأنت على الغرة، فلا يصف واصف قدر ما تلقين، ولا قدر ماترين..

أختى المسلمة..

وعلامات سوء الخاتمة كثيرة.. منها: الأمن من مكر الله تعالى، ومنها: الغفلة عن ذكره، ومنها: النفاق والرياء، ومنها: الانتحار.. وغير ذلك.

• مؤذن تفتنه نصرانية وتسوء خاتمته •

أختى المسلمة..

يروى الإمام القرطبى وغيره: أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجد للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة، وأنوار الطاعة؛ فرقى يومًا المنارة على عادته للآذان، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار.

فقالت له: ما شأنك، ما تريد؟ فقال: أنت أريد.

قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبى وأخذت بمجامع قلبى.

قالت له: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك.

قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبى لا يزوجنى منك.

قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل.. فتنصر ليتزوجها، وأقام معهم فى الدار، فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار، فسقط منه فمات، فلا هو فاز بدينه، ولا هو فاز بها[٢].

فنعوذ بالله من سوء العاقبة، وسوء الخاتمة.

٦- ومن أسباب سوء الخاتمة: ارتكاب الذنوب والمعاصى:

قال ابن القيم -رحمه الله-:

ومن عقوباتها -أى الذنوب والمعاصى- أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحد يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره فى معاشه ومعاده.

---

(١) بإختصار وتصرف من لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ط/ دار ابن كثير.

(٢) التذكرة للقرطبى ص٤٤، ٤٥ والداء والدواء.

إلى إن قـال: هذا وثَمَّ أمر أخـوف من ذلك وأدهى منه وأمر، وهو أن يخـونه قلبه ولسانه عند الاحتـضار، والانتقال إلى الله، فربما تعذر عليه النطق بالشـهادة كما شاهد الناس كثيراً من المحتضرين أصابهم ذلك(١).

يقول عبد العزيز أبي رواد: حـضرت رجلاً عند الموت يُلقن الشهادة: لا إله إلا الله فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول.. ومات على ذلك.

قال: فسألت عنه، فـإذا هو مدمن خمر، وكان عبد العـزيز -رحمه الله- اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته(٢).

يقول الشيخ الطحان في إحدى محاضراته:

ومنذ سنوات جـرت حادثة في القـصيم -بالسعـودية- وتطايرت أخبـارها هنا وهناك، وحاصلها أن رجـلاً في حال احتضاره ظهر عليه من الاعـتراض على ربه ما ظهـر، فجـاء بعض أصـحابه ممن كـان يصلي مـعه في المـسجـد -والله أعلم بما في القلوب- وقال: يا عبد الله، هذا المصحف الذي كنت تقرأ فيه، فاتق الله في نفسك، ولَقَّنَهُ كلمة التوحيد، فقال: أنا كافر بالمصحف، وبلا إله إلا الله، وختم له على ذلك الحال(٣).

فالله تعـالى نسأله أن يحـسن خاتمتنا، وأن يغفـر لنا الذنوب، وأن يكشف عنا الكروب، وأن يرفع درجاتنا، وأن يبيض وجوهنا، يوم تبـيض وجوه وتسود وجوه.. إنه على كل شيء قدير.

---

(١) الداء والدواء.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب.

(٣) رسالة عاجلة من التحذير من سوء الخاتمة ص٣٤ مكتبة فياض.

الباب رقم (٢٠)

مواقف إيمانية في النجـاة من النـار

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا
مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غـيظ ومن حنق
على العصاة ورب العرش غضبانا
اقـرأ كتـابك يا عبـدى على مـهل
فـهل تجد فـيـه حرفًا غيـر ما كانا
فلمـا قـرأت ولم تـنكر قـراءته
وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خـذوه يا مـلائكتى
وامضـو بعبـد عصى للنار عطشانا
المشـركون غـداً فى النار يلتـهبـوا
والموحـــدون بدار الخلد سكـانا

• النساء وموقفهم من النار •

أختى المسلمة. . .

وهذا الموقف الإيمانى هو عبارة عن حوار دار بين إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين ﷺ وبين أصحابه الكرام يخبرهم فيه بأن أكثر أهل النار هم النساء، فقد روى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس فى الكسوف أنه ﷺ قال: «...ورأيت النار، فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء».

قالوا: بم يا رسول الله؟

قال: «بكفرهن».

قيل: أيكفرن بالله؟

قال: «بكفر العشير، ويكفر الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيراً قط»(١).

وفى رواية: «وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء»(٢).

أختى المسلمة. . .

قال علماؤنا: إنما كان أكثر أهل النار نساء لما يغلب عليهن من الميل والهدى إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن، ولبعدهن عن أعمال الآخرة بالتزين للدنيا والتمتع بها، بل وصارفات عن الآخرة غيرهن من الرجال.

فقد قال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء»(٣).

وقال فى حديث آخر: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»(٤).

أختاه. . .

لقد حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات(٥) كما قال سيد الكائنات، وقد روى الترمذى من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه- عن النبى ﷺ قال: «لما خلق الله

(١) رواه البخارى (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧).

(٢) رواه البخارى (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٣) البخارى (٣٠٤)، ومسلم (٨٠).

(٤) البخارى (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٥) مسلم (٢٨٢٢)، والبخارى (٦٤٨٧)، والترمذى(٢٥٥٩).

الجنة، قال لجبريل: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها.. فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. قال: فأمر بها فحفت بالمكاره فقال: فارجع إليها، فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فرجع إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك، لقد خفت أن لا يدخلها أحد.

قال: اذهب إلى النار، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضًا، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت ألا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»(١).

والمكاره: كل ما يشق على النفس، ويصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب، وجميع المكروهات..

والشهوات: كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها.

•وصف النار•

أختاه...

لقد وصف لنا النبي المختار ﷺ عذاب النار حتى نخاف منها ونعمل على الخلاص منها ﷺ فقال: «يؤتى بجهنم يوم القيامة سبعون ألف زمان مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٢).

نعم.. يجرونها حيث أراد الله.. يجرونها حيث شاء الله.. يؤتى بها تتلظى، وتتقطع من الغيظ على العصاة والمشركين، تأتي وهي تقول لربنا جل في علاه: هل من مزيد، قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠].

أختاه..

إن نار جهنم حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، لكن نار الدنيا جزءاً من سبعين جزء من نار جهنم.

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية؟ قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»(٣).

---

(١) قال الألباني في صحيح الترمذي: حسن صحيح برقم ٢٥٦٠.

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢) والترمذي (٢٥٧٦)

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي ومالك في الموطأ.

اللهم أجرنا من النار.. ومن عذاب النار..

أوقد عليها مولانا ألف عام حتى أحمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهى الآن سوداء مظلمة..

أختاه.. لا يغرنك ما فيه أهل الدنيا من نعيم.. ولا يغرنك ما هم فيه من سلطان.. فبغمسة واحدة فى النار تنسيهم كل نعيم.. وتنسيهم كل سلطان.. وتنسيهم اللذائذ والشهوات التى عاشوا فيها فى الدنيا...

استمعى إلى قول البشير النذير ﷺ: « **يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ فى النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب..**»(١).

وإمام أهل النار هو إبليس اللعين الذى يقوم فيهم خطيبًا على منبر من نارفيقول كما قال سبحانه وتعالى فى سورة إبراهيم: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

أختاه...

فإذا سألت عن طعام أهل النار فتارة يكون الضريع كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ** ﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

وتارة يكون طعامهم شجر الزقوم، كما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ** ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣].

وقد وصف مولانا شجر الزقوم، فقال: ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ** ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٧].

وقال رسول الله ﷺ عن الزقوم: «**لو أنَّ قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم. فكيف بمن يكون طعامه**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) رواه الترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٥١٢٦.

وإن سألت عن شرابهم فهو الحميم، قال تعالى ﴿وسقوا ماء حميما فقطع أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

والحميم هو الماء الحار المغلى بنار جهنم يذاب بهذا الحميم ما فى بطونهم، وتسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم، كما قال سبحانه. ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢٠، ٢١].

وإن سألت عن ثيابهم فهى من النار:

قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

والسرابيل: هى القمصان وهى من قطران، فيطلى به جلودهم كالسرابيل، وخص القطران لسرعة الاشتعال فيه مع نتن رائحته، ووحشة لونه.

وإذا سألت عن فراش أهل النار.. فهو نار:

قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

أى فراش من النار ويلتحفون بألحفة من النار.. نعوذ بالله من حالهم...

فإن سألت عن حالهم.. فهم يبكون أشد البكاء..

فعن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم»- أى مكان الدموع-[(١)].

أختاه...

•كيف تنقذين نفسك من النار؟•

اعلمى أختى المسلمة أن النجاة من النار له أسباب متعددة منها:

١- التوحيد الخالص:

ومعناه ألا تشركى بالله شيئًا.. ففى حديث معاذ بن جبل: «أتدرى ما حق الله على العباد»؟ فقلت: الله ورسوله أعلم.. فسار ساعة، ثم سألنى: «أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله، إذا هم فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة»[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم وصححة ووافقة الذهبى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم ١٦٧٩.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٥-٢١٩٠)، والترمذى (٢٦٤٣) وقال: حسن صحيح، ورواه البخارى ٢٨٥٦ ومسلم: ٣ وابن ماجه.

فتوحيد الله سبب نجاتك من النار يقول النبى المختار: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أى أبواب الجنة الثمانية شاء». وفى رواية: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[(١)] قال الحافظ: معنى(على ما كان من العمل) أى من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة.

وفى حديث عتبان: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله»[(٢)].

٢- اتباع السنة والجماعة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١].

وقال ﷺ: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى».

قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»[(٣)].

٣،٤- الوضوء والصلاة:

فعن بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا فدعا بلال، فقال: «يا بلال، بم سبقتنى إلى الجنة؟ إنى دخلت البارحة الجنة خشخشتك - أى صوتك - أمامى؟

فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، ولا أصابنى حدث قط، إلا توضأت عنده.

فقال رسول الله : «لهذا»[(٤)].

قال ﷺ: «من توضأ وضوئى هذا، ثم يصلى ركعتين، لا يحدث نفسه فيهما بشىء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٥)].

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى فى الاعتصام، باب: الفتداء بستن الرسول.

(٤) رواه الترمذى (٣٦٨٩)، وأحمد فى مسنده (٢٢٩٣٦)، والحاكم وصححة الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٧٨٩٤.

(٥) رواه البخارى (١٩٣٤)، ومسلم (٢٢٦)، وابن ماجه (٢٨٥)، وأحمد (٤٠٠).

٥- الصيام:

سواء كان فرضًا كصوم رمضان لقوله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

أو كان تطوعًا ولو يوم واحد لقوله ﷺ: «من صام يومًا فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفًا»(٢).

وفى رواية للنسائى: «من صام يومًا فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام»(٣).

٦- قراءة كتاب الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]

وعن أبى أمامة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - قال: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأهله»(٤).

٧- الصدقة:

اعلمى أختى المسلمة أن الصدقة تنقذك من النار، ولو كانت بشق تمرة لقوله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»(٥).

٨- التعوذ بالله من النار:

فاستجيرى بالله دومًا من عذاب النار، فعن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار: يا رب، إنَّ عبدك فلانًا استجار منى فأجره ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب، إن عبدك فلانًا سألنى، فأدخله الجنة»(٦).

٩، ١٠- الحب فى الله، والتناصح فى الله:

أختاه..

اجعلى محبتك لأخواتك المسلمات خالصة لوجه الله لتفوزى بمحبة الرحمن والنعيم فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم، وهو فى صحيح الجامع للألبانى برقم ٦٣٢٦.
(٢) رواه أحمد (٨٦٧٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٣٣٢.
(٣) رواه أحمد (١١٣٤٤) بإسناد صحيح.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه أحمد فى مسنده، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ١١٥.
(٦) ذكره المنذرى فى الترغيب وقال: رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخارى ومسلم.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[١].

١١- البكاء من خشية الله:

ولذلك يقول : «عينان لن تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[٢].

امنع جفونك أن تذوق مناما ... وأذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على سخط الليل أقاما
لله قوم أخلصوا في حبه ... فرضي بهم واختصهم خدَّاما
قوم إذا جُنَّ الظلام عليهم ... باتوا هنالك سجداً وقياما
خمص البطون من التعفف ضمراً ... لا يعرفون سوى الحلال طعاما

ولذلك كان الأمور المنقذة من النار:

١٢- صلاة ركعات بالليل والناس نيام:

لحديث: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا ركعات بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[٣].

وعن أزهر - وكان من القوامين - أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، فقلت لها: من أنت؟

قالت: حوراء... فقلت: زوجيني نفسك؟

قالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني.

فقلت: وما مهرك؟

قالت: طول التهجد.

١٣- القيام بأعمال البر كالتسبيح والذكر:

قال ﷺ : «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ثلاث مائة وستين مفصلاً فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس،

---

(١) رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح ورواه الحاكم وصححه.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن غريب والحديث حسن بشواهده.

(٣) رواه مسلم والبخاري.

أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»[١].

١٤- أن تكونى هينة لينة لأخواتك المسلمات:

فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بمن حَرُم عليه النار -أو: بمن تحرم عليه النار؟- تحرم على كل قريب هين لين سهل»[٢].

١٥- قضاء حوائج المسلمين:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[٣].

أختاه..

تذكرى حسرة السباق.. تذكرى يوم العرض على الله جل فى علاه..

يقول خالد الوراق - رحمه الله -:

كانت لى جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يومًا، فأخبرتها برفق الله، وقبول يسير الأعمال، فبكت ثم قالت:

إنى لأومل من الله تعالى أعمالاً، لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها، كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثًا لكل مذنب.

ولكن كيف لى بحسرة السباق؟!

قال: قلت: وما حسرة السباق؟

قالت: غداة الحشر، إذا بعثر ما فى القبور، وركب الأبرار نجائب[٤] الأعمال فاستبقوا إلى الصراط.

فوالله لا يسبق مقصر مجتهد أبدًا، ولو حبًا المجد حبوًا. أم كيف لى بموت الحزن والكمد؟ إذا رأيت القوم يتراكضون - أى يسرعون - وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون.. ثم خلفت مع المسيئين المذنبين؟!

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وقال: حسن غريب.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٤) نجائب الأعمال: جمع نجيبة وهى الركوبة فكأن الأعمال تتجسد وتصير مركبًا لصاحبها.

ثم بكت وقالت: يا خالد.. لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخُدَّام ما فاتهم من الخدمة.

فويلٌ لمن قصرَّ عن خدمة سيده ومعه الآمال.

فهلاً كانت الأعمال توقظه إذا نام البطَّالون[1]؟!

أختاه...

يا لها من موعظة تذكر القلوب الغافلة بتقصيرها.

ويا لها من من نصيحة توقظ الوجدان إلى ما فيه صلاح الأرواح والأبدان، فى يوم يشيب فيه الولدان، ويهلك الخسران..

أختاه..

عجبًا لعين تنام وطالبها لم ينم؟

إلى متى حسناتك تضمحل، وسيئاتك تجدد؟

متى تحذرى يومًا فيه الجلود تنطق وتشهد؟

إلهى..

إن دعانى إلى النار أليم عقابك، فقد دعانى إلى الجنة جزيل ثوابك.

إلهى..

يا حبيب التائبين، ويا سرور العابدين، ويا أنيس المنفردين ويا حرز اللاجئين.. يا من أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد، وحلاوة الانقطاع إليه..

ارحم ضعفى، واغفر ذنبى، وخفف أوزارى، وهب لى ذنوبى، وارفع درجتى، يا رب العالمين.

---

(١) صفة الصفوة ٤/٢٨، ٢٩ لابن القيم ط/ دار الفكر - بيروت.

الباب رقم (٢١)

مواقف إيمانية في أكل الحلال الطيب والثقة فى رزق اللّه عزوجل

ومن ظن أن الرزق يأتى بحيلة
فقد كذبته نفسه وهو آثم
يفوت الغنى من لا ينام عن السُّرى
وآخر يأتى رزقه وهو نائم
فما الفقر فى ضعف احتيال ولا الغنى
بكد وللأرزاق فى الناس قاسم
سأصبر إنْ دهرٌ أناخ بكلكل
وأرضى بحكم الله والله حاكم

ابن أبى الدنيا

• بنات يعلمن الآباء أكل الحلال الطيب •

أختى المسلمة..

هذا الموقف الإيمانى الخالد يرويه لك أبو محمد بن خزيمة فيقول: قال بنات رجل لأبيهن:

يا أبتاه، لا تطعمنا إلا من حلال، فإن الصبر على الجوع أيسر من الصبر على النار.

فبلغ سفيان الثورى فقال: مالهن رحمهن الله(١).

ياله من موقف إيمانى عظيم.. ويا لها من موعظة باهرة.. قدمتها هؤلاء البنات المباركات إلى أبيهن فى الحث على الأكل من طيب الطعام، والبعد عما حرم الله تعالى من الطعام.. لأنها علمت قول رسول الله ﷺ:

« **كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**»(٢).

وهؤلاء البنات الصالحات يذكرنك برابعة العدوية -حين كانت تجلس مع أبيها وأخوتها فقال لها أبوها: يا رابعة، ما ضرك لو شاركتينا طعامنا فبكت وقالت: ياأبتاه، إننى أصبر على الجوع فى الدنيا، ولا أصبر على نار جهنم.

وقد حثنا الإسلام الحنيف على أكل الحلال الطيب ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإنّ الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** [المؤمنون: ٥١].

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»(٣).

فالله طيب، ولن يدخل الجنة إلا الطيب، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾** [النحل: ٣٢].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/٣١١.

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية ١/٣١، والبيهقى فى الشعب، وإسناده حسن بشواهده.

(٣) رواه مسلم والترمذى.

وإن الملائكة تقول عند الموت: اخرجى أيتها النفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب، وإن الملائكة تسلم عليهم عند دخوله الجنة، ويقولون لهم: سلام عليكم طبتم، وقد ورد فى الحديث: «**إن المؤمن إذا زار أخًا له فى الله تقول له الملائكة: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**».

فالمؤمن كله طيب، قلبه ولسانه وجسده بما سكن فى قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التى هى ثمرة الإيمان، وداخلة فى اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل.

ومن أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو العمل.. فما دام الأكل حلالاً فالعمل الصالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟!.

• كيف تأكل حلالاً؟ •

أختى المسلمة..

إذا أردت أن تأكلى حلالاً فعليك بالورع والتقوى، والزهد فى الدنيا.. فدرهم من حلال خير من ألف من الحرام.

لكن كيف تحصلى ويحصل زوجك على الحلال الطيب؟

إن الأموال كثيرة.. وهى أكثر ما تكون عند اليهود وأعداء الله، لذلك قالوا كما حكى القرآن الكريم عنهم: ﴿**وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾ [سبأ: ٣٥].

ولكن الله ردَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ**﴾ [سبأ: ٣٦، ٣٧].

فكثرة المال ليس دليلاً على كرم الله للعبد، وليست قلة المال دليلاً على عدم كرمه ولذلك قال الله تعالى عن الكافرين والمشركين: ﴿**فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٥٥] فلا يظن إنسان أن المال الكثير نعمة أو نقمة من الله، لكنه ابتلاء من الله.. إن كثر المال فهذا ابتلاء.. وإن قل فهو إبتلاء ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلاَّ...**﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

١- فأول شروط الحلال: (الورع):

وقد أوصى به الرسول ﷺ فقال لأبى هريرة: «**ياأبا هريرة، كن ورعًا تكن أعبد الناس**» فما هو الورع؟

قال إبراهيم بن أدهم: الورع، ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات.

وقال يونس بن عبيد: الورع، الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس فى كل طرفة عين.

وقال سهل: الحلال هو الذى لا يعصى الله فيه، والصافى منه، الذى لا ينسى الله فيه.

وقال الحسن: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة(١).

• امرأة تعلم الرجال الورع •

قال بشر بن الحارث -رحمه الله-:

تعلمت الورع من أختى، فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل:

كنت مع أبى يومًا من الأيام فى المنزل، فدق داق الباب، قال لى: اخرج فانظر من بالباب؟

فخرجت فإذا امرأة قالت لى: استأذن لى على أبى عبد الله -يعنى أباه- قال: فاستأذنته فقال: أدخلها. قال: فدخلت فجلست، فسلمت عليه، فقالت له: يا أبا عبد الله، أنا امرأة أغزل بالليل فى السراج، فربما طفىء السراج فأغزل فى القمر، فعليَّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟

فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق، فعليك أن تبينى ذلك.

فقالت: يا أبا عبد الله، أنين المريض شكوى؟

قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء إلى الله.

قال عبد الله: فودعته وخرجت.

قال: فقال لى: يا بنى، ما سمعت قط إنسانًا سأل عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة، فانظر أين تدخل؟

قال: فتبعتها، فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، فإذا هى أخته.

فقال: فرجعت، فقلت له: فقال الإمام: محالٌ أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر بن الحارث(٢).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٤، ٢٥.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى، والحلية لأبى نعيم.

وفى رواية أنها قالت للإمام أحمد: إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها؟!

فقال الإمام: من أنت عافاك الله تعالى؟

فقالت أخت بشر الحافى، فبكى أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلى فى شعاعها[1].

• الشرط الثانى: التقوى •

أختى المسلمة..

ومن الشروط التى تجلب الرزق الحلال: «التقوى» قال الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

إذا أردنا الرخاء الحقيقى فعلينا بالتقوى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٣].

أختى المسلمة.. والرزق ليس قاصراً على المال فحسب، وإنما الرزق قد يكون حسيًا وقد يكون معنويًا.

قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف: ٤٦].

والمؤمن الحق يستحق الرزق كما ذكر الله عز وجل فقال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

• الشرط الثالث: التوكل •

فمن الشروط التى تجلب الرزق الحلال: التوكل على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[2].

وهنا لطيفة: أن كثيراً من الحيوانات والهوام والحشرات، والإنس والجن قد

(١) الرسالة القشيرية للقشيرى ص١٨٥ ط/ التوفيقية.

(٢) تخرج فى موضوع آخر.

يدخرون بعض القوت كالنملة تدخر قوتها من الصيف للشتاء.. وغيرها إلا الطيور فإنها لا تدخر.. إنها تصبح وليس فى بطنها أى طعام، فإذا ما جاء الليل رجعت إلى أعشاشها وهى مليئة البطون.. وإذا أصبحت أصبحت فارغة البطون ومع ذلك تصبح سعيدة تسبح الله عز وجل.. مع أنه ليس فى أعشاشها أى طعام فقولى لى بربك فى أى الجهات الحكومية تعمل الطيور؟

أو فى أى مؤسسة تعمل الطيور؟ أم فى أى جهة مالية تتعامل؟

إنها تعمل بإذن الله، فيكفيها الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

• الشرط الرابع: الاستغفار •

أختى المسلمة..

الاستغفار هو مفتاح من مفاتيح الرزق.. ولذلك جاء رجل إلى الحسن البصرى وقال له: يا إمام الدين، لقد ضاق رزقى فماذا أفعل؟

قال له: اذهب فاستغفر الله.

ثم جاء رجل آخر، وقال: ياإمام، لقد أجدبت الأرض ولم تعد تنتج فماذا أفعل؟

قال له: اذهب فاستغفر الله.

ثم جاءه آخر فقال له: إن زوجتى عاقراً لا تلد فماذا أفعل؟

فقال له: اذهب فاستغفر الله.. فتعجب الحاضرون وقالوا: يا إمام، الداء مختلف والدواء واحد فما السبب؟

قال لهم: ألم تقرءوا قول الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]

فالمطلوب من المسلم أن يكون راضيًا برزق الله.. راضيًا بالله عز وجل.

• الشرط الخامس: المحافظة على الصلاة •

ومن الشروط الهامة لجلب الأرزاق.. وصلاح المعيشة: الصلاة.. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]. لأن الصلاة صلة بين العبد وربه.

• الشرط السادس: صلة الرحم •

من يرد أن يُزاد في رزقه فليصل رحمه لقول النبي ﷺ: «من أحب أن يوسع الله عز وجل عليه رزقه، وينسئ له في أثره، فليصل رحمه»(١).

وفي رواية البخاري: «من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأله في أثره،فليصل رحمه»(٢).

• الشرط السابع: الاستقامة •

أختي المسلمة..

فالاستقامة شرط من شروط الرزق الحلال، ومفتاح من مفاتيح الرزق وزيادة العيش، والبركة في الأموال.. قال تعالى: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[الجن: ١٦] أي لو استقاموا على الطاعة، واتباع المنهج القويم لوسعنا أرزاقهم.. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

• الشرط الثامن: اتباع منهج الله جل وعلا •

فاتباع منهج الله، وتحكيم شرع الله تعالى مفتاح من مفاتيح الرزق قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

لكن إذا خالفنا منهج الله صارت العيش ضنكًا والعياذ بالله.. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

إذا اتبعنا الشيطان، وخالفنا الرحمن، فالفقر لا محالة، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أختاه..

أختم هذا الموضوع بهذه الموعظة المباركة من تلك الواعظة الكريمة ألا وهي مريم البصرية -رحمها الله تعالى- والتي تقول:

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٥١٩)، وابن الجوزي في البر والصلة، وإسناده صحيح، وهو في صحيح الجامع برقم ٥٩٥٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٢١٢) بإسناد صحيح.

«ما اهتممت بالرزق، ولا تعبت فى طلبه منذ سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

إن من عرف الله تعالى استغنى به عما سواه، ورضى به عن غيره، ولم ينشغل عنه.

ورحم الله عمر بن عبد العزيز حين قال:

يا أيها الناس..

اتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فلو كان رزق أحدكم فى قُلة -أى فى أعلى جبل- أو فى حضيض أرض لأكل رزقه.

فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب(١).

فالحريص جاهل، والقانع الواثق بمولاه هو العالم الغنى.

واعلمى أختاه..

أن رزقك لن يأكله غيرك.

• رزقك لن يأكله غيرك

وإذا كان كذلك فكيف لا يثق المرء بما عند الله جل وعلا..

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«ما من امرئ إلا وله أثر هو واطؤه، ورزقه هو آكله، وأجل هو بالغه، وحتف هو قاتله، حتى لو أن رجلاً هرب من رزقه لاتبعه حتى يدركه، كما أن الموت مدرك من هرب منه»(٢).

جاء فى بعض الأحاديث وقد حسنه بعض العلماء من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه وضعفه من طريق آخر.. أن النبى ﷺ قال:

«إن جبريل نفث فى روعى أنه لن تموت نفسى حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله، واعلموا أن ما عند الله لا ينال بمعصيته»(٣).

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

عجبت لمن أيقن بالرزق ثم هو ينصب.. عجبًا للإنسان.. ما فيه عيب إلا عجلته.

---

(١) القناعة والتعفف ص٦٤ لابن أبى الدنيا برقم (٤٠)

(٢) المرجع السابق برقم ٥٩، والبيهقى فى شعب الإيمان (٩٨٦٣).

(٣) رواه الترمذى.

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل — الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا — لكن خلق الإنسان من عجل

• من الذى يرزق هذا الثعبان الأعمى؟ ■

يقول مالك بن دينار -رحمه الله-:

كنت أتناول طعامى ذات ساعة.. وكان من بين الطعام قطع من اللحم، فدخل قط، فخطف قطعة من اللحم وجرى، فتتبعته.. إلى أين يذهب بها؟ وإذ به يذهب إلى جحر ويلقى قطعة اللحم أمام الجحر وينصرف.

قال مالك: فنظرت لأرى ما بداخل هذا الجحر، فرأيت ثعبانًا أعمى.. فاقد البصر.. فمن الذى سخر القط للثعبان؟

إنه من قدر الأرزاق.. إنه من خلق هذه الكائنات.

يقول أبو حازم المدينى -رحمه الله تعالى-:

«وجدت الدنيا شيئين: فشىء منها هو لى، فلن أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة أهل السموات والأرض.

وشىء منها هو لغيرى، وذلك مالم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقى، فلو اجتمع الخلق على أن يجعلوه لى ما قدروا عليه.

ففيم الهم ههنا؟!

وفى أى هذين أفنى عمرى؟ وفى أى هذين أعصى ربى؟[1].

وقيل لأبى أسيد الفزارى -رحمه الله-:

من أين تعيش؟

فكبر الله وحمده، وقال: يرزق الله القرود والخنزير، ولا يرزق أبا أسيد؟!

وقال أبو عبد الرحمن العمرى -رحمه الله-:

كنت جنينًا فى بطن أمى، وكان يؤتى برزقى حتى يوضع فى فمى، حتى إذا كبرت، وعرفت ربى ساء ظنى؟!

فأى عبد أشر منى؟!

(١) القناعة والتعفف لابن أبى الدنيا ص٤٩ برقم ٩٣، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد ٦٣٢، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٢٣٧.

• علام بنيت أمرك؟ •

ورحم الله حاتم الأصم حين سئل:

على أى شيء بنيت أمرك؟

قال: على أربع، قيل: وما هن؟

قال: علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فلست مشتغلاً به..

وعلمت أن عملى لا يقوم به غيرى فأنا مشغول به..

وعلمت أن الموت يأتى بغتة، فأنا مستعد له..

وعلمت أن ربى مطلع علىَّ فاستحييت أن يرانى على معصية..

• موعظة جليلة •

يقول سيدنا عيسى عليه السلام واعظًا:

«يا معشر الحواريين..إنَّ ابن آدم خلق فى الدنيا فى أربع منازل، هو فى ثلاث منهن بالله واثق، حسن ظنه فيهن بربه، وهو فى الرابع سيئ الظن بربه، يخاف خذلان الله تعالى إياه.

فأما المنزلة الأولى: فإنه خلق فى بطن أمه خلقًا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث: ظلمة البطن.. وظلمة الرحم.. وظلمة المشيمة.. ينزل الله تعالى عليه رزقه فى جوف ظلمة البطن.. فإذا خرج من البطن وقع فى اللبن، لا يخطو إليه بقدم، ولا ينهض إليه بقوة، ولا يأخذه بحرفة، يكره عليه إكراها، حتى ينبت عليه عظمه، ولحمه، ودمه، فإذا ارتفع عن اللبن، وقع فى المنزلة الثالثة، فى الطعام بين أبويه، يكتسبان عليه من حلال وحرام، فإذا مات أبواه عن غير شيء تركاه، عطف عليه الناس، هذا يطعمه.. وهذا يسقيه.. وهذا يشويه.. فإذا وقع فى المنزلة الرابعة، فاشتد واستوى، واجتمع عليه، وكان رجلاً خشى أن لا يرزقه الله تعالى، فوثب على الناس يخون أماناتهم، ويسرق أمتعتهم، ويخونهم على أموالهم، مخافة خذلان الله تعالى إياه»(١).

---

(١) القناعة والتعفف لابن أبى الدنيا برقم (١٢٦) ص٥٧، ٥٨، وأورده القرطبى فى قمع الحرص ص٩٥، ٩٦ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

فيالها من موعظة بليغة..

ويالها من موعظة تعلم كل مؤمن ومؤمنة أن يثق فيما عند الله.. بل يكون أوثق بما فى يد الله.. أوثق بما فى يده.

تعلمنا أن نحسن الظن بمن خلقنا وصورنا فى الأرحام.. وغذانا فى بطون الأمهات ونحن أجنة فى البطون.. فهل يتركنا بعد ذلك؟!

اللهم إن كان رزقنا بعيدًا فقربه.. وإن كان قليلاً فكثره.. وإن كان عسيراً فسهل علينا طلبه.. اللهم رضنا وارض عنا..ولا تؤاخذنا بذنوبنا.. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا.. وحبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا.. وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.

الباب رقم (٢٢)

مواقف إيمانية في الوقاية من الحسد والحاسدين

يقول الله عز وجل لموسى عليه السلام:

«الحاسد عدو نعمتي، راد لقضائي، ساخط لرزقي الذي قسمت لعبادي، غير ناصح لهم».

شعب الإيمان (٦٦٣٧) للبيهقي

وقال الأحنف بن قيس:

«لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب ولا سؤدد لسيئ الخلق».

الشُعب للبيهقي (٦٦٣٤)

• موقف الرسول من العين الحاسدة •

أختى المسلمة. .

وهذا الموقف الإيمانى حدث لأبناء جعفر بن أبى طالب ﷺ تحكيه لنا أسماء بنت عميس ﵂ فتقول:

يا رسول الله، إنَّ ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقى لهم؟

فقال ﷺ: **«نعم، فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين»**(١).

وفى رواية مسلم: أن رسول الله ﷺ هو الذى قال لأسماء: **«مالى أرى أجسام بنى أخى ضارعة** -أى نحيفة- **تصيبهم الحاجة؟**.

فقالت أسماء: لا، ولكن العين تسرع إليهم.

فقال ﷺ: **«ارقيهم»**.

قالت: فعرضت عليه. . فقال: **«ارقيهم»**(٢).

هذا الموقف الإيمانى يشير إلى أن العين حق، وأن الحسد كائن، ولا شك أن الحسد من أعظم أمراض القلوب خطرًا منذ آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإنه أول ذنب عصى به الله عزوجل فى السماء، وأول ذنب عصى الله عزوجل به فى الأرض.

فى السماء حين أبى إبليس اللعين أن يسجد لآدم عليه السلام، وقال له: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢]. فحسده، فلعنه الله بذلك.

وأما فى الأرض، فذلك حين حسد قابيل بن آدم أخاه هابيل، فقتله، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

فالحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفئ، ونار الحسد لا تطفئ.

ومن الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل كل شر، ومن أضمر الشر فى قلبه، أنبت فيه نباتًا مُرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته الندم.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (٢٧٣٤٣) بإسناد صحيح ١٨/٥٥٩، ورواه الترمذى (٢٠٥٩) وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه (٣٥١٠)، ورواه النسائى.

(٢) رواه مسلم ٢١٩٨.

قال السمرقندى فى تنبيه الغافلين:

الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه:

١- قد أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

٢- سخط لقسمته، يعنى يقول لربه: لم قسمت هكذا؟.

٣- أنه ضن بفضله، يعنى أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله (١).

أختى المسلمة..

وفى هذا الموقف تشريع وجواز للعلاج بالرقية الشرعية.

• ما هي الأسباب التى تنجيك وأبناءك من حسد العيون؟ •

أختى المسلمة..

معلوم أنه كما يقول: الوقاية خير من العلاج، والوقاية هنا تتمثل فى أن تقومى باستعمال الرقى الشرعية من وقت لآخر، فلقد كان النبى ﷺ إذا اشتكى رقاه جبريل عليه السلام:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: **«باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذى عين»**(٢).

وعن عبد العزيز بن صهيب قال: دخلت أنا وثابت على أنس رضي الله عنه فقال ثابت: يا حمزة، اشتكيت؟

فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى قال: **«اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافى، لا شافى إلا أنت، شفاء لا يغادر سقمًا»**(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ: **«كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاء بركتها»**(٤).

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندى ص١٣٧.

(٢) رواه أحمد فى مسنده، ومسلم فى صحيحه.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٤) رواه البخارى (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

• الرسول يرقى الحسن والحسين •

أختاه . .

إن رسولنا ﷺ قد رخص فى الرقى بل كان يأمر بها أصحابه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمرنى أن استرقى من العين.

وقد قام برقية الحسن والحسين بنفسه ليعلم الأمة كلها كيف ترقى أولادها وصغارها وكل من أصابته العين.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان النبى ﷺ يُعوذ الحسن والحسنين ويقول: «**إنَّ أباكما -أى إبراهيم- يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**»(١).

• موقف الصحابة من الرقى •

وقد رقى أصحاب النبى ﷺ بالفاتحة وأقرهم النبى على ذلك، فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال:

نزلنا منزلاً، فأتتنا امرأة، فقالت: إنَّ سيد الحى لُدغ، فهل فيكم من راق؟ فقالم معها رجل منا، ما كنا نظنه يحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوه غنمًا، وسقونا لبنًا، فقلنا: أكنت تحسن رقية؟ فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب. قال: فقلت: لا تحركوها حتى نأتى رسول الله ﷺ، فأتينا النبى ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال: «**ما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لى سهمًا معكم**»(٢).

• الإسلام يذم الحسد والحاسدين •

أختى المسلمة . .

لقد نهى رسولنا ﷺ عن الحسد، فقال ﷺ: «**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٣).

لا تحاسدوا: أى لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض.

---

(١) رواه الترمذى (٢٠٦٠) وقال: حسن صحيح، ورواه البخارى (٣٣٧١)، وابن ماجه (٣٥٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠١)، والبخارى (٢٧٤٩)، والترمذى (٢٠٦٤) وقال: حديث صحيح.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

وعن ضمرة بن ثعلبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»(١).

وهذا الحديث فيه أبلغ التعبير عن ذم الحسد، وذم الحاسدين والحاسدات، لأنه يقيد بمفهوم المخالفة أن الحسد وأهله من أسباب الشر بين المسلمين.

أختى المسلمة..

واعلمى أن الإيمان والحسد لا يجتمعان فى قلب رجل مسلم أو امرأة مسلمة فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اثنان لا يجتمعان فى قلب عبد: الإيمان والحسد**»(٢).

فالقلب إما أن يكون عامراً بالإيمان، وإما عامراً بالأحقاد والأضغان.

ولهذا كله نجد أن السلف الصالح -رضوان الله عليهم- قد ذموا الحسد والحساد، قال الأصمعي -رحمه الله- :

سمعت أعرابيًا يقول: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونقس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضى (٣).

وقال محمد بن سيرين -رحمه الله- :

ما حسدت أحدًا على شىء من الدنيا، لأنه إن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده على شىء من الدنيا، وهو يصير إلى الجنة؟!

وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده على شىء من الدنيا، وهو يصير إلى النار؟!(٤).

وقال الحسن البصرى -رحمه الله- :

يا ابن آدم، لم تحسد أخاك، فإن الذى أعطاه الله لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله تعالى، وإن يكن غير ذلك، فلا ينبغى لك أن تحسد من مصيره إلى النار؟(٥).

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٧٨: رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد وابن حبان والحاكم ٢/ ٧٢ وصححه.

(٣) الحدائق ٢/ ٤٩٥ لابن الجوزى.

(٤) روضة العقلاء لابن حبان، وتنبيه الغافلين للسمرقندى ص١٣٤.

(٥) تنبيه الغافلين للسمرقندى ص١٣٤ مكتبة التقوى.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

لا تعادوا نعم الله عزوجل، قيل: ومن يعادى نعم الله عزوجل؟

قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [1].

ألا قل لمن كـان لى حـاسـداً ... أتدرى على من أسـأت الأدب
أسـأت على الله فى فـعله ... إذا أنت لم ترض لى مـا وهب
فـأخـزاك ربى بأن زادنى ... وسـدَّ عليك وجـوه الطلب

أختاه..

اصبرى على كيد الحسود، فإنه لن ينال إلا ما قسمهُ الله عز وجل له من رزق.

اصبـر على حسد الحسود ... فـإن صـبـرك قـاتله
كـالنار تأكل بعـضـهـا ... إن لم تجـد مـا تأكله

وتأملى هذا الموقف الإيمانى المبارك لتعلمى أن القلب الذى خلا من الحسد، صاحبه من أهل الجنة، وأهل الجنة هم السعداء.

• موقف رجل من أهل الجنة •

يروى لنا هذا الموقف الإيمانى الصحابى الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: كنا جلوسًا يومًا عند رسول الله ﷺ، فقال: **«يطلع عليكم الآن من هذا الفج -أى الطريق- رجل من أهل الجنة»**.

قال: فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته -أى يتساقط منها قطرات الماء -من وضوئه، علق نعليه فى يده الشمال، فسلم.

فلما كان الغد، قال النبى ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل مرته الأولى فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى.

فلما قام النبى ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إنى لاحيت أبى -أى تنازعت وتشاجرت معه- فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا.

قال: فإن رأيت أن تؤوينى إليك، حتى تمضى الثلاث، فعلت؟ قال: نعم.

قال: أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات عنده ثلاث ليال، لم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار من الليل لا يقول إلا خيرًا.

(١) المستطرف للأبشيهى.

فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أحقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بينى وبين والدى غضب، ولا هجرة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**».

فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوى إليك لأنظر عملك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذى بلغ بك الذى قال رسول الله ﷺ؟

قال: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى على أحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله تبارك وتعالى إياه.

قال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق[1].

أختى المسلمة..

فلا تحقدى ولا تحسدى حتى تكون من أهل الجنة، وتكون من الفالحات فى الدنيا والآخرة.

▪ موقف يوضح عاقبة الحسد ▪

أختى المسلمة..

وردً أن رجلاً ترك ولدين بعد مماته، وخلف لهما مالاً لا بأس به، فاقتسماه وتصرف كل منهما فى حقه، فاشتغل الابن الأصغر فى التجارة، وأخلص لله فى عمله، وكان كثير التصدق، لا يبخل على عباد الله بنعمة، فنمت تجارته، وزاد ماله، وأصبح ذا ثروة طائلة، ولم يكن له أعداء.

أما الابن الآخر، فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته فى الخمر والميسر والزنا، فنفذت أمواله، حتى صار فقيراً، لا يجد ما يقتات به، ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه يأويه، ويقدم له ما يحتاج إليه..

لكن كان هذا الشرير يحسد أخاه على ما آتاه الله من فضله، وفكر فى طريقة يُضيع بها ثروة أخيه حتى يسير مماثلاً له فى الفقر، وبذلك يطمئن قلبه، فلا يعايره الناس بفقره.. فصار يجتهد فى الوصول إلى حيلة ينفذ بها غرضه الدنىء حتى اهتدى إلى رجل حسود، اشتهر بحسده، وقليل من الناس من ينجو من حسده.

وكان هذا الحاسد ضعيف البصر، لا يكاد يرى إلا عن قرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده وطلب منه حسد أموال أخيه، مقابل أجر يدفعه

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (١٢٦٣٣) بإسناد صحيح ١٠/٥٣٦، ورواه الترمذى (٣٦٩٤) وابن المبارك فى الزهد (٦٩٤)، ورواه الحاكم ٣/٧٣ وصححه وافقه الذهبى.

عند هلاك ثروته، وأخذه إلى طريق كانت تمر منه تجارة أخـيه فنبه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها (التجارة) قائلاً:

استعـد فقد قربت تجـارة أخي وصارت على بعد ميل واحد مـنا. فقال الرجل الحسود: يا لقوة بصرك! أتراها على هذا البعد ياليت لي بصر قوى مثل بصرك!

فشعر الرجل بألم في رأسه وأظلمت عيناه وعمى في الحال، ومرت تجارة أخيه سالمة لم يمسها سوء.

• كيف تقين نفسك من شر الحاسدين؟ •

أختي المسلمة..

لقد ذكر الإمام ابن القيم -رحـمه الله- في (بدائع الفوائد) الأمور التي تقي من شر الحاسدين، فقال:

ويندفع شر الحاسدين عن المحسود بعشر أسباب:

أحدها: التعوذ بالله من شره، والتحصن به، واللجوء إليه سبحانه.

الثاني: تقوى الله وحـفظه عند أمره ونهيه، فـمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]فمن حفظ الله حـفظه الله، ووجده أمامه أينما توجه، ومن كـان الله أمامه وحافظه فمن يخاف؟ ومن يحذر؟!.

الثـالث: الصبـر على عدوه، وأن لا يقـاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفـسه بأذاه أصلاً، فما نصر على حاسده، وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله.

الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه -أي كافيه- ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لابد منه، كالحر والبرد، والجوع والعطش.

الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به -أي الحاسد- والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلمـا خطر له، فلا يلتـفت إليه، ولا يخافه، ولا يمـلأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره.

فإذا علق روحه به، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومنامًا، لا يفتر عنه، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا، فإذا تعلقت روح كل منهما بالأخرى، عُدم القرار، ودام الشر حتى يهلك أحدهما.

السادس: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته، والإنابة إليه سبحانه في محل خواطر نفسه.

السابع: إخلاص التوبة إلى الله تعالى من الذنوب التي سلط عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

الثامن: الصدقة والإحسان إلى الناس ما أمكنه، فإن لذلك تأثير عجيب في وقع البلاء، ودفع العين وشر الحاسد.

فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة.. وهو باب إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جنداً وعسكراً يقاتلون عنه، وهو نائم على فراشه، فمن لم يكن له جند ولا عسكر، وله عدو، فإنه يوشك أن يظفر به عدوه، وإن تأخرت مدة الظفر.

التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يفوق له إلا من عظم حظه من الله، وهو طفي نار الحاسد والباغي والمؤذي، بالإحسان إليه، فكلما إزداد أذى وشراً وبغياً وحسداً، اذددت إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلاً عن أن تتعطاه، فاسمع الآن قوله عزوجل:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وتأمل حال نبينا محمد ﷺ الذي ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يسلت الدم عنه وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**»(١). فهذه الكلمات جمعت بين أربع مقامات عظيمة: أحداها: عفوه عنهم.

والثاني: استغفاره لهم.

والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه (٢).

---

(١) رواه البخاري وأحمد والطبراني.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٣٨-٢٤٥ بتصرف ط/دار الفكر.

والعاشر: أن تعلمى أختى المسلمة أن كل ما فى الكون بيد الله عزوجل، وبقدرته، وتحت مشيئته، فهو النافع، وهو الضار، وكل ذلك بإذنه، فهو الذى يصرف السوء، وهو الذى يكشفه، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ [يونس:١٠٧].

وقد قال ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك»(١).

وأخيراً أختى المسلمة..

تذكرى أن النبى ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء ليدع الحسد والحاسدين فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول:

«اللهم احفظنى بالإسلام قائماً، واحفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً، ولا تشمت بى عدواً حاسداً(٢)**. اللهم إنى أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك»** وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه الترمذى (٢٥١٦)، وأحمد فى مسنده بإسناد صحيح، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع وقد خُرج فى موضع آخر.

(٢) الحديث حسن بشواهده، وقد رواه الحاكم ١/ ٥٢٥ وصححه لكن فى إسناده يحيى بن أيوب العلاف وهو صدوق.

الباب رقم (٢٢)

مواقف إيمانية في حفظ اللســـان

احـفـظ لسـانك أيهـا الإنـسـان
لا يـلـدغـنـك إنـه ثـعـبـان
كـم فـى المقـابـر مـن قـتـيـل لسـانـه
كـانـت تهـاب لقـاءه الشـجـعـان

«لأن ترمى إنسان بسهم أهون من أن ترميه بلسانك، فإن السهم قد يخطئه، واللسان لا يخطئه».

سفيان الثورى

«طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته».

رواه الطبرانى بإسناد حسن

• كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته •

أختاه..

هذا الموقف دار بين عائشة رضي الله عنها وبين أستاذ البشرية ﷺ، وهي التي تحكيه لنا بنفسها فتقول:

حكيت للنبي ﷺ رجلاً، فقال: «**ما يسرني أني حكيت رجلاً وأن لي كذا وكذا**».

قالت: فقلت يا رسول الله، حسبك من صفية، وفي رواية: إنَّ صفية امرأة وقالت بيدها هكذا -تعني أنها قصيرة.

فقال ﷺ: «**لقد قلت كلمة، لو مزجت بماء البحر لمزجته**»(١).

أختي المسلمة..

هذا الموقف إن دل على شيء، فإنما يدل على خطر هذا العضو وهو اللسان، ويدل على خطر الكلمة، فبكلمة ينزل سخط الله، وبكلمة يدخل المرء في دين الله، وبكلمة يخرج منه، وبكلمة ينال رضوان الله، وبكلمة تحل امرأة، وبكلمة تحرم عليه، وبكلمة يذبح شريف، أو ترمى عفيفة، وبكلمة يتمزق شمل ويتصدع صرح، ويتفرق أحبة، وبكلمة تسيل برك الدماء، وتنمو الأحقاد والبغضاء.. والكلمة التي قالتها عائشة عن صفية رضي الله عنها كلمة حقيقية لا كذب فيها ولكنها تعني بها الذم والسخرية، أو أنها كانت في غيبتها فصارت غيبة محرمة لذلك طرح الرسول على أصحابه سؤالاً قائلاً لهم:

«**أتدرون ما الغيبة؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**».

قيل: أفرأيت إآن كان في أخي ما أقول؟.

قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته**»(٢).

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم ٤٨٧٥، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وهو في صحيح الجامع برقم ٨٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم ٤٨٧٤، ورواه الترمذي، ورواه أحمد ومسلم وهو في صحيح الجامع برقم ٨٦.

• خطر اللسان •

أختى المسلمة. .

وفى خطر اللسان يقول النبى العدنان ﷺ: « **إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**».

وفى رواية: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم سبعين خريفًا**»(١). ويقول الله سبحانه: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨].

ولذلك لما سأل معاذ بن جبل أستاذ البشرية قائلاً له: إننا لمؤاخذون بما تقول ألسنتنا يا رسول الله؟.

فقال ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»(٢).

ولهذا كان حقيقة المسلم تظهر أول ما تظهر فى لسانه، قال ﷺ:

«**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٣).

إن جميع أعضاء الإنسان يشعرون بخطره، فينادون عليه كل يوم، ويرجون منه أن يسير على الحق والرشاد، فيقولون له: يا لسان، اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا.

وهذا هو صديق الأمة الأكبر يدخل عليه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ وهو يجبذ لسانه، فيقول له عمر: مه؟ غفر الله لك.

فماذا قال الصديق ﷺ؟ قال: إنَّ هذا أوردنى الموارد.

فإذا كان صديق الأمة. . إذا كان هذا الذى يزن إيمانه إيمان الأمة، ويقول ذلك عما بالنا نحن؟!

وماذا نقول نحن؟!

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد فى مسنده، والترمذى وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه والحاكم وقال: على شرط البخارى ومسلم.

(٣) رواه البخارى.

وهذا هو عبد الله بن مسعود ﷺ يقول:

«والله الذى لا إله غيره، ليس شىء أحوج من طول سجن من لسانى»[١].

وكان يقول: يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، قبل أن تندم[٢].

وأبو الدرداء ﷺ يقول:

«أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعل لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم».

والحسن البصرى -رحمه الله- كان يقول:

«إنَّ لسان المؤمن من وراء قلبه، فإذا أراد إن يتكلم بشىء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشىء أمضاه بلسانه، ولم يتدبره بقلبه».

وقيل لبكر بن عبد الله المزنى: إنك تطيل الصمت؟ فقال: إنَّ لسانى سبع، إن تركته أكلنى.

قد أفلح الساكت الصموت ... كلامه قد يُعد قوت
ما كل نطق له جواب ... جواب ما يكره السكوت

فالكلام:

١- **أما أن يكون:** فيه حذر محض فلابد من السكوت عنه.

٢- **وأما أن يكون:** فيه ضرر ومنفعة، فإن درأ المفاسد أولى من جلب المصالح.

٣- **وإما أن يكون:** فيه خطر يؤثر على النفس (من الرياء وتزكية النفس..)

وكما قال القائل:

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله ... فصمت عن غير السداد سداد

وقال عطاء بن رباح:

«إنَّ من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام، ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ، أو أمراً بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق فى حاجتك فى معيشتك التي لابد لك منها، أتنكرون ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**

---

(١) الصمت لابن أبى الدنيا، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٣٤.

(٢) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، ذكره الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٩٩.

﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٧، ١٨] أما يستحى أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التى أملاها صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه».

ورضى الله عن الشافعى حين قال:

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إنَّ الجواب لباب الشرِّ مفتاح
والصمت عن جاهل أو أحمق شرف ... وفيه أيضًا لصوف العرض إصلاح
أما ترى الأُسد تُخشى وهى صامتة ... والكلب يُخشى لعمرى وهو نباح

وأنشد الكريزى:

أقلل كلامك واستعذ من شره ... إنَّ البلاء ببعضه مقرون
واحفظ لسانك واحفظ من عيه ... حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان وقل له ... إنَّ الكلام عليكما موزون
فزناه ولَيكُ محكمًا ذا قلة ... إنَّ البلاغة فى القليل تكون

• موقف المغسلة والميتة •

أختاه..

تأملى هذا الموقف الذى يدل على خطر اللسان، وهذا الموقف قد حدث فى عهد الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- كانت امرأة مغسلة تغسل امرأة ميتة، وبينما هى تصب الماء عليها، إذ بها وهى تمرر يدها عليها تقول: «كثيرًا ما زنى هذا الفرج». فماذا حدث؟

لقد التصقت يد المرأة المغسلة بجسد المرأة الميتة، وكأن بينه وبين يد المرأة مغناطيسية شديدة الجذب.

فماذا تفعل المرأة المغسلة؟ وماذا يفعل من حولها؟ إنهم يريدون أن يدفنوا الميتة، فما كان منهم إلا أن قاموا باستشارة العلماء، فمن قائل: نقطع يد المغسلة لأن حرمة الميت كحرمة الحى، ومن قائل: نقطع شيئًا من جسد الميتة فالحى أولى من الميت.. واضطربت الآراء، لكنهم قالوا: كيف نفتى وإمامنا مالك بين أظهرنا؟!

ثم ذهبوا إلى الإمام مالك، فقال لهم: قولوا للمغسلة: ماذا قلت فى حق الميتة؟

فقالت المغسلة: قلت كثيرًا مازنى هذا الفرج!

فقال الإمام: هذا قذف وأرى أن تجلدوا المرأة المغسلة ثمانين جلدة من وراء حجاب.. وبالفعل جلدوا المغسلة.. فانفصمت يدها عن جسد المغسلة.

• خطر الغيبة ▪

أختى المسلمة . .

والقرآن الكريم قد ذم الغيبة، ونهى عنها بأسلوب مؤثر عجيب، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

إنه لمرض سرطانى خطير مدمر، قلَّ من يُعانى منه. . لقد شبه الله تعالى المغتاب بالكلب فهو الحيوان الوحيد الذى يأكل الميتة من جنسه، فالأسد لا يأكل أسدًا، والثعلب لا يأكل ثعلبًا ميتًا مثله. . إلا الكلب فهو الذى يأكل كلبًا ميتًا مثله.

أختى المسلمة . .

وقد ذم الرسول ﷺ مجالس المغتابين فقال: «**يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه وإن كان فى ستر بيته**»(١).

وتروى لك أخت المسلمة عمرة -التابعية الجليلة- هذا الموقف فتقول: كنت عند عائشة رضي الله عنها فخرجت امرأة وذيلها فى البيت، فقالت امرأة: ما أطول ذيلها!

فقالت عائشة رضي الله عنها: «اغتبتيها، قومى فتحللى منها»(٢).

وقال قيس بن حازم:

مرَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت قد انتفخ، فوقف عليه وقال: «والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ جوفه خيراً له من أن يغتاب أخاه»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل: قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم**»(٤).

---

(١) رواه أحمد فى مسنده، وأبو داود فى سننه، وابن أبى الدنيا فى الصمت، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٢) المساوئ للخرائطى (١٩٨) تحقيق الشيخ مجدى فتحى السيد، وأبو الشيخ فى التوبيخ (١٩٧).

(٣) مساوئ الأخلاق للخرائطى.

(٤) رواه أحمد وأبو داود، وهو فى صحيح الجامع للألبانى برقم ٥٢١٣.

• مواقف منفرة عن الغيبة •

أختى المسلمة..

وهذا الموقف يرويه لنا الصحابى الجليل، جابر بن عبد الله رضي الله عنه فيقول: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، فهاجت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريح؟**».

«**إنّ ناسًا من المنافقين اغتابوا ناسًا من المسلمين، فلذلك هاجت هذه الريح**»[١].

وقد قيل لبعض الحكماء: ما الحكمة فى أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ، ولا تتبين فى يومنا هذا؟

قال: لأن الغيبة قد كثرت فى يومنا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة، وهى النتن، ويكون هذا مثال رجل دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة فى يومنا هذا[٢].

• ذم الغيبة عند السلف •

أختى المسلمة..

وكما ذم القرآن الكريم والسنة المطهرة الغيبة وحذرت منها، فكذلك السلف الصالح- رضوان الله عليهم- حذروا منها، ونهوا عنها.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه:

«من أكل لحم أخيه فى الدنيا، قُرِّب إليه لحمه فى الآخرة، فقيل له: كله ميتًا، كما أكلته حيًّا، فيأكله ويضج، ويصيح ويكلح»[٣].

وقال سفيان الثورى -رحمه الله- محذرًا ومخوفًا:

«إياك والغيبة، إياك والوقوع فى الناس، فيهلك دينك»[٤].

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:

---

(١) رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد (٧٥٤) ص٥٩، وابن أبى الدنيا فى الصمت ص١٤٨، وذكره الهيثمى فى المجمع وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

(٢) تنبيه الغافلين ص١٢٢ ط/ دار التقوى.

(٣) الصمت لابن أبى الدنيا (١٧٨).

(٤) التوبيخ والتنبيه لأبى الشيخ (١٧٤).

«إذا ظهرت الغيبة، ارتفعت الأخوة فى الله عزوجل، إنما مثلكم فى ذلك الزمان مثل شيء مطلى بالذهب أو الفضة داخل خشب، وخارجه حسن»(١)

أختاه..

إن ضعفت عن الخير فأمسكى عن الشر، وإن لم تستطيعى أن تنفعى الناس، فأمسكى ضرك عنهم، وإن كنت لا تستطيعى الصوم، فلا تأكلى لحوم الناس.

أختاه.. ليكن حظ المؤمنين والمؤمنات منك خصال ثلاث، تكونى من المحسنين:

١- إنك إن لم تنفعيهن فلا تضريهن.

٢- إن لم تسريهن، فلا تغميهن.

٣- إن لم تمدحيهن فلا تذميهن.

قال كعب الأحبار: قرأت فى كتب السابقين: أن من مات تائبًا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها كان أول من يدخل النار(٢).

• موقف عيسى عليه السلام من الغيبة •

أختى المسلمة..

والغيبة محرمة ومذمومة فى كل الشرائع والكتب السابقة، وقد دل على ذلك موقف عيسى عليه السلام حين مرَّ مع الحواريين على جيفة كلب.

فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا؟!

فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه؟! يعظهم وينهاهم عن الغيبة.

• موقف الحسن البصرى ممن اغتابه •

وروى عن الحسن البصرى -رحمه الله- أن رجلاً قال له: إنَّ فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه طبقًا من الرطب، وقال له: بلغنى أنك أهديت إلىَّ حسناتك، فأردت أن أكافئك بها على التمام (٣).

احذر الغيبة فهى الـ ... فسق لا رخصة فيه
إنما المغتاب كالآ ... كل من لحم أخيه

(١) الحلية لأبى نعيم ٨/٩٦.

(٢) تنبيه الغافلين ص١٢٤.

(٣) تنبيه الغافلين ص١٢٣.

• مواقف تجوز فيها الغيبة •

أختى المسلمة..

والغيبة وإن عدها العلماء من الكبائر، إلا أنهم أجازوا فى أحوال منها:

١- غيبة أهل الفساد:

وتقص لنا السيدة عائشة رضي الله عنها موقفًا يدل على جواز غيبة أهل الفساد فتقول: إنَّ رجلاً استأذن على رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: **«ائذنوا له، بئس أخو العشيرة»**.

فلما دخل الرجل ألان له النبى ﷺ القول.

قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، قلت له الذى قلت، فلما دخل ألنت له فى القول؟ فقال ﷺ: **«يا عائشة، إن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء فحشه»**[1].

٢- موقف أهل البدع:

قال الحسن البصرى: ليس فى أصحاب البدع غيبة[2].

وقال سفيان بن عيينه -رحمه الله تعالى-:

«ثلاث ليست لهم غيبة: الإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذى يدعو الناس إلى بدعته»[3].

أختى المسلمة..

وهذا موقف قد حدث يدل على جواز غيبة أهل البدعة، وهذا الموقف بين الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- وآخر يسأله فيقول له:

الرجل يصوم، ويصلى، ويعتكف، أحب إليك، أو يتكلم فى أهل البدع؟

فقال: الإمام أحمد: إذا قام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم فى أهل البدع، فإنما هو للمسلين -أى عامة- فهذا أفضل[4].

---

(١) رواه البخارى (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٩٩١)، وصحيح سنن أبى داود.

(٢)، (٣) شعب الإيمان للبيهقى(٦٧٩٢، ٦٧٩٣).

(٤) الغيبة لابن تيمية ص٢٧.

٣- ذكر الناس بصفاتهم الغالبة:

يجوز ذكر الناس بصفاتهم الغالبة والتى اشتهروا بها، كفلان الطويل، أو القصير أو الأعمش، أو الأعرج، إذا قصد تعريفه، فلا بأس.

وأبو هريرة ﷺ يحكى لنا هذا الموقف للتوضيح فيقول:

صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ركعتين ثم سلم، ثم قام إلى خشبة فى مقدم المسجد، ووضع يده عليها، وفى القوم يومئذ أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: قصرت الصلاة، وفى القوم رجل كان النبى يدعوه ذا اليدين، فقال: يا نبى الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال عليه الصلاة السلام: **«لم أنس، ولم أقصر»**.

قالوا: بل نسيت يا رسول الله، فقال: **«صدق ذو اليدين»** فقام فصلى ركعتين، ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، ثم وضع مثل سجوده أو أطول[١].

٤- ذكر المساوىء فى أمر الزواج:

أختى المسلمة..

فإذا أتتك امرأة تشاورك فى زواج ابنتها من فلان، وأنت تعرفين عنه شىء فالواجب عليك توضيح ما تعرفين.. ولا يعتبر غيبة.

وتروى لنا الصحابية الجليلة فاطمة بنت قيس ﷺ هذا الموقف التالى فتقول: أتيت النبى ﷺ فقلت:

يا رسول الله، إنَّ أباجهم، ومعاوية خطبانى، فقال:

«أما معاوية فصعلوك لامال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه، أنكحى أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: **«أنكحى أسامة بن زيد»** فنكحته، فجعل الله فيه خيراً، واغتبطت به[٢].

فمعاوية صعلوك: أى فقير لا مال له- وكانت كذلك فى وقت من الأوقات، وفيه دليل على أن الرجل إذا لم يجد نفقة أهله، وطلبت فراقه، فرق بينهما. وقوله: **«انكحى اسامة»** من تمام النصيحة، أن أشار إليها بما هو مناسب لها.

---

(١) رواه البخارى (٥١-٦٠).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وأحمد وابن ماجه والنسائى.

٥- الغيبة عند الاستفتاء:

ويروى الإمام البخارى وغيره موقف هند بنت عتبة رضي الله عنها من أبى سفيان رضي الله عنه حين قالت: يا رسول الله، إنَّ أبا سفيان رجل شحيح، وإنى آخذ من ماله ما يكفينى وولدى بالمعروف، فقال ﷺ: «**خذى من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف**»(١).

فقد ذكرت هند صفة ذميمة فى شخص زوجها فى غيبته، ولم ينكر عليها الرسول ﷺ، لأجل أنها فى الحكم الشرعى لذلك.

نسأل الله عزوجل أن يعصمنا ألسنتنا من الزلل، وقلوبنا من الغل والحقد، وأن ينقى أعمالنا من الرياء، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

الباب رقم (٢٤)

مواقف إيمانية مع كرامات الأوليـاء

• هجرة أم أيمن وكرامة لها •

أختى المسلمة..

ولما اشتد إيذاء المشركين لأصحاب الحبيب ﷺ أذن لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة، فخرج المهاجرون إلى المدينة فراراً بدينهم من بطش قريش.. وكانت أم أيمن من بين المهاجرات.

وفى الطريق حدث لها شىء يعجز القلم عن وصفه!.

فعن عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت (وليس معها ماء) وهى صائمة وجهدت، فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت، وكانت تقول:

ما أصابنى بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر، فما عطشت بعد تلك الشربة، وإن كنت لأصوم فى اليوم الحار فما أعطش(١)!

الله أكبر.. الله أكبر.. إنها كرامة الأولياء.. ولم لا؟ وهى من السابقات إلى الإسلام، ومن مربيات سيد الأنام ﷺ.. بل إنها لم تتأخر لحظة واحدة عن الاستجابة لأمر الله تعالى، بل أسلمت بقلبها وجوارحها، وكانت فى مقدمة أول قافلة تسلم لله فى هذا الكون.

وقد عاشت أم أيمن طول عمرها فى رحاب النور الربانى، تنهل من النبع الصافى فكانت فى سعادة لا تدانيها سعادة.

يقول عنها أبو نعيم فى حلية الأولياء:

«أم أيمن المهاجرة الماشية الصائمة الطاوية، الناحبة الباكية، سقيت من غير راوية، شربة سماوية، كانت لها شافية كافية!».

• تعريف الكرامة •

أختى المسلمة..

الكرامة أمر خارق غير مقرون بدعوى النبوة يظهره الله تعالى على يد صالح - أو صالحة- متحل بهدى النبى ﷺ عامل بأحكام الشريعة المطهرة، ومتأدب بآدابها فى اعتقاده وأقواله وأفعاله..

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٢٥٩، والإصابة لابن حجر ١٣/١٧٨، ورجاله ثقات لكنه منقطع، وأبو نعيم فى الحلية ٢/٦٧.

وهى ثابتة عند جماهير العلماء خلفًا وسلفًا بأدلة منها:

ما ذكره الله تعالى فى شأن السيدة مريم، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال القرطبى: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في القيظ، وفاكهة القيظ فى الشتاء وقال تعـالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤، ٢٥].

فالكرامة تكون لأولياء الله تعالى، لا لأوليـاء الشيطان، قال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فمن هم أولياء الله؟ وما هى صفاتهم؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].

فهم أهل الإيمان، وأهل التـقوى.. هم الذين آمنوا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً، وبالقـرآن الكريم دستوراً، ثم اتصـفوا بصفة التـقوى، وهى جـامعـة كل خيـر وبر، هو الخـوف من الجليل والعـمل بالتنزيل، والرضـا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

«هم أهل الفضـائل، الذين منطقهم الصـواب، وملبسهم الاقتـصاد، ومشـيهم التواضع، غضوا أبصـارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسـماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نـزلت فى الرخاء.. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة..».

• كرامات أبى بكر الصديق رضي الله عنه •

أختى المسلمة..

وقد وقعت الكرامات لأصحاب النبى ﷺ والتابعين رضي الله عنهم.

فمن كـرامات أبى بكر الصديق رضي الله عنه ما أكـرمه الله تعالى به من تكثيـر الطعام بحضرة ضيـوفه الذين كانوا يأكلون عنده، حتى أنهم أكلوا جميعـًا على كثرة عددهم وبقى الطعام كما هو بل زاد أكثر مما كان.

قال عـبد الرحمن بن أبى بكـر رضي الله عنهما: «وأيم الله، ما كنا نأخذ لقـمة إلا ربا[1] أسفلهـا أكثر منهـا حتى شبعـوا وصارت أكثـر مما كانت، فنظر إليهـا أبو بكر، وقال

---

(١) ربا: أى زاد وكثر.

لامرأته: يا أخت بـنى فراس ما هذا؟ ألا وقـرة عينى لهى الآن أكـثر من ذلك ثلاث مرات.

▪ كرامات وقعت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ▪

وكرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرة منها:

١- موافقات لربه، ونزول الوحى برأيه:

يقول رضي الله عنه وافقت ربى فى ثلاث، فقلت: يا رسـول الله، لو اتخدت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ [البقرة: ١٢٥].

وآية الحجاب قلت: يا رسول الله، لو أمرت نسـاءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجـر، فنزلت آية الحجاب، واجتـمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ**﴾ [التحريم: ٥] فنزلت هذه الآية (١).

٢- ومنها: مـا ذكره نافع مـولى ابن عمر، أن عـمر رضي الله عنه قال علـى المنبر: يا سارية.. الجبل يا سارية.. الجـبل.. ظلم من استرعى الذئب الغنم، فلم يدر الناس مـا يقول حـتى قـدم سارية المدينـة على عمـر رضي الله عنه، فـقال: يا أمـيـر المؤمنين، كنا محـاصرى العدد، وكنا نقـيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحـد، نحن فى خفض من الأرض، وهم فى حـصن عال، فـسمـعت صائحـًا ينادى بكذا وكذا: يا رسـاية بن زنيم.. الجبل، فـعلوت بأصحابى الجبل، فـما كانت إلاساعة حـتى فتح الله علينا.

فقيل لعمر: ماذاك الكلام؟

قال: «والله ماألقيت له بالاً، شيء أتى به على لسانى» (٢).

٣- ومنها مـا رواه ابن الجوزى: أنه لما فتحـت مصر أتى أهلها إلى عـمرو بن العاص حين دخل شهر «بؤنة» من أشهر العجم، قالوا: أيها الأمير، إنَّ لنيلنا هذا سُنة لا يجرى إلا بها فقال لهم: وماذاك؟

قالوا: إنا إذا كانت ثلاثة عـشر ليلة نحواً من الشهر عـمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أباها، وحملنا عليهـا من الحلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى النيل.

---

(١) رواه البخارى.

(٢) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص١٥٠، ١٥١ ط/التوفيقية.

فقال لهم عمرو: إن هذا شيء لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلاً، ولا كثيراً.

فكتب إلى عمر بن الخطاب، وشرح له ما حدث، فكتب إليه عمر بن الخطاب بطاقة وأمره أن يلقيها في النيل، كتب فيها:

«من عبد الله عـمرو بن الخطاب، أمير المؤمنين، إلى نيل مصر، أمـا بعد: فإن كنت تجرى من قـبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحـد القهار هو مجـريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك». فألقى البطاقة في النيل، فأجراه الله تعالى ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، فقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى يومنا هذا[١].

• كرامة لسعيد بن زيد •

استجاب الله دعاءه على أروى بنت أوس التي ادعت عليه أمام مروان بن الحكم زوراً أنه اغتصب شيئًا من أرضها.

فقال: «اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرهـا، واقتلها في أرضها، فذهب بصرها ومرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها، فوقعت فيها فكانت قبرها[٢].

• كرامة لعاصم بن ثابت •

أختى المسلمة..

كان عـاصم بن ثابت من أصحـاب النبي ﷺ كان في الرماة يـوم أحد، وقتل يومها من أصحاب لواء المشركين مسافعًـا والحارث، فنذرت أمهما «سلامة بنت سعد» أن تشرب في قحف عاصم (أي في أم رأسه) الخمـر، وجعلت لمن جاءها برأسه مائة ناقـة، فقـدم ناس من هذيل على رسـول الله ﷺ، فـسألـوه من يوجه مـعـهم من يعلمهم، فوجه عاصمًا في جماعة، فقال لهم المشركون:

استأسروا فإنا لا يزيد قتلكم، وإنما نريد أن ندخلكم مكة، فنصيب بكم ثمنًا.

فـقال عـاصم: لا أقبل جـوار مشـرك، وجعل يقـاتلهم حـتى فنيت نبله، ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه، فقـال: «اللهم إني حميت دينك أول النهار، فاحم لحمي آخـره» فجـرح رجلين وقتل واحـداً وقتـلوه، فأرادوا أن يجـتزوا رأسـه، فبـعث الله الدبر[٣]، فحمته نهاراً، ثم بعث الله إليه سيلاً في الليل فحمله[٤].

(١) سيرة ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص١٥٠، ١٥١ ط/التوفيقية.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٥٤، وابن الأثير فـي أسد الغابة ٢/ ٣٢٦، ورواه البخارى في كتاب بدء الخلق (٣١٩٨)، ومسلم في المساقاة برقم ٤١١٠، وأحمد في مسنده.

(٣) الدبر: أي النحل والذنابير.

(٤) أسد الغابة ٢/ ٥٠٧، والسيرة لابن هشـام ٣/ ١٠١، وصفة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٩٧، وهو في صحيح البخارى برقم ٣٩٨٩.

ألست هذه كـرامة لعـاصم بن ثابت.. وهى أن الله حـماه بالدبر فى النهـار، وبالسيل فى الليل؟ إنها كرامة الله لأوليائه الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

• كرامة لخبيب بن عدى رضي الله عنه •

تقول بنت الحارث بن عامر حين دخلت عليه، وقد كان أسيراً عندهم:

والله لقد وجـدته يومًا يأكل قطفًـا من عنب فى يده، وإنه لموثق بالحـديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا (١).

• كرامة لحمزه بن عبد المطلب رضي الله عنه •

عن جابر رضي الله عنه قال: لما أراد معاوية أن يجرى عينه التى بـ (أُحد) كتبوا إليه، إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء.. فكتب انبشوهم. قال: فرأيتهم يُحملون على أعناق الرجال كـأنهم قوم نيام، وأصابت المسـحاة طرف رجل حمزة، فـانبعثت دمًا(٢).

فرضـى الله عنه عاصم بن ثابت ورضى الله عن عـدى ورضى الله عن حـمزة وعن سائر الأصحاب.

• كرامة لجريج العابد •

أختى المسلمة..

ومن كـرامـات الأولياء مـا أكـرم الله به جـريج العـابد، وذلك بأن أنطلق الله عزوجل طفلاً رضيعًا يشهد ببراءته من التهمة التى رمته بها تلك المرأة المموس..

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم عليه السلام وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى، فـقالت: يا جـريج، فقال: يا رب، أمى وصـلاتى فأقـبل على صلاته، فانصرفـت، فلما كان من الغد أتتـه وهو يصلى، فقالت: يا جريج فـقال: يا رب، أمى وصلاتى، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلـما كان من الغد أتته وهو يصلى، فقالت: يا جريج.**

فقال: أى ربِّ، أمى وصلاتى، فأقبل على صلاته.

---

(١) صفة الصفوة ١/ ٢٧٤، ورواه البخارى وأحمد.

(٢) صفة الصفوة ١/ ١٦٠، وأسد الغابة ٢/ ٥٤، والإصابة لابن حجر بنحوه.

فـقالت: اللهم لا تمتـه حـتى ينظر إلى وجوه المومـسـات، فتـذاكر بنو إسـرائيل جريجًا وعبادته، وكـانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شـئتم لأفتننه لكم قال: فعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كـان يأوى إلى صومعته، فأمكنته من نفسها، فوقع عـليها، فـحملت، فلمـا ولدت قالت:هـو من جريج، فأتـوه فاستنزلـوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟

قالوا: زنيت بهـذه البغي، فولدت منك، فقـال: أين الصبى؟ فجاءوا بـه، فقال: دعونى حتى أصلى فـصلى، فلما انصرف أتى الصبى، فطعن فـى بطنه وقال: يا غلام، من أبوك؟ قال: فلان الراعي.. فأقبلوا على جريج يقـبلونه ويتمسحون به، وقالوا:نبنى لك صومعتك من ذهب، قال: أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا..»[١].

• كرامة طفل رضيع وجارية متهمة بالزنا •

أختى المسلمة..

روى البخارى ومسلم: «بينما صبى يرضع من أمه فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجـعل ابنى مثل هذا، فترك الثـدى وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: «اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع».

قال: فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بأصبـعه السبابة فى فمه يمصها قال:

«ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهى تقول: حسبى الله ونعم الوكيل، فقالت أمـه: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فترك الرضاع ونظر إليـها، فقال: اللهم اجعلنى مثلها»، فهناك تراجعًا الحديث، فقالت:

مرَّ رجل حـسن الهيئة، فـقلت: اللهم اجعل ابنى مثله، فـقلت: اللهم لا تجعلنى مثـله، ومروا بهـذه الأمة، وهم يضـربونها ويقـولون: زنيت سرقت، فـقلت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها، فقال: إنَّ ذلك الرجل كان جباراً فقلت: اللهم لا تجـعلنى مـثله، وإنَّ هـذه يقـولون لهـا: زنيت سـرقت، ولم تزن ولم تسـرق، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها[٢].

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

• كرامة لحفصة بنت سيرين •

عن هشام بن حسان قال: كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل، ثم تقول فى مصلاها، فربما طفئ السراج، فيضاء لها البيت حتى تصبح[١].

• كرامة لرابعة العدوية •

باتت رابعة -رحمهـا الله- ليلة فى التهجد والصلاة، فلما انفـجر الصبح نامت فدخل السارق دارها، وأخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد إلى الباب، فوضعها، فوجد الباب، فـحمل الثيـاب فلم يهتد إلى البـاب، فوضعهـا، فاهتدت فـفعل ذلك ثلاث مرات، فنودى من زارية البيت، ضـع القماش واخرج، فإن الحبـيب إذا نام فالسلطان يقظان لا ينام[٢].

وقال عبد الله بن عيس الطفاوى:

«بلغنى أن رابعـة كانت تطبخ قـدرًا، فاشـتهت بصلاً، فـجاء طائر فى مـنقاره بصلة، فألقاها إليها»[٣].

• المفترين بما يشبه الكرامات •

قال ابن الجوزى فى تلبيس إبليس:

وكم أغتر قوم بما يشـبه الكرامات، فعن أبى عمران قـال: قال لى فرقد: يا أبا عمران قد أصـبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتى، وهى سـتة دراهم، وقد أهل الهلال، وليست عـندى، فدعوت. . فـبينمـا أنا أمشى على شط الفـرات، فإذا بسـتة دراهم فأخذتها فوزنتها، فإذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص.

فقال لى أبو عمران: تصدق بها، فإنها ليست لك.

قلت: أبو عمران هو إبراهيم النخعى فقيـه أهل الكوفة. . فانظروا كلام الفقهاء وبُعد الاغتـرار عنهم، وكيف أخبره أنهـا لقطة، ولم يلتفت إلى ما يشـبه الكرامة. . وإنما لم يأمره بتعريفهـا، لأن مذهب الكوفيين أن لا يجب التعريف لما دون الدينار. وكأنه أمره بالتصديق بها لئلا يظن أنه أُكرم بأخذها وإنفاقها.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ١٧.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى.

(٣) مجابى الدعوة لابن أبى الدنيا برقم (١٢٠).

وقال ابن الجوزى:

عن إبراهيم الخرسـانى أنه قال: أصبحت يومًا إلى الوضـوء، فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضــة ألين من الخز، فاستكت بالسواك، وتوضأت بالماء وتركـتهما وانصرفت. قلت: فى هــذه الحكاية من لا يوثق بروايته، فإن صـحت دلت على قلة علم هذا الرجل، إذا لو كان يفـهم الفقه علم أن استـعمال السواك الفـضة لا يجوز، ولكن قل علمه فـاستعـمله والله تعالى لا يكرم بما يُمنع من استـعماله شـرعًا إلا أنه أظهر له ذلك على سبيل الامتحان[١].

فهناك فارق كبـير بين كرامات الأولياء، وتلبيسات أوليـاء الشياطين، فكرامات الأولياء، لابد أن تكون بسبب الإيمان والتقوى، والعمل الصالح.

• صفات أصحاب الكرامات •

عن وهب بن منبه قال:

قال الحواريون لعـيسى ابن مريم: من أولياء الله الذين لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى عليه السلام:

هم الذين نظروا إلى باطن الـدنيا حين نظر النـاس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلهـا، فأماتوا منها ما خشـوا أن يميتهم وتركوا ما علموا أن سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إياها فواتًا، وفرحهم بما أصابوا منها حزنًا فمـا عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعـتها بغير الحق وضـعوه، وخَلِقَتْ الدنيـا عندهم فليـسوا يجـددونها، وخـربت بينهم فليسـوا يعمرونهـا، وماتت فى صدورهم فليسـوا يحييونها، يهـدمونها فيبـنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا برفضها فرحين، وباعوها فكانوا ببيعها رابحين.. يحبون الله ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره..»[٢].

وعن محمــد بن زياد قال: إن لله عبادًا إذا كان يوم القيـامة، أجلسهم الله على منابر من نور، وألقى عليهم السبات حتى يفرغ الخلق من الحساب.

---

(١) تلبيس إبليس ص٤٣٩ ط/ دار العقيدة بالإسكندرية.

(٢) ذكره أحمد فى الزهد ١/ ١٨٤ ط/دار الفكر، وابن أبى الدنيا فى الأولياء برقم ١٨ ص١٥.

وعن عطاء بن يسار قال: قال موسى: يا رب، من أهلك الذين يأوون فى ظل عرشك يوم القيامة؟ قال: «**هم التربة أيديهم، الطاهرة قلوبهم، الذين يتحابون بجلالى الذين إذا ذكـرت ذكـرونى، وإذا ذكـرونى ذكرتهم، يـسبـغـون الوضـوء عند المكاره، وينيبون إلى ذكرى كما تنيب النسور إلى أوكارها..**»[1].

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى الأولياء برقم ٣٧ ص٢٠.

الباب رقم (٢٥)

مواقف إيمانية

في

مكارم الأخلاق

• موقف خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ يوم نزول الوحي •

أختى المسلمة..

وهذا الموقف الإيمانى الذى يتلألأ روعة وجلالاً يرويه الإمام البخارى عن عائشة رضي الله عنها قالت:

أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -أى يتعبد- الليالى ذوات العدد، قبل أن ينزل إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: «**ما أنا بقارئ**».

قال: «**فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ.. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ..﴾** [العلق: ١-٣].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملونى، زملونى**» فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

فقال لخديجة وأخبرها الخبر ثم قال: «**لقد خشيت على نفسى**».

فقالت خديجة: «**كلا والله ما يخزيك[1] الله أبداً، إنك لتصل الرحم، تحمل الكل،[2] وتكسب المعدوم[3] وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق**».

وفى رواية مسلم: «**كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف**».

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل -ابن عمها- فقالت له: يا ابن العم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

---

(١) لا يخزيك: أى لا يفضحك ولا يجعلك هينًا فى أعين الآخرين.

(٢) الكل: هو ما لا يستقل بأمر نفسه.

(٣) تكسب المعدوم: تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

فقال له ورقة: هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى، يا ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجى هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى.

فيا له من موقف إيمانى عظيم، لقد بين كيف استقبلت خديجة زوجها وقد ألم به ما ألم؟ وكيف هونت عليه، وهدأت من روعه، ووقفت بجانبه.

إنها لم تعرض عنه.. ولم تصفه بالجنون.

إنها لم تتخلى عنه.. ولم يشغلها عنه شاغل.. بل وقفت معه موقفًا عظيمًا، سيظل خالدًا.. تتعلم منه النساء فى كل العصور والأزمان، كيف تقف الزوجة الحنون بجوار زوجها حين يصيبه ألم، أو يحل به كرب، أو مكروه.

قال ابن حجر:

فيه استحباب تأنيس من نزل به أمر، بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه.. وأن من نزل به أمر استُحب له أن يُطلع عليه من يثق بنصيحته وصحة رأيه.

● احترام مشاعر الزوج ■

أختى المسلمة..

وأعظم درس تتعلمه المرأة المسلمة من هذا الموقف الإيمانى العظيم أن تحترم الزوجة مشاعر زوجها، فإن الزوج من زوجته بمكان.

عن الحصين بن محصن أنَّ عمة له أتت النبى ﷺ فى حاجة ففرغت من حاجتها، فقال لها النبى ﷺ: «**أذات زوج أنت؟**».

قالت: نعم. قال: «**كيف أنت له؟**».

قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه.

قال: «**فانظرى أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**».

ويروى أن رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن امرأة الحطاب من أهل الجنة، وذلك بفضل صنيعها لزوجها.

فلما سئلت قالت: إنَّ زوجى يحتطب -أى يجمع الحطب- أحس بالعناء الذى لقيه، فى سبيل رزقنا، وأحس بحرارة عطشه فى الجبل، تكاد تحرق حلقى، فأعد له الماء البادر، حتى إذا ما قدم وجده، قد نسقت متاعى وأعددت له طعامه، ثم وقفت أنتظره فى أحسن ثيابى، فإذا ما ولج -دخل- الباب استقبلته كما تستقبل العروس

الذى عشقتــه، مسلمة نفسى إليه، فإذا أراد الراحة أعنــته عليها، وإن أرادنى كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبوها.

• مكانة السيدة خديجة رضي الله عنها •

أختى المسلمة..

خديجة رضي الله عنها سيدة نساء العــالمين.. وزوجة سيد الأولين والآخرين.. إنها أول من آمن بالله مــن النســاء.. وأول من صــلى مع رســول الله، وأول من رزق منــهــا الولد.. وهى أول من بُشـرت بالجنة من أزواجــه الطاهرات.. هــى ممن كــمل من النساء.. لم يتزوج النبى ﷺ امرأة قــبلها.. وكانت تدعى فى الجــاهلية الطاهرة.. يقول ﷺ: **«كمل من النساء كثير من الرجــال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عــمران، وآسيــة امرأة فرعــون، وخديجة بنت خــويلد، وفضل عــائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**.

وقال ﷺ: **«خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة»**.

وقد أتى جبريل عليه السلام النبى ﷺ، فقال له: **«أقرء خديجة من الله ومنى السلام وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا نصب فيه ولا وصب»**.

فماذا أجابت رضي الله عنها؟

قالت: **إنَّ الله هو الســلام، وعلى جبريل السلام، وعليك الســلام ورحمة الله وبركاته** إن صــديقة المؤمنات الأولى خــديجة رضي الله عنها لم تكن أم المؤمنين فــحسب، وإنما كانت أم كل فــضيلة، ولها فى عــنق كل موحد فــضل وحق إلى يوم يبعثــون، فهل نستطيع أن نفى أمنا جزءًا من حقها؟.

وقفت بجانب رسول الله ﷺ فى كل الأزمات، وقد اعترف بذلك سيد الخلق لدرجة أنه كان لا ينسى لها مواقفها الجليلة.

تقول السيدة عــائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فــذكرها يومًا من الأيام، فأدركتنى الغيرة، فقلت له: وهل كانت إلا عجوزًا، أبدلك الله خيرًا منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضــب. ثم قال: **«لا والله مــا أبدلنى الله خــيــرًا منهــا، آمنت بى حين كــفــر الناس، وصدقتنى حين كــذبنى الناس، وواستنى فى مالها إذ حــرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد..»**.

قالت عائشة: فقلت فى نفسى، لن أذكرها بسيئة أبدًا.

لهذا كله أحبها النبى ﷺ حبًا شديدًا حتى قال: «**إنى رزقت حبها**» وقد قاست معه ﷺ سنوات الحصار والمقاطعة، حتى أكلت ورق الشجر، وهى الحسيبة الشريفة رضي الله عنها.

وقد كانت تعلم من أول الأمر أنه مبتلى وممتحن من ربه، كما ذكر لها ابن عمها ورقة بن نوفل.

وهذا الموقف العظيم من أشرف المواقف التى تحمد لامرأة فى الأولين والآخرين فقد طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من أخلاق نبيلة، وصفات كريمة.. مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبدًا وإن الله إذ طبع رجل على المكارم الجزلة والمناقب السمحة فلكيما يجعله أهل إعزازه وإحسانه، وبهذا الرأى الراجح، والقلب الصالح استحقت خديجة أن يُحييها ربها، ويرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين(١).

• مكارم الأخلاق •

وقد جمعت خديجة لرسولنا محمد ﷺ فى هذه الكلمات القليلة مكارم الأخلاق وكريم الصفات، فقالت:

«.. فوالله لا يخزيك الله أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق».

إنها كلمات من نور.. إنها كلمات الحق والثبات واليقين.

«إنك لتصل الرحم..» فقد كان ﷺ وصولاً للرحم، يُقرب البعيد، ويدنى القصى، ويغسل الأحقاد، ويزرع الألفة والمودة بين الناس، ويجمع القلوب على الصفاء والمحبة.. وصلة الرحم أصل من أصول الأخلاق الحميدة.. «.. وتصدق الحديث» فقد لقبوك يا رسول الله منذ صغر سنك بالصادق الأمين فصدق الحديث عندك سجية.. والحق ما شهدت به الأعداء، فقد قالوا: «ما جربنا عليك كذبًا قط».

وكانوا حين يرونك يقولون: «جاء الصادق الأمين».

ثم تقول: (وتحمل الكَل):

فقد كان ﷺ قدوة حسنة لأصحابه فى كل خير.. فقد روى أنه ﷺ كان يسير يومًا فى بعض طرقات مكة، فوجد امرأة عجوزًا، فنادت عليه وطلبت منه أن يحمل عليها

---

(١) فقه السيرة للغزالى ص١٠٢.

حزمة كبيرة من الحطب، لكن رسول الله ﷺ لما توسم ضعفها وعجزها حمل هو الحزمة على كتفيه، فسُرت المرأة منه، وقالت له يا أخا العرب، إنك لعلى خلق عظيم.. وإنى أريد أن أنصحك بنصيحة، إنَّ فى مكة رجلاً يُدعى محمدًا، وهو يدعى النبوة فلا تصدقه أبدًا.. فقال لها: أما تعرفينه يا أمة الله.. قالت: لا. فقال لها: أنا محمد، فقالت: أنت هو، قال: أنا هو.. فقالت المرأة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ثم تقول: (وتكسب المعدوم):

وتلك رابعة الصفات من الكلمات الرائعات، وهى تدل على جوده وكرمه ﷺ، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة..

وقد كان لا يدخر شيئًا لغده.

قال الإمام القسطلانى: وقد كان جوده كله لله، وفى ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال تارة لفقير أو محتاج، وتارة ينفقه فى سبيل الله، وتارة يتألف به على الإسلام-أى من يقوى الإسلام بإسلامه- وكان يؤثر على نفسه وأولاده، فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش فى نفسه عيش الفقراء، فيأتى عليه الشهر والشهران لا توقد فى بيته نار، وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع[(١)].

لقد أعطى رجلاً غنمًا بين جبلين، فرجع الرجل إلى المدينة وقال: أسلموا فإن محمدًا يعطى من لا يخشى فاقة[(٢)].

وفى يوم من الأيام يُحمل إليه تسعون ألف درهم، فيضعها على حصير، وقام إليها يقسمها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها[(٣)].

ثم تقول: (وتقرى الضيف):

فقد كان ﷺ بحق من أكرم الناس لضيوفه، وقد حث أصحابه وأمته على كرم الضيافة فقال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[(٤)] وفى رواية:

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢/ ٣٧٢.

(٢) رواه مسلم وأحمد وابن حبان والبغوى.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض١/ ١٠٤ ط/دار التوفيقية.

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد وابن ماجه.

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا: وما جائزته؟ قال: **«يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة»**(١).

ثم تقول: (وتعين على النوائب):

نعم.. لقد كان يعين على مواقف الشدة، وتلك من أجل صفاته ﷺ فكأن الله عز وجل فطره على ذلك.. فصلاة وسلامًا عليك يا رسول الله، ورضى الله عن خديجة أم المؤمنين.

أختى المسلمة..

وإذا كانت هذه صفات سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، فهو إمامنا وهو قدوتنا، وهو قائدنا فى كل خير فلنتأسى بأخلاقه، فقد قال ﷺ: **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(٢).

وحث أتباعه على الأخلاق، فقال: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»**(٣) وبين أن مكارم الأخلاق تثقل الميزان فقال: **«ما من شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق»**(٤) بل إن الأخلاق وثوابها كثواب الصائم القائم، قال ﷺ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»**(٥).

أختى المسلمة..

إن أردت أن ترفع درجتك، وتكون قريبة من أستاذ الأخلاق، فتمسكى بأحسن الأخلاق، قال ﷺ: **«إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»**(٦).

---

(١) رواه البخارى ومسلم والدارمى.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٨٩٣٢)، وهو فى السلسلة الصحيحة برقم٤٥، وصحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٣) رواه أحمد (٧٣٩٦)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم(١٢٣٢).

(٤) رواه أحمد (٢٧٣٩)، والترمذى (٢٠٠٤)، وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود.

(٥) رواه أحمد(٢٤٢٣٦)، وصححة الالبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٤٧٩٨) والمشكاة.

(٦) رواه الترمذى(٢٠١٨) وقال: حسن غريب، وحسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم(٧٩١)، والثرثار: هو كثير الكلام، والمتشدق: هو المتطاول على الناس بالكلام، والمتفيهقون: هم المتكبرون كما ورد فى نص الحديث.

ومن الموقف نتعلم أيضًا:

▪ أهمية إدخال السرور على المسلم ▪

أختي المسلمة..

إن خديجة أم المؤمنين ﵂ فرجت عن الرسول ﷺ كربته وأزالت همه، وأدخلت السرور عليه بكلماتها الرقيقة العذبة.. وإذا كانت هذه فضيلة ينبغي لكل زوجة أن تسلكها ففي المجتمع كله تكون أجدر بالامتثال، لهذا حث رسول الله ﷺ على ذلك فقال فيما يرويه عنه عبد الله بن عمر ﵄: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، إو يكشف عنه كربة، إو يقضى عنه دينًا، إو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبُ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم عيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»**[1].

فقد وضح لنا الرسول ﷺ أن أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المسلم، وكذلك من قضى له حاجته.. فقضاء الحوائج تدخل السرور على قلبه يقول ﷺ: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»**[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في الصحيحة(٩٠٦).

(٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

الباب رقم (٢٦)

مواقف إيمانية ضحك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

• الرسول يمازح أم أيمن •

أختى المسلمة..

وهذا الموقف المبارك يرويه لك ابن سعد فى الطبقات فيقول:

عن محمد بن قيس قال: جاءت أم أيمن إلى النبى ﷺ، فقالت: احملنى قال: «**أحملك على ولد الناقة**».

فقالت: يا رسول الله، إنه لايطيقنى ولا أريده.

فقال ﷺ: «**لا أحملك إلا على ولد الناقة**».

فقالت: يارسول الله، إنه لايطيقنى ولا أريده.

فقال ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق؟**».

يعنى أنه كان يمازحها. وكان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقًّا، والإبل كلها ولد النوق(١).

أختى المسلمة..

إن رسولنا محمداً ﷺ كان سمح النفس، طاهر القلب، عظيم الصبر، راسخ الحلم، كثير العفو، بين الزهد، جمَّ التواضع، موصل الرحمة، حلو الشمائل.. فلا عجب أن رسولنا ﷺ كان يتفكه حينًا، ويطرب للفكاهة أحيانًا، فهو كما وصفته السيدة عائشة: «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه»(٢).

ووصفه علىٌّ بن أبى طالب ﷺ: بأنه كان دائم البشر، سهل الخلق، وكان أكثر الناس ابتسامًا فى وجوه أصحابه، وتعجبًا مما تحدثوا به.

وإذا كان بعض الصحابة قد وصفوا ضحك النبى ﷺ بأنه تبسم، فإن آخرين كالسيدة عائشة ﷺ تصفه بأنه إذا خلا فى بيته كان ألين الناس بسامًا ضحاكًا.

أختاه..

لقد كان ﷺ من أفكه الناس، ومن أمزحهم، لكن كان مزاحه من الطراز الرفيع اللائق به، فإنه كان يمزح ولكنه لا يقول إلا الحق، ولهذا نجد الفكاهة المروية عنه كلها من الكنايات أو التورية.

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٦٠، ورواه الترمذى فى سننه(١٩٩١)، وصحيح سنن أبى داود للألبانى (٤٩٩٨) وقال: صحيح لكن عن أنس بن مالك وأن الذى قال ذلك هو رجل، وربما تعددت الحكاية.

(٢) رواه البخارى وغيره.

فينبغي أختى المسلمة.. أن تمازح الزوجة زوجها، والزوج زوجته، ويمازح الأب أبناءه، والأخ إخوانه.. فى الحدود التى تليق بالمسلم والمسلمة.

وإن الأمر لو كان جداً محضًا لسئمنا الحياة، ولو كانت الحياة مزاحًا محضًا لما كان لها شأن.. ولكن كما قال حنظلة ﷺ:

كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلى، فدنت منى المرأة، وجرى بيننا من حديث الدنيا، ونسيت ما كنا عليه عند رسول الله ﷺ.

يقول حنظلة: فمرَّ بى أبو بكر فقلت له: نافق حنظلة.. فذهبت أنا وأبو بكر إلى رسول الله، فلما رآنى قال: **«مالك يا حنظلة»** فقلت: نافق حنظلة.. يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، كأنا رأى العين، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ونسينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: **«لو تداومون على الحال الذى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم وفى طرقكم وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة، ساعة، وساعة وساعة»**(١).

ورسولنا ﷺ له مواقف متعددة ضحك فيها.

• مواقف ضحك فيها الرسول •

١- الموقف الأول: أتته عجوز أنصارية، فقالت: يا رسول الله، ادع لى بالمغفرة، فقال لها: أما علمت أن الجنة لا يدخلها عجوز، فصرخت، فتبسم النبى ﷺ وقال لها: أما قرأت قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]

٢- الموقف الثانى: قال لامرأة من الأنصار: **«ألحقى زوجك ففى عينيه بياض»** فأسرعت المرأة نحو زوجها خائفة، فقال لها: ماذا دهاك؟

فقالت: قال لى رسول الله ﷺ: إنَّ فى عينيك بياض.

فقال: إنَّ عينينى بياض، لا لسوء.. يقصد أن كل إنسان فى عينيه بياض(٢).

٣- الموقف الثالث: ضحكه لاختيار عائشة الله ورسوله:

عن عائشة ﷺ قالت:

لما نزلت آية التخيير، قال ﷺ: **«يا عائشة، إنى عارض عليك أمرًا، فلا تفتاتن فيه بشىء حتى تعرضيه على أبويك، أبو بكر وأم رومان»**.

---

(١) رواه الترمذى (٢٥١٤) وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد فى مسنده(١٧١٥٧)، وابن ماجه(٤٢٣٩).

(٢) الإحياء للغزالى ورواه ابن أبى الدنيا.

قالت: أى رسول الله، وما هو؟

قال: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩، ٢٨].

قالت: إنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ولا أؤامر فى ذلك أبواى.

قالت: فضحك النبى ﷺ[(١)].

٤- الموقف الرابع: ضحكة لسبقه عائشة:

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

خرجت مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره، وأنا جارية، لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: **«تقدموا»** فتقدموا.

ثم قال لى: **«تعالى حتى أسابقك»** فسابقته فسبقته.

فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت، ونسيت، خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: **«تقدموا»** فتقدموا.

ثم قال: **«تعالى حتى أسابقك»** فسابقته فسبقنى، فجعل يضحك وهو يقول: **«هذه بتلك»**[(٢)].

٥- الموقف الخامس: ضحكه لتعجب سهلة بنت سهيل:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت سهلة بنت سهيل فقالت:

يا رسول الله، إنى أرى فى وجه أبى حذيفة شيئًا من دخول سالم علىَّ.

فقال ﷺ: **«أرضعيه تحرمى عليه»**.

فقالت: كيف أرضعه؟ وهو رجل كبير، فضحك رسول الله ﷺ وقال: **«ألست أعلم أنه رجل كبير»**؟

ثم جاءت فقالت: ما رأيت فى وجه أبى حذيفة شيئًا أكره[(٣)].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده(٢٥٦٤٦) بإسناد صحيح ١٨/ ٥٠ وأصله فى البخارى ومسلم.

(٢) رواه أحمد فى مسنده.

(٣) وكان حذيفة قد تبنى سالم كما تبنى رسول الله زيدًا فى الجاهلية، والحديث فى مسند أحمد(٢٥٥٢٥) بإسناد صحيح ١٨/ ٢٢.

٦- الموقف السادس: تبسمه لكلام المرأة التى تريد الرجوع لمطلقها:

عن عروة عن عائشة رضي الله عنها:

أن رفاعة القرظى طلق امرأته فبتَّ طلاقها، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير فجاءت النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنها كانت عند رفاعة فطلقها آخر ثلاث تطليقات، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة -لهدبة أخذتها من جلبابها-.

قال: وأبو بكر جالس عنده وابن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة ليؤذن له، فطفق خالد ينادى أبا بكر: يا أبا بكر، ألا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ؟

وما يزيد رسول الله على التبسم، ثم قال: **«لعلك تريدين أن ترجعى إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك»**(١).

٧- الموقف السابع: تبسمه من غيرة عائشة:

فعنها رضي الله عنها قالت: رجع إلىَّ النبى ﷺ ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجدنى وأنا أجد صُداعًا، وأنا أقول: وا رأساه.

قال: **«بل أنا يا عائشة وا رأساه»** قال: **«وما ضرَّك لو مِتِّ قبلى لغسلتُك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك»**. فقالت: لكأنى بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فعرَّستَ فيه ببعض نسائك.

قالت: فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه.. ثم بدئ فى وجعه الذى مات فيه(٢).

٨- الموقف الثامن: ضحكه تعجبًا من فعل النسوة:

قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه:

استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته.

فلما استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر، ورسول الله يضحك.

---

(١) رواه أحمد فى مسنده(٢٥٧٦٨)، وإسناد صحيح١٨/ ٨٢، ٨٣.

(٢) رواه أحمد (٢٥٧٨٤) بإسناد صحيح ١٨/ ٨٧.

فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: **«عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»**.

قال عمر: فأنت أحق أن يهبنك يا رسول الله.

ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟

فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله.

فقال ﷺ: **«إيهـًا يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده، مالقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غيره»**(١).

وهذا الموقف يدل على أمرين: الأول: ضحكه ومداعبته لأصحابه.

والثاني: رحمته، وقد خاطبه ربه بقوله: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• مواقف أخرى من فكاهاته ﷺ •

١- كان لأنس بن مالك رضي الله عنه أخ يقال له: عمير، وكان له نغر - طائر يشبه العصفور- يلعب به، فمات، فدخل رسول الله يومًا وعمير جزين، فقال: **«ماشأنه؟»** قيل له: مات نغره، فقال: **«يا أبا عمير، مافعل النغير؟»**(٢).

٢- وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا كان يُهدى للنبى ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبى ﷺ: **«إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه»** وكان زاهرٌ دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلنى، من هذا؟

فأحس زهير أنه الرسول فجعل يمسح ظهره فى صدر الرسول رجاء بركته، وجعل النبى يمازحه ويقول: **«من يشترى العبد؟»** فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدنى كاسدًا، فقال النبى ﷺ: **«لكنك عند الله لست بكاسد»** أو قال: **«لكن عند الله أنت غال»**(٣).

---

(١) رواه البخارى (٣٦٨٣) وغيره.

(٢) رواه البخارى(٦١٢٩)، ومسلم(٢١٥٠)، وابن ماجه (٣٧٢٠)، وصحيح أبى داود (٩٦٩)، ورواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (١٢٥٨٥)، بإسناد صحيح ١٠/٥٢٢، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٩٦٨)، والألبانى فى صحيح الجامع برقم٢٠٨٧.

٣- كـان يمازح أنس بن مالك رضي الله عنه ويقـول له: «**ياذا الأذنين**» أى يا صاحب الأذنين السميعتين الواعيتين لما سمعتا، وفى هذا مدح لذكائه وفطنته(١).

٤- قال صهيب الرومى رضي الله عنه:

قدمت عـلى رسول الله ﷺ وهو بقـباء ومـعه أبو بـكر وعمـر، وبين أيديهم رطب، وقد أصابنى رمدٌ فى عينى وأنا فى الطريق، وأصابتنى مجاعة شديدة، فوقعت فى الرطب، فقال عمر: يا رسول الله، ألا ترى صهيبًا يأكل الرطب وهو أرمد؟

فقال رسول الله ﷺ: «**يا صهيب، أتأكل الرطب وأنت أرمد؟**».

فقـلت: يا رسول الله، إنما آكل بشق عـينى الصحـيحـة، فتـبسـم رسول الله ﷺ(٢).

٤- ذكروا أن أبا بكر خرج تاجراً إلى بُصرى ومعـه الصحابى الفكاهى «نعيمان ابن عمرو الأنصارى» وآخر اسمه «سويبط بن حرمله» -وكلاهما بدرى- وكان سويبط على زاد أبى بكر الصديق رضي الله عنه، فجاءه نعيمان وقال له: اطعمنى.

فقال: لا حتى يأتى أبو بكر، فقال لسويبط: لأغيظنك.

فمروا بقوم، فقال لهم نعيمان: تشتروا منى عبداً لى؟

قالوا: نعم. قال: إنه عـبد له كلام، وسيقـول لكم لست بعبد، وإنما أنا رجل حر، فإذا ستصدقونه، فلا تشتروه، ولا تفسدوا علىَّ عبدى.

قالوا: بل نشتريه، ولا ننظـر فى قوله، فاشتروه منه بعشر قـلائص، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم هو هذا فخذوه.

فجاء القوم، وقالوا له: قد اشتريناك، فقال: هو كاذب، أنا رجل حر.

فقالوا له: قد أخبرنا بخبرك، فطرحوا الحبل، فى عنقه وذهبوا به.

فلما جاء أبو بكر أخبره نعيمان، فذهب هو وأصحابه إلى القوم، وأخبروهم أن نعيمان كان يمزح، وردوا عليهم قلائصهم، واستردوا سويبطًا منهم.

ثم قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه الخبر، فضحك حولاً كاملاً، لأن سفر أبى بكر الصديق كان قبل وفاته بعام.

---

(١) صحيح سنن أبى داود للألبانى (٥٠٠٢)، وأحمد فى مسنده(١١٨٧٦).

(٢) قال العراقى فى تخريج الإحياء، رواه ابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات ٢/ ١٦٣.

• سويداء كانت تضحك النبى ﷺ •

كانت سـويداء تضحك السـيدة عائشـة ﵂ فيضـحك رسول الله ﷺ ثم إنه افتقدها، فقال: «**يا عائشة، ما فعلت السويداء؟**».

قالت: إنها مريضة.

فذهب إليها يعـودها، فوجدها فى الموت، فقال لأهلها، إذا توفـيت فأخبرونى فلما توفت أخبروه، فشهدها، وصلى عليها.

ثم قال: «اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكنى فأضحكها فرحًا».

الباب رقم (٢٧)

مواقف إيمانية في الوفاء

▪ رسولنا محمد سيد الأوفياء ▪

أختى المسلمة . .

وهذا الموقف الإيمانى يذكره لنا الإمام الذهبى في تاريخ الإسلام وابن هشام فى السيرة . . «أغارت خيل رسول الله ﷺ وأصحابه على هوازن، فلما ظفروا بهم كان ضمن الأسرى الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة فعنفوا عليها فى السياق، فقالت :

«تعلموا والله، أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة»، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ.

فقالت : يا رسول الله، إنى أختك من الرضاعة، قال : **«وما علامة ذلك؟»**. قالت : عضة عضضتنيها فى ظهرى . . فعرف رسول الله ﷺ العلامة . . فماذا حدث؟

قام النبى ﷺ وبسط لها رداءه، فأجلسها عليه، وخيرها، وقال : **«إن أحببت فعندى محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك فعلت»** فقالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى . . فمتعها رسول الله ﷺ وردها إلى قومها(١).

يا له من موقف عظيم يتجلى فيه وفاء النبى الأعظم ﷺ، فقد كان ﷺ كما وصفه علىٌّ بن أبى طالب رضي الله عنه : أوفى الناس ذمة.

فقد كان وفيًّا لنعم الله تعالى، وكان وفيًّا بالعهد، وكان وفيًّا للوالدين، وكان وفيًّا لأزواجه، وكان وفيًّا لقرابته ولأصحابه، فكان بنى الوفاء ﷺ.

● وفاؤه لنعم الله عز وجل ●

أختى المسلمة . .

والوفاء لنعم الله عز وجل معناه : تقدير النعمة حق قدرها، والقيام بشكرها فقد أجهد النبى ﷺ نفسه فى القيام بشكر نعمة الله تعالى.

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه، فقلت له : يا رسول الله، لمَ تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال : **«أفلا أكون عبداً شكورا»**(٢).

---

(١) أسد الغابة لابن الأثيره ٥/ ٣٢٥، والسيرة النبوية لابن هشام، وابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٨٧٠.

(٢) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

أختى المسلمة..

فكونى وفيـة لنعم الله تعالى وذلك بدوام شكرها، ومـعرفـة أن الله تعالى هو الذى أنعم عليك هذه النعم التـى لا تحصى ولا تعـد.. وأعظم نعمـة نعمـة الإسلام فالحمد لله على نعـمة الإسلام وكفى بها نعمة.. احمـديه على أن خلقك مسلمة من أبوين مسلمين.

ومن المواقف الدالة على شئوم الغـدر، وعقوق النعمة ما رواه البـخارى وغيره من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن ثلاثة نفـر من بنى اسـرائيل: أبرص، وأقـرع، وأعـمى، أراد الله أن يبـتليـهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عنى الذى قـذرنى الناس، فمسـحه فـذهب عنه قـذره، وأعطاه لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا، فـقـال أى المال أحب إليك؟ قال: الإبـل، فأعطاه ناقـة عشـراء، وقال: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأقـرع، فقـال: أى شيء أحب إليك؟ قال: شـعر حسـن، ويذهب عنى هذا الذى قد قذرنى الناس! فمسحه فذهب عنه، وأعطى شعرًا حسنًا.

قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطى بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأعمى، فقال: أى شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد علىَّ بصرى، فمسحه فردَّ الله عليه بصره. قال: فـأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطى شاة ولودًا، وقال: بارك الله لك فيها.

فأنتج هذان، وولد لـهذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهـذا وادٍ من البقـر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص فى صـورته وهيئـته، فقـال: رجل مسكين، قـد انقطعت بى الحـبـال فى سـفرى، فـلا بلاغ لى اليـوم إلا بالله ثم بـك، أسألك بـالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن بعيرًا أتبلغه به فى سفرى.

فقال: الحقـوق كثيرة، فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقـذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله؟

قال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر. قال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت عليه.

وأتى الأقرع فى صورته، فقال له مثل ذلك.. ورد عليه مثل ما رد الأول، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته، فـقال له مثل ما قال، فقال الأعـمى: لقد كنت أعمى فردّ الله علىَّ بصرى، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم لشىء أخذته لله، فـقـال: أمـسك عليك مـالك، فـإنما ابتليـتم، فـقـد رضى الله عنك، وسـخط على صاحبيك»(١).

وهكذا أختى المسلمة جزاء من وفى للنعمة، وعقاب من لم يوف.

• الوفاء بالعهد •

أختى المسلمة..

وكذلك كان رسول الله ﷺ وفيًّا بالعهود والمواثيق.. ومن مواقف وفائه بالعهد ما ذكره ابن هشام فى السيرة.

بينما رسول الله ﷺ يكتب معاهدة الحديبية مع قريش جاءه أبو جندل بن سهيل ابن عمرو يـرسف فى قيوده ويعلن إسلامـه، فردّه رسول الله ﷺ إلى قريش، وفاء بالعهد الذى لم يتم توقيعه.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، كيف أُردُّ إلى قريش وقد جئتُ مسلمًا؟!

ألا ترون ما لقـيت؟ وكان قد عُذِّب عـذابًا شديدًا، فاشتـد الأمر على المسلمين وقـالوا: كيف نرد إلى المشـركين من جـاء مسلمًـا، وهم لا يردون إلينا من جـاءهم مرتدًا؟!

فقال النبى ﷺ: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له مخرجًا»(٢) والسيرة النبوية مليئة بمثل هذا الوفاء للعهد منه ﷺ.

إذا قلـت فى شىء نـعم فـــأتمه ... فـإن نعم دين عـلى الحـر واجب
وإلا فقل: «لا» تسترح وترح بها ... لئـــلا يقـول الناس إنـك كـاذب

---

(١) رواه البخارى.

(٢) ابن الأثير فى أسد الغابة٤/ ٤٠٥ وابن هشام فى السيرة النبوية.

• الوفاء للوالدين •

فقد عـرف النبى الأمى اليتيم ما يـجب إن يكون للوالدين من بر وتكريم وإيثار وفاءً بحقهما. لهذا لما جـاءت إليه أسماء بنت إبى بكر رضي الله عنهما إليه تقول: قدمت عليَّ أمي وهى مشركة، حيـنما عاهد رسول الله قريشًا فى عهد الحديبـية وكان أبو بكر قد طلقها فى الجاهلية ومعها هدية لى، فبعثت إلى رسول الله ﷺ لأستفتيه، فقلت له: إنَّ أمي قدمت عليَّ وهى راغبة، أفأصل أمى؟ فقال لها ﷺ: **«نعم، صلى أمك»**[(١)].

وهذا وفاء بحق الأم.

وجاء ﷺ رجل يستـأذنه فى الجهاد فى سـبيل الله، فسـأله رسول الله: **«أحيٌّ والداك؟»** قال: نعم.

قال: **«فارجع فاستأذنهما، فإن أذنا لك، فجاهد، وإلا فبرهما»**[(٢)].

وهذا يدل على الوفاء للوالدين بحقهما.

• الوفاء للزوجة •

لقد عاش ﷺ طول عمره وفيًا لذكرى زوجته السيـدة خديجة رضي الله عنها ولم يلهه عن هذا الوفاء زوجاته الأخريات.

فعن أنس قال: كان النبى ﷺ إذا أتى بهدية قال: **«اذهبوا إلى بيت فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة»**[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قـالت: **«ما غرت على امرأة ما غـرت على خديجة لما كنت أسمع رسول الله يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها»**.

واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها[(٤)].

ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسـن السؤال عنها، فلما خرجت قال: **«إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين»**[(٥)].

---

(١) رواه البخارى وأحمد فى مسنده(٢٦٧٩٤).

(٢) رواه البخارى ورواه أحمد فى مسنده(٦٧٦٥).

(٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد(٢٣٢)، وابن حبان فى صحيحه (٧٠٠٧) والحاكم فى المستدرك.

(٤) رواه مسلم(٣٤٣٧).

(٥) الشفاء(١/ ١١٨) وذكره الهندى فى كنز العمال(٣٤٣٤٤).

• الوفاء لقرابة الرضاعة •

فقد كان ﷺ يعطف على مرضعته حليمة السعدية. . عن عمار بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره أن النبى ﷺ كان بالجعرانـة يقسم لحمًا، وأنا يومئذ غـلام أحمل عضو البعير، فأقبلت امرأة بدوية، فلما دنت من النبى ﷺ بسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التى أرضعته(١).

وقدمت عليه يومًا بعد زواجه من السيدة خـديجة رضي الله عنها فاستعانت به على أعباء الدهر، فكلم السيدة خديجة، فمنحتها بعيراً وأربعين شاة.

أختى المسلمة. .

أى وفاء بعد هذا الوفـاء. .؟ وقد كانت له ﷺ مرضعـة أخرى، وهى «ثويبة» جارية عمه أبو لهـب، فقد ذكرها ابن حجر فى الإصابة، وابن الأثـير فى أسد الغابة وذكروا أن بعض أهل السير قالوا بإسلامها. .

لقد طلب النبى ﷺ من السيـدة خديجـة أن تشتريهـا من أبى لهب لتعـتقـها فرفض، فجـعل يواليها بمعروفـه مدة إقامته بمكة، ولما هاجـر إلى المدينة لم يغفل عن صلتهـا وكسوتها، فلـما فتح مكة سأل عنهـا وعن ابنها «سروح» الذى رضع مـعه، فأخبر أنهما ماتا، فسأل عن أقاربهما فلم يجد أحداً(٢).

• وفاء لا مثيل له •

أختى المسلمة. .

كانت «أم أيمن» حاضنة لرسول الله ﷺ، فقد ظل طيلة حياتـه يذكر صنيعها ويودها، وقـد رغب فى زواجـها بقـوله: **«من سـره أن يتـزوج امـرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن»**(٣). فتزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان النبى ﷺ يزورها ويقول: **«أم أيمن أمى بعد أمى»**(٤).

وكان أبو بكر وعـمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن بعـد وفاة النبى ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قـال أبو بكر لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كمـا كان رسول الله يزورها.

---

(١) أسد الغابة (٥/ ٢٥٢) وأبو يعكى الموصلى فى مسنده٢/ ٩٠٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام.

(٣) رواه ابن سعد فى الطبقات.

(٤) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٥/ ٤٢٤، وابن حجر فى الإصابة ٨/ ١٦٩.

فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله، ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء! فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها(١).

• زينب بنت الرسول تفدى أبا العاص وفاء للزوجية •

أختى المسلمة..

لما انتصر المسلمون فى غزوة بدر الكبرى، فقتلوا بعض المشركين وأبطالهم، وأسروا بعضًا منهم، كان من بين هؤلاء الأسرى «أبو العاص بن الربيع»، وقد كان زوجًا لزينب بنت رسول الله ﷺ، وقد فرَّق كفره بينه وبين زوجه ولكن رسول الله ﷺ لم يفرق بينهما فى مكة.

والذى أسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصارى، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم، قدم فى فداء أبى العاص أخوه عمرو بن الربيع، وبعثت معه زينب بنت رسول الله ﷺ وهى يومئذ بقلادة لها، كانت لخديجة بنت خويلد أمها وكانت القلادة من جزع ظفار، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها، وذكر خديجة، وترحم عليها، وقال:

«**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذى لها، فافعلوا**» فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، وردوا على زينب قلادتها، وأخذ النبى ﷺ العهد على أبى العاص أن يخلى سبيلها إليه، فوعده ذلك ففعل(٢).

أختاه..

هذا هو الوفاء فى أجمل صوره، وأعظم معانيه.. فهى بنت سيد الأوفياء، وأعظم النبلاء ﷺ.. فتعلمى الوفاء من زينب، وتعلمى الوفاء من أستاذ البشرية ﷺ.

---

(١) أسد الغابة ٥/ ٤٢٤، وأبو النعيم فى حلية الأولياء ٢/ ٦٨، ورواه مسلم (٢٤٥٤)، وأحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه (١٦٣٥).

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الجهاد، ورواه أحمد فى مسنده، والبيهقى فى السنن بإسناد حسن، ورواه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٤٥، وصححه ووافقه الذهبى.

الباب رقم (٢٨)

مواقف إيمانية في خلق الحياء

«خمس من علامات الشقاء: القسوة فى القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل».

الفضيل بن عياض

«الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفة».

وهب بن منبه

«ذكر الحياء عند عمر بن عبد العزيز، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر بن عبد العزيز: بل هو الدين كله».

إياس بن قرة

• الحياء شعبة من الإيمان •

أختى المسلمة. . .

وهذا الموقف الإيمانى المبارك يرويه لنا الإمام البخارى ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

جاءت أم سليم إلى النبى ﷺ، فقالت: يا رسـول الله، إن الله لا يستحى من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟

قال النبى ﷺ: «**إذا رأت الماء**».

فغطت أم سلمة -أى وجهها- وقالت: يا رسول الله، وتحتلم المرأة؟

قال ﷺ: «**نعم، تربت يمينك فبم يشبهها ولدها؟!**»(١).

هذا الموقف الذى دار بين رسولنا محمد ﷺ وبين أم سليم -وهى أم أنس بن مالك رضي الله عنها- موقف عظيم، فيه دروس وعبر يقول الإمام النووى: فيه أنه ينبغى لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها، ولا يمتنع من السؤال حياء من ذكرها، فإن ذلك ليس بحياء حقيقى، لأن الحياء خير كله. . والحياء لا يأتى إلا بخير، والإمساك عن السؤال فى هذه الحال.ليس بخير، بل هو شر، فكيف يكون حياء؟!

فما هو الحياء؟ وما أنواعه؟ وما مكانته فى الإسلام؟

• تعريف الحياء •

الحياء لغة: هو مصدر قولهم: حَيِيَ وهو مأخوذ من مادة (ح ى ى) التى تدل على الاستحياء الذى هو ضد الوقاحة. . .يُقال: حييت منه أحيا إذا استحييت.

وقد روى عن النبى ﷺ قوله: «**الحياء شعبة من الإيمان**» قال بعضهم: كيف جعل الحياء وهو غريزة شعبة من الإيمان وهو اكتساب؟ والجواب فى ذلك: أن المستحى ينقطع بالحياء عن المعاصى، فصار كالإيمان الذى يقطع عنها، ويحول بين المؤمن وبينها (٢).

وقال ابن الأثير: إنما جعله بعض الإيمان، لأن الإيمان ينقسم إلى: ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان (٣).

---

(١) رواه البخارى (١٣٠) ومسلم(٣١٤).

(٢) لسان العرب ١٤/ ٢١٧ بتصرف.

(٣) النهاية لابن الأثير ١/ ٤٧٠، ٤٧١.

أما قوله ﷺ: **«إذا لم تستح فاصنع ما شئت»** فله تأويلان:

أحداهما: ظاهر وهو المشهور: أى إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار مما تفعله فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها حسنًا كان أو قبيحًا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذى يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء..

والثانى: أن يحمل الأمر على بـابه، ويكون المعنى: إذا كنت فى فعلك آمنا أن تستحِي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التى يستحيا منها فاصنع ما شئت[١].

والحياء اصطلاحًا:

هو تغيُّرٌ وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به[٢].

وقال الجرجانى: هو انقباض النفس من شىء وتركه حذرًا من اللوم فيه[٣].

وقال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار، وهو غض الطرف والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهو عادة محمودة مالم تكن عن عيٍّ ولا عجز[٤].

وذكر ابن مسكويه: أن الحياء من الفضائل التى تدخل تحت العفة، بل هو أولها ثم عرفه بقوله: الحياء هو انحصار النفس خوف اتيان القبائح والحذر من الذم والسب[٥].

وقال ابن مفلح: وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن، وترك القبيح[٦].

وقال ابن علان: خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق يمتنع صاحبه من التقصير فى حق ذى حق[٧].

---

(١) النهاية لابن الأثير ١/ ٤٧٠، ٤٧١.

(٢) فتح البارى ١/ ٥٢.

(٣) التعريفات للجرجانى ص٩٤.

(٤) تهذيب الأخلاق للجاحظ ص٢٣.

(٥) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص١٧ باختصار.

(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٨٥ ط/ دار الجيل.

(٧) دليل الفالحين ٣/ ١٤٩ ط/ دار ريان.

•أنواع الحياء•

أختى المسلمة. . .

لقد قسم بعض العلماء الحياء إلى قسمين: غريزى، ومكتسب. . .

والحيـاء المكتسب هو الذى جعـله الشارع مـن الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزى، وقد ينطبع الشخص بالمكتسب حتى يصير كالغريزى.

وقد كان رسول الله ﷺ قد جمع له النوعان، فكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان فى المكتسب فى الذروة العليا.

وقال المناوى -رحمه الله-:

الحياء نوعان:

١- نفسانى: وهو المخلوق فى النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس.

٢- وإيمانى: وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرم خوفًا من الله تعالى.

وقسم الإمام ابن القيم رحمه الله الحياء فقال:

قُسِّم الحياء إلى عشرة أوجه:

حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استحقـار النفس (استصغارها)، وحياء مـحبة، وحياء عبودية، وحـياء شرف وعزة، وحياء المستحى من نفسه.

١- فأما حياء الجناية: فمنه حياء آدم عليه السلام لما فرَّ هاربًا فى الجنة، قال الله تعالى: «**أفرارًا منى يا آدم؟ قال: لا يارب، بل حياء منك.**»(١).

٢- وحياء التـقصير: كحيـاء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهـار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة، قالوا: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك.

٣- وحياء الإجلال: وهو حياء المعرفـة، وعلى حسب معرفة العبد بربه، يكون حياؤه منه.

٤- وحياء الكرم: كحياء النبى ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطوَّلوا عنده، فقام واستحيى أن يقول لهم: انصرفوا (٢).

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٥١ لابن القيم الجوزية.

(٢) رواه البخارى فى تفسير سورة الأحزاب، ورواه مسلم فى النكاح (١٤٢٨).

٥- وحياء الحشمة: كحياء عليٍّ بن أبى طالب ﷺ أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذى، لمكان ابنته عنده[١].

٦- وحياء الاستحقار، واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه، احتقاراً لشأن نفسه، واستصغاراً لها، وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياه.

الثاني: استعظام مسئوله (وهو المولى عز وجل).

٧- وأما حياء المحبة: فهو حياء المحب من محبوبه حتى إنه إذا خطر على قلبه فى غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحس به فى وجهه، ولا يدرى ما سببه. . . .

٨- وأما حياء العبودية: فهو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وإن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

٩- وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعها بالدون، فيجد نفسه مستحياً من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحى بأحدهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيى من نفسه، فهو بأن يستحيى من غيره أجدر.

١٠- وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء أوإحسان، فإنه يستحى مع بذله حياء شرف وعزة[٢].

• الحياء لا يمنع العلم •

أختى المسلمة. . .

والحياء لا يمنع المرأة من أن تتعلم أمور دينها، فقد سألت أم سليم رسول الله ﷺ هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ ولم يمنعها حياؤها من السؤال عن أمور دينها، ولا من التفقه فى ما تحتاج إليه من أمور الدين.

وكذلك كان نساء الأنصار ﷺ.

فعن عائشة ﷺ قالت: إنَّ امرأة من الأنصار قالت للنبى ﷺ كيف أغتسل من المحيض؟ فذكرت عائشة ﷺ أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها.

---

(١) هو حديث على ﷺ (كنت رجلاً مذاء فاستحييت. . .) رواه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ والترمذى وأحمد وابن ماجه.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٥٠، ٢٥١ دار الكتاب العربى.

قالت : كيف أتطهـر بها؟ قال: «**تطهرى بها، سـبحان الله!**» ثم إن النبى ﷺ استحيا فأعرض بوجهه.

قالت عائشة: فاجتذبتها وقلت لها: تتبعى بها أثر الدم.

فقالت السيدة عائشة: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين(١).

ومن هنا ينبغى أن تعلم الأخت المسلمة أن تعلم أمور الدين، والفقه فيه لا يمنعه الحياء، لأنه خير، والحياء كله خير.

وفيه ما كان عليه الرسول ﷺ من خلق الحياء. . فهـو نبى الأخلاق وقد دعى إلى مكارم الأخلاق.

• الحياء لا يمنع من الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر •

وكذلك أختـى المسلمة. . ينبغى أن تعلمى أن الحـياء الحقيـقى لايمنع من الأمر بالمعروف أوالنهى عن المنكر. . . .

قال الجيلانى:

فإن قيل: إنَّ صاحب الحياء قد يستـحى أن يُواجه بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف فى العادة.

فأقول: إنَّ ذلك ليس بحيـاء حقيقة، بل هو عجز وخـور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياء تشبيهًا ومجازًا (٢).

وإنما يكون الحياء حقيقيًا حيث يكون قبح المستحيا منه حقيقيًا، فلا يدخل فيه الانقباض عما هو فى الأصل قبيح، ولكن الانقباض عنه يؤدى إلى ما هو أقبح منه.

مثال ذلك:

مـا يقع من بعض خَـرِعـات النسـاء، يعـرض لهـا فـاجـر فى خلوة يحـاول استكراهها، فتنقبض نفسها عن أن تستـغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أنَّ فاجرًا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أنَّ شيـوع ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه. . . وعلى ذلك فقوله ﷺ: «**الحياء لا يأتى إلا بخير**» هو الحياء الحقيقى.

---

(١) رواه البخارى (٧٣٥٧) ومسلم (٣٣٢).

(٢) فضل الله الصمد ٢/ ٥٤، ٦٩١، ٦٩٢ نقلاً من كتاب نضرة النعيم ٥/ ١٨٠٠.

وقد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء فى خدرها وهولنا فى ذلك قدوة لا يقوم دون غضبه شىء إذا انتهكت حرمات الله(١).

• الحياء أصل لكل خير •

أختى المسلمة..

إن الحياء أصل لكل خير... يقول ابن الجوزى -رحمه الله-:

وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شىء، ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يوف بالوعد، ولم تؤد الأمانة، ولم تقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس.. لولا الحياء الذى فيه لم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا برّ له والدًا، فإن الباعث على هذه الأفعال إما دينى: وهو رجاء عاقبتها الحميدة.

وإما دنيوى علوى: وهو حياء فاعلها من الخلق.

فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أومن الخلائق لم يفعلها صاحبها..

ثم قال رحمه الله-:

إنّ للإنسان زاجرين وآمرين.. آمر وزاجر من جهة الحياء.. فإن أطاعه امتنع من فعل كل ما يشتهى، وله آمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره، أطاع آمر الهوى والشهوة ولابُدَّ.

• المعاصى تذهب الحياء •

قال ابن القيم -رحمه الله-:

من عقوبات المعاصى ذهاب الحياء الذى هو مادة حياة القلب، وأصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، فقد جاء فى الحديث الصحيح **«الحياة خير كله»**(٢) والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله، ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يُخبر عن حاله وقبح ما يفعل، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق فى صلاحه مطمع.

---

(١) فضل الله الصمد ٢/ ٥٤، ٦٩١، ٦٩٢ نقلاً من كتاب نضرة النعيم ٥/ ١٨٠٠.

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عمران بن حصين.

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيًا وقال: فديت من لا يفلح، ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا، شقى في الآخرة.

وبين الذنوب وقلة الحياء، وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعى الآخر ويطلبه حثيثًا، ومن استحيا من الله عند معصيته، استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من معصيته لم يستح الله من عقوبته(١).

• الرسول ﷺ يحث الأمة على الحياء •

الأخت المسلمة...

إن رسول الإسلام ﷺ يوصى أمته بهذا الخلق الكريم رجالاً ونساء، شبابًا وشيوخًا فيقول:

«**استحيوا من الله حق الحياء**» قال عبد الله به مسعود -وهو راوى الحديث- يا رسول الله، إنا نستحى والحمد لله، قال ﷺ: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة، ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**» (٢).

وجاءه رجل يقول له: أوصنى، فقال له موصيًا: «**أوصيك أن تستحى من الله عز وجل كما تستحى رجلاً من صالحى قومك**» (٣).

وقد بين أن هذا الخلق الكريم من أخلاق المرسلين، فقال في الحديث الذى رواه عنه أبو أيوب الأنصارى: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح**»(٤).

وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ موسى كان حييًا ستيرًا، لا يَرى من جلده شيء، استحيا من الله فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أُدرة**»(٥).

وجعل الحياء شعبة من شعب الإيمان، فقال: «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من شعب الإيمان**»(٦).

---

(١) الداء والدواء لابن القيم الجوزية ص٩٢، ٩٣ ط/ دار الخلفاء.

(٢) رواه الترمذى (٢٤٥٨) وقال: غريب، ورواه أحمد في مسنده (٣٦٧١)، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع برقم ٩٤٨، ورواه الحاكم وصححه ٤/ ٣٢٣ وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبى.

(٣) رواه أحمد في الزهد ص٤٦، والبيهقى في الشعب، وحسنه الألبانى في السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٧٦.

(٤) رواه الترمذى (١٠٨٠) وفي سنده أبو الشمال بن ضباب والحديث حسن بشواهده.

(٥) رواه البخارى (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩)، والأدارة: أى انتفاخ في الخصية.

(٦) رواه البخارى ومسلم.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال ﷺ: **«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»**.

فقال: الرجل يكون مع الرجل، قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل».

قلت: والرجل يكون خاليًا، قال: **«فالله أحق أن يستحيا منه»**(١).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما كان الفحش فى شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شيء قط إلا زانه»**(٢).

■ السلف الصالح يحثون على الحياء ■

أختى المسلمة..

وسلفنا الصالح ﷺ قد حثوا أمة الإسلام على الحياء..

يقول أبو بكر ﷺ وهو يخطب الناس يومًا:

«يا معشر المسلمين: استحيوا من الله، فو الذى نفسى بيده، إنى لأظل حين أذهب الغائط فى الفضاء متقنعًا بثوبى استحياء من ربى عز وجل»(٣).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «من قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه».

وقال ابن مسعود ﷺ: «من لا يستحى من الناس لا يستحى من الله»(٤).

وقال وهب بن منبه: «الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله العفة»(٥).

وقال إياس بن قرة: كنت عند بن عمر بن عبد العزيز، فذُكر الحياء عنده، فقالوا: الحياء من الدين.. فقال عمر: بل هو الدين كله(٦).

وقال الحسن البصرى -رحمه الله-: «الحياء والتكرُم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا فى عبد إلا رفعه الله بهما».

---

(١) رواه الترمذى(٢٧٦٩) وقال: حديث حسن، وابن ماجه (١٩٢٠)، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٤٠١٦)، وحسنه فى الإرواء برقم (١٨١٠) ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى ٤/ ١٧٩.

(٢) رواه الترمذى وحسنه(١٩٧٤)، وابن ماجه (٤١٨٥) ورواه البخارى فى الأدب المفرد بإسناد حسن.

(٣)-(٦) مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا (١٩، ٢٠).

وقيل:

إذا لم تخش عـاقبـة الليـالى ولم تستـحى فـاصنع مـا تشـاء
فـلا والله مـا فى العيش خـير ولا الدنيـا إذا ذهب الحـيـاء
يعـيش المرء مـا استـحيا بـخير ويبـقى العود مـا بقى اللحـاء[١]

وقد ورد: «يا ابن آدم، إنك ما استحـييت منى أنسيت الناس ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلائك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة»[٢].

وفى أثر آخـر يقول الرب عـز وجل: «ما أنـصفنى عـبدى، يدعـونى عبـدى فأستحى أن أرده، ويعصينى ولا يستحى منى»[٣].

• حياء ابنة شعيب عليه السلام •

أختى المسلمة..

والحياء حـسن، ولكنه من المرأة أحسن، وقد وصف القرآن الكـريم ابنة شعيب عليه السلام بأعظم صفاتها، وهى صفة الحياء.

قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

قال القرطبى: إن موسى عليه السلام لما جاءته الرسالة قـام يتبعهـا، وكان بين موسى وأبيها ثلاثة أميال فهبت ريح ضمت قميصـها، فوصفت عجيزتها، فتحرج موسى من النظر إليها، فقال: ارجعى وأرشدينى إلى الطريق بصوتك[٤].

• حياء صفية بنت عبد المطلب •

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قـال: لما كان يوم أحد، أقبلت امـرأة تسعى حتى إذا كادت أن تشـرف على القتلى، قال: فكره رسول الله أن تراهم، فـقال: «المرأة المرأة» قال الزبير فتـوسمت أنها أمى صفية، قـال: فخرجت، أسعى إليها فأدركـتها قبل أن تنتهى إلى القتلى. قال: فلدمتنى فى صدرى -أى ضربتنى- وكانت امرأة جلدة -أى قـوية- وقـالت: إليك عـنى.. لا أرض لك. قـال: فـقلت: إن رسـول الله عـزم عليك. قال: فـوقفت وأخرجت ثوبين معـها، فقـالت: هذان ثوبان جئت بهم لأخى

(١) بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز (١٥٥).

(٢)، (٣) مدارج السالكين ٢/ ٢٤٩.

(٤) تفسير القرطبى ٧/ ٥١٥٧ دار الغد.

حمزة، فقد بلغني مقتله فكفنوه فيها. قال: فجئت بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل قد فعل به ما فعل بحمزة.. فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب[1].

والشاهد: قوله: (فكره رسول الله أن تراهم). ولما فهمت ذلك توقفت حياء من أن ترى عورة أحدهم.

• حياء وشهامة امرأة عربية •

أختي المسلمة..

هذا موقف رائع فيه حياء وشهامة من امرأة.. وقد فقدنا الحياء والشهامة في عصرنا هذا، من أجل الحضارة المزعومة.. فتأملي هذا الموقف الكريم:

يروى أن رجلاً من أجواد العرب وأكرامهم خرج في طريقه إلى مدينة مجاورة فاشتد به العطش، فشاهد بيتًا صغيرًا عند أطراف المدينة، فذهب إليه ودق الباب بلطف، فجاء صوت سيدة من خلف الباب تسأل: من الطارق؟

فقال: عابر سبيل.

قالت السيدة من خلف الباب دون أن تفتح: ماذا تريد يا هذا؟

قال الرجل: لقد عطشت وأريد شربة ماء.

قالت: مرحبًا بالضيف، والله لولا أني امرأة وحيدة، وليس لي ولد، وزوجي مات منذ فترة، لدعوتك للدخول، ولكن انتظر لأحضر لك الماء، ولما أحضرت الماء، قالت للرجل من خلف الباب: هل معك غلام؟

قال: نعم.

قالت: اذهب إلى بعيد وأرسل غلامك ليأخذ قدح الماء، فإني أخشى أن يراني البعض وأنا أفتح الباب لرجل غريب فيظنوا بي الظنون.. فأرسل غلامه وفتحت السيدة جانبًا من الباب، ومدت يدها بقدح من الماء للغلام، وأغلقت الباب فشكرها الرجل من خلف الباب، وقال لغلامه: أعطها مائة دينار.

فقالت السيدة: يا هذا. اذهب لحال سبيلك.

فقال للغلام: أعطها مائتي دينار.

فقالت: أتسخر بي بعد أن علمت أنني امرأة وحيدة وليس معي سند؟ اعلم أن الله يرعاني، وإن كنت تظن أنك تسخر بي، فإني قادرة على أن أخرج

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤١٨)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

لك بسيفى، فإن العربية لا تقبل الإهانة، ولن تقبل أن يسخر بها أحد، انصرف لحالك، واعلم أن عباد الله، ليسوا مجالاً لسخريتك، أتدفع مائتى دينار مقابل قدح ماء؟

فقال الرجل لغلامه: أعطها ألف دينار.

وهنا سمع الرجل صوتًا كصوت سيف يُستل من غمده، والباب يهم أن يفتح، فأسرع بالانصراف، وخرجت السيدة فى شهامة وحجابها على وجهها، وسيفها فى يدها، فوجدت كيسًا به ألف دينار، وورقة عليها هذه الكلمات:

« لم ندفع هذا المال من أجل قدح الماء، ولكننا دفعناه مقابل درس تعلمناه فى الأدب والمروءة والشهامة وعلو الهمة»(١).

أختى المسلمة..

ما أعظم هذا الخلق! وما أنبل هذه المرأة التى اتصفت بالشهامة والشجاعة والحياء.

• الحياء منعها من ارتكاب الفاحشة •

يروى الشعبى -رحمه الله- أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ فى بعض طرق المدينة فسمع صوت امرأة تقول:

دعتنى النفس بعد خروج عمرو ... إلى اللذات فاطلع التلاعا

فقلت لها: عجلت فلن تطاعى ... ولو طالت إقامته رباعا

أحاذر إن أطعتك سبَّ نفسى ... وفخزاه تُجلِّلنى قناعا(٢)

فقال عمر -وأُتى بالمرأة- وقيل لها: أى شىء منعك؟

قالت: الحياء وإكرام عرضى.

فقال عمر: إنَّ الحياء ليدل على هنات ذات ألوان، من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وقى، وكتب إلى صاحب زوجها فأقفله إليها (٣) -أى أرجعه-.

---

(١) موسوعة المرأة المسلمة ٤/٦٣، ٦٤ صلاح عبد الغنى محمد مكتبة الدار العربية.

(٢) التلاع: جمع تَلعة وهى ما سفل من الوادى أو ما علا منه.

(٣) مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا (٩٤)، وموسوعة نضرة النعيم ٥/١٨١٣.

أختى المسلمة..

ألم يقل الرسول ﷺ كما ذكرنا «**الحياء خير كله**» أليس الحياء أصل كل خير؟ فتمسكى أختى المسلمة بالأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة تفوزى بالخير فى الدنيا والآخرة.

الباب رقم (٢٩)

موقف خولة بنت ثعلبة

مع

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى أن رجلاً من الرهـبان رأى فى المنام قائـلاً يقول له: فلان الإسكافى خير منك، فنزل الراهب من صومعته، فجاء إليه، فسأله عن عمله فلم يذكر كثير عمل..

فقيل له: عُد إليه، وقل له:ممّ صفرة وجهك؟

فعاد فسأله، فقال: مـا رأيت مسلمًا إلا وظننته خيراً منى، فقيل له: فبذاك ارتفعت منزلتك.

صيد الخاطر لابن الجوزى

• موقف خولة بنت ثعلبة مع أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) •

أختى المسلمة..

هيا بنا لنتابع سويًّا موقفًا آخر من المواقف الإيمانية، هيا بنا لنقتطف زهرة من بستان السيرة العطرة، نتعلم منها دروسًا وعبر.. وهذا الموقف الإيمانى المبارك لامرأة أنزل الله فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة.. أتدرين من هى؟

إنها خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت رضي الله عنه ويروى لنا هذا الموقف كثير من العلماء كابن الأثير والقرطبى وغيرهما..

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المسجد، فإذا بامرأة على ظهر الطريق، فسلم عليها، فردت عليه السلام، ثم قالت:

هيهات يا عمر.. عهدتك وأنت عميرًا فى سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت «أمير المؤمنين» فاتق الله فى الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت، خشى الفوت..

فقال رجل: ياأمير المؤمنين، حبست الناس على هذه العجوز؟ قال: ويلك أتدرى من هذه؟.

هذه امرأة سمع الله عزوجل كلامها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة.. والله، لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة، ثم أرجع[1].

نعم هى التى سمع الله شكواها من فوق سبع سموات حين جاءت إلى النبى ﷺ لتشكو إليه زوجها، لأنه ظاهر منها- أى قال لها: أنت علىَّ كظهر أمى -فلما أخبرته بأمرها، قال لها ﷺ: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه». فقالت: يارسول الله، قد عرفت ما يصيبه من اللمم وعجز مقدرته، وعى لسانه، فقال لها: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه».. فقالت: إنّ لى منه صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلىَّ جاعوا.. فقال ﷺ: «ما أراك إلا وقد حرمت عليه».. فجادلت مرارًا

(١) أسد الغابة ٥/ ٣٧٠، وأنيس الجليس ص ٢٣٠ للعلامة أبى الفضل سبط الإمام ابن الجوزى، وتفسير القرطبى وطبقات ابن سعد.

مع رسول الله.. ثم قالت في النهاية: «اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي، وما شاق عليَّ من فراقه.. اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه الفرج»(١).

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فلقد بكيت وبكى كل من كان معنا من أهل البيت.. ويشاء الله أن يفرج كربتها، وهي التي لجأت إليه.

تقول: ما برحت حتى نزل فيَّ قرآن..

قال تعالى: ﴿ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قالت عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشكى زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يارسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي ظاهر مني.

وفي رواية البخاري من حديث عائشة أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات.

يقول ابن القيم في نونيته:

وهوالسميع يرى ويسمع كلَّ ما ... في الكون من سرٍّ ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر ... فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدها والداني

وقد انكر الله عزوجل على المشركين الذين ظنوا أن الله تعالى لايسمع السر والنجوى.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي -أوثقفيان وقرش- كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم

فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟.

قال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولايسمع إن أخفينا.

وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا، فإنه يسمع إذا أخفينا(٢).

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٨١، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه النسائي، وابن ماجه ورواه البخاري تعليقًا.

(٢) رواه البخاري (٤٨١٧)، ومسلم(٢٧٧٥).

فأنزل الله عزوجل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

أختى المسلمة..

وهذا الموقف الإيمانى فيه دروس وعبر منها:

١- • عظمة التواضع •

فقد تواضع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقف أمام المرأة طويلاً يسمع كلامها، ونصحها، وتذكيرها إياه بماضى أيامه..

فرضى الله عن عمر بن الخطاب فقد تخرج فى جامعة إمام المتواضعين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين، سيدنامحمد صلى الله عليه وسلم.

يقول رضي الله عنه: إن أحب الناس إلىَّ من أهدى إلىَّ عيوبى(١).

وقال يومًا وهو على المنبر: أنشدكم الله لايعلم أحد منى عيبًا إلا عابه(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: نادى عمر فى الناس: الصلاة جامعة.. ثم جلس على المنبر، فما تكلم حتى امتلأ المسجد، ثم قام فقال: الحمد لله.. لقد رأيتنى أؤجر نفسى ثم أصبحت على ما ترون، فلما نزل قيل له: ما حملك على ذلك؟.

قال: إظهار الشكر.

وفى رواية عن ابن عمر أنه قال له: ما حملك على ما قلت؟

قال: إنّ أباك أعجبته نفسه، فأحب أن يضعها.. ويحكى ماضى نفسه.. عندما مرَّ فى بعض الشعاب فنظر لمن حوله ثم قال: لقد رأيتنى فى هذه الشعاب فى إبل للخطاب -أى أبوه- وكان فظًّا غليظًا احتطب مرة على ظهرى، واحتطب عليها أخرى(٣).

٢- • من تواضع لله رفعه •

أختى المسلمة..

اعلمى أن من «تواضع لله رفعه»(٤) كما قال إمام المتواضعين صلى الله عليه وسلم.

---

(١)، (٢) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص٣.

(٣) المرجع السابق ص١٣٤.

(٤) رواه مسلم وأحمد وأبو نعيم فى الحلية والألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٠٣٨.

وقال ابن الحاج: فمن أراد الرفعة فليتواضع لله، فإن الرفعة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أسفل الشجرة صعد إلى أعلاها.. كأن سائلاً سأله: ما صعد بك ها هنا وأنت قد نزلت تحت أصلها؟. فقال لسان حاله: «من تواضع لله، رفعه الله»(١).

وقال ﷺ: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع لله قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته»(٢).

والحكمة: هي ما يوضع تحت حنك الدابة كاللجام.. ومعنى «دع حكمته» كناية عن إذلاله، فإن صفة الذليل تنكيس رأسه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من تطاول تعظيماً خفضه الله عزوجل، ومن تواضع لله تخشعاً رفعه الله(٣).

٣- • كل يوم هو في شأن •

أختي المسلمة..

كل يوم هو في شأن.. هذا درس آخر من دروس هذا الموقف الإيماني.. ففي يوم من الأيام كان عمر جباراً في الجاهلية.. ثم صار في يوم عملاق الإسلام كان في الجاهلية خوراً وصار في الإسلام فاروقاً - فرق الله به بين الحق والباطل كان في يوم يتمنى أن يقتل رسول الله ثم صار بعد الإسلام يخاف على رسول الله من نسمة حارة تمر على وجهه.. صار يحبه أغلى من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين..

كان عمر في الجاهلية يرعى إبلاً للخطاب.. ثم من الله عليه بالإسلام وصار أميراً للمؤمنين.. كما ذكرت خولة بنت ثعلبة قائلة له، ومخاطبة إياه: «عهدتك عميراً في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين».

وهكذا أختي المسلمة الإنسان في هذه الدنيا ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) فيض القدير ٦/ ٨-١٠.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس والبزار عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٥٥١، والسلسلة الصحيحة ٥٣٨.

(٣) الزهد للإمام أحمد.

وهكذا شئون الله عزوجل، ولذلك لما سئل أحد الصالحين عند تلاوة هذه الآية: ما شأن ربك الآن؟

قال: شأنه أنه يولج الليل فى النهار، ويولج النهار فى الليل، ويخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويشفى سقيمًا، ويسقم سليمًا، ويبتلى معافى، ويعافى مبتلى، ويعز ذليلاً،ويذل عزيزًا، ويفقر غنيًا، ويغنى فقيرًا، ويقيل عثرة، وينصر مظلومًا، ويغيث لهفانًا.

فقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام شأن وبعد الإسلام شأن آخر، كان إسلامه فتحًا، وهجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة.

٤- • قبول النصح والوعظ ولو من امرأة

أختى المسلمة..

وهذا درس آخر.. فقد وعظت المرأة عمر ونصحته، وعلى المسلم أو المسلمة قبول النصيحة من الغير، لأن النصح فى الله ولله واجب، ولذلك يقول إمام الناصحين ﷺ: **«الدين النصيحة، قلنا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**(١).

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل النصح مِنْ مَنْ ينصحه، والوعظ مِنْ مَنْ وعظه..

فقد كان بين عمر بن الخطاب -أمير المؤمنين- وبين رجل كلامًا، فقال له: اتق الله، فقال رجل من القوم: أتقول لأمير المؤمنين هذا؟

فقال له عمر: دعه فليقلها لى، فنعم ما قال.. ثم قال عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولاخير فينا إذا لم نقلها لكم.

وفى يوم من الأيام جاءه زياد بن حنظلة التيمى، فقال: يا أمير المؤمنين، احذر من أكرمته أهانك، وإن أهنته أكرمك.. فقال عمر: من هذا؟ قال: جسدك، إن أنت تابعت بطنك وفرجك فيما يريدان منك فضحاك وأهاناك فى الدنيا والآخرة، وإن أهنتهما وعصيتهما وقويت عليهما زاناك فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الجليس الصالح ص٢١٩.

ووعظه سعيد بن عامر فقال: إنى موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه.

قال: أجل. قال: اخش الله فى الناس ولاتخش الناس فى الله، ولاتخالف قولك فعلك، فإن خير القول ما صدقه الفعل، ولاتقضى فى أمر واحد بقضائين فيختلف عليك أمرك.. وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك، وخض الغمرات إلى الحق، ولاتخف فى الله لومة لائم[1].

وقال له كعب: إنَّ فى السماء ديانًا وفى الأرض ديانًا، فويل لديان الأرض من ديان السماء، إنك بين الناس وبين ربك، وليس بينك وبين الله أحد، فقال له عمر: أنشدك الله كيف تجدنى خليفة أم ملكًا، قال: بل خليفة فاستحلفه عمر، فحلف له كعب وقال: خليفة والله من خير الخلفاء وزمانك خير زمان[2].

ووعظ العلماء غير عمر بن الخطاب.. فهذا أبو مسلم يدخل على معاوية بن أبى سفيان فيقول له:

السلام عليك أيها الأجير، اعلم أنه ليس من أجير استرعى رعية إلا وله رب يسأله عنها، فإن كان داوى مرضاها، وجبر كسراها، ورد أولاها على أخراها، ووضعها فى أنف من الكلأ وصفو من الماء، وفاه الله أجره، وإلا لم يؤته أجره[3].

---

(١)، (٢) الجليس الصالح ص٢١٩.

(٣) المرجع السابق ص٢٢٠، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ١٢٥، وسير أعلام النبلاء.

الباب رقم (٣٠)

مواقف إيمانية

في

مواعظ النساء

ولسنا أمة

• امرأة تعظ ابنها وتحذره من المعصية ▪

أختى المسلمة..

وهذا الموقف الإيمانى المبارك، موقف لأم تعظ ابنها وتحذره من المعاصى، فتقول: «ويحك يابنى، احذر بطالات الليل والنهار، فتتقضى مهلات الأعمار، وأنت غير ناظر لنفسك، ولامستعد لسفرك.

ويحك يابنى، مامن الجنة عوض، ولا فى ركوب المعاصى ثمن من حلول النار.

ويحك يابنى، مهد لنفسك قبل أن يُحال بينك وبين ذلك، وجد قبل أن يجد الأمر بك، واحذر سطوات الدهر، وكيد الملعون (أى الشيطان) عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر، فعند ذلك يهتم التقى كيف ينجو من مصائبها.

يابنى، بؤسًا لك إن عصيت الله وقد عرفته، وعرفت إحسانه، وأطعت إبليس وقد عرفته وعرفت طغيانه»[(١)].

أختاه..

هذا موقف إيمانى عظيم حيث تحذر أم ولدها وتعظه، وهى بذلك تسلك سبيل الموحدين حيث كان النبى الأمين ﷺ يعظ أصحابه، كما قال ابن مسعود ؓ: كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة -أى يتعهدنا بالموعظة- من حين لآخر خشية السآمة -أى الملل-.

كما كان النبى ﷺ يعظ الأبناء والشباب، ويتعهدهم بالنصح والإرشاد فقد وعظ ابن عباس وهو غلام صغير، فقال:

«ياغلام، إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء فلن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء فلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك..»[(٢)].

ووعظ غيره كثير، وهو بذلك يتأسى بمن سبقه من الحكماء، فهذا لقمان الحكيم يعظ ولده، وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى سورة خاصة، قال تعالى:

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٢/ ٣١٩ برقم (٣٦٨).

(٢) تخرج فى موضع آخر.

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴿١٣﴾ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴿١٤﴾ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٥﴾ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴿١٦﴾ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴿١٧﴾ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴿١٨﴾ واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ١٣- ١٩].

وهذه الموعظة التى بين أيدينا جاءت موعظة شاملة، لأنها اشتملت على تحذيرات فقد حذرت من البطالة، وحذرت من الركون والركود وضياع العمر، وحذرت من الشيطان الرجيم، فهيا بنا لنقف قليلاً مع التحذيرات.

•احذرى الغفلة•

وهو المراد من قولها «احذر من بطالات الليل والنهار..» فالغفلة هى النسيان والانشغال عن ذكر الله عزوجل، وما أجمل قول الموعظة الدمشقية «مؤمنة بنت بهول»:

«الغافل ينام ولايقوم، ولاتطيب ساعة لايكون فيها ذكر الله عزوجل».

أختاه..

عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد فى ظلمة القبور.

كانت عمرة امرأة حبيب العجمى -رحمه الله- صالحة من نساء السلف.. يقول زوجها حبيب: انتبهت ليلة من نومى، وامرأتى تنبهنى قبل وقت السحر، وهى تقول لى: «قم يا رجل قد ذهب الليل، وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا»[١].

إنها تتحسر على ضياع الوقت، لأن الوقت هو رأس مال العبد، فهلا ننفقه فى كل خير، هلا استغللنا أوقات فيما يعود علينا بالخير والسعادة فى الدنيا والآخرة.

---

(١) صفة الصفوة ٤/ ٢٢.

•استعدي لسفرك•

وهو المراد من قولها «ولامستعد لسفرك» فالسفر سفران:

١- سفرقريب. ٢- وآخر بعيد.

فالأول: هو سفر الدنيا، وهو وإن كان بعيداً لكنه قصير مهما كان بعده، وإليه كانت الإشارة بقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك:١٥].

وهو يشمل: سفر الحج والعمرة، والسفـر للتجارة وللعمل لكنه لايجوز للمرأة بلا محرم، لقوله ﷺ: «**لايحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تسافر إلامع ذى محرم**».

وأما الثـانى: هر السفر إلى الله تعـالى، وإليه كانت الإشـارة بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ** ﴾ [الانشقاق: ٦].

الفضيل بن عـياض -رحمه الله- قابل رجـلاً بلغ من الكبر عتيـًا، فسأله: كم عمرك؟

قال الرجل: ستون عامًا.

قال الفضيل: توشك أن تصل إلىَ الله.

قال الرجل: إنا لله، وإنا إليه راجعون!

قال الفضيل: هل عرفت معناها؟

قال الرجل: نعم، عرفت أنى لله عبد، وأنى إلى الله راجع.

قال الفضيل: إذا عرفت أنك لله عبـد، وأنك إليه راجع، عرفت أنك مسئول، وإذا عرفت أنك مسئول، فأعد للسؤال جوابًا.

قال الرجل: ما الحيلة يرحمك الله؟!

قال الفضيل: أن تتقى الله فيما بقى يغفر الله لك ماقد مضى.

أختاه..

هل أعددت الزاد لهذا السفر الطويل؟

هل أعددت الزاد لليلة صبحها يوم القيامة؟

ليلة لايؤذن لها لصلاة الفجر، ولكن ينادى إسرافيل: أيتها العظام النخرة، أيتها اللحوم المتناثرة، قومى لفصل القضاء بين يدى الكبير المتعال.

رحلة الحياة بطولها، المكث فى القبور ثم البعث يوم النشور، ثم الوقوف بين يدى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

زادنا قليل.. لكثرة غفلتنا..

زادنا قليل.. لقلة أعمالنا الصالحة..

زادنا قليل.. لكثرة لهونا ولعبنا..

زادنا قليل.. لكثرة نومنا..

تذكرى جهنم حتى لاتصيبك الغفلة.

فهذا مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم، مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم يقولون فى منارات الدنيا كلها: يا أيها الناس، النار.. النار[١].

وهذا شداد بن الأوس -رحمه الله- كان إذا آوى إلى فراشه كأنه حبة على مقلى، فيقول: اللهم إن ذكر جهنم لايدعنى أنام، فيقوم إلى مصلاه[٢].

وهذا طاوس بن كسيان -رحمه الله- يفترش فراشه، ثم يضطجع، فيتقلى كما تتقلى الحبة على المقلى ثم يثب، ويستقبل القبلة إلى الصباح، ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم العابدين[٣].

أختاه..

• ما من الجنة عوض •

لماذا؟.. لأنها دار لا يموب من دخلها، ولا يهرم شبابها، ولا يفنى جديدها، ولا يبلى ثيابها.

ورحم الله عكرشة بنت الأطش بن رواحة حين قالت:

«إنَّ الجنة دار لايرحل عنها من قطنها، ولايحزن من سكنها، ولايموت من دخلها، فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها، ولاتنصرم غمومها»[٤].

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إنّ الله عز وجل يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك، فيقول:**

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم ٣/١٣٣.

(٢) المرجع السابق ١/٢٤٦.

(٣) الحدائق لابن الجوزى ٢/ ١٧٠ ط/بيروت محققة.

(٤) تاريخ ابن عساكر ص٢٥٤ تراجم النساء.

هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لانرضى يا ربنا وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول الله تعالى: أحل عليكم رضوانى، فلاأسخط عليكم بعده أبداً»(١).

أختاه.. كم فرغت من وقتك حتى تطمعى فى جنته؟

بالنهار تطلبين المعاش، وتنظمين الفراش.

وبالليل.. نوم الفراش.. ملأت قلبك الضعيف بهم السنين والعيال.. وهم مؤنة الصيف قبل مجيء الصيف.. وهم مؤنة الشتاء قبل قدوم الشتاء.. فماذا أبقيت من هم لقلبك للآخرة؟

•احذرى المعاصى•

أختاه.. احذرى المعاصى، فللمعاصى شئوم عظيمة، فهى تورث الذل، وتفسد العقل، وتهون العاصية على ربها.

يقول ابن القيم-رحمه الله-:

إن الذنوب والمعاصى تضر، ولابد أن ضررها فى القلب كضرر السموم فى الأبدان، على اختلاف درجاتها فى الضرر، وهل فى الدنيا والآخرة شرٌ وداء إلا سببه الذنوب والمعاصى؟ فما الذى أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم، والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟!

وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحًا، وبالجنة ناراً تلظى.. وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل، زجل الكفر والشرك، والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان.

وما الذى أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال؟ وما الذى سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية؟.

وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟.

---

(٤) رواه البخارى ومسلم.

وما الذى رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم..؟

وما الذى أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميرًا؟

وما الذى أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم(١)؟

أختاه..

المعاصى عدو لدود، فهى سبب كل بلاء، وطريق كل شقاء، قال ﷺ: «**إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمهم الله بعذاب من عنده**»، فقلت: يا رسول الله، أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟

قال: «**بلى**». قلت -أى أم سلمة-: فكيف يُصنع بأولئك؟

قال: «**يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**»(٢).

• احذرى إبليس اللعين •

أختاه..

وكما وعظت هذه المرأة ابنها، وقالت له: «احذر كيد الملعون عند هجوم الدنيا بالفتن وتقلبها بالعبر..» فإن ربك قد وعظك، بل ووعظ جميع بنى آدم وحذرهم من كيد هذا اللعين، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٦].

إنَّ العداوة بين الإنسان والشيطان عداوة محكمة، وخصومة متقنة، ونزاع سيظل قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول جعفر الصادق رضي الله عنه:

---

(١) الداء والدواء لابن القيم الجوزية ص٥٨،٥٩ ط/ دار الخلفاء تحقيق السيد العربى.

(٢) رواه أحمد فى مسنده، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٨٠، وفى الصحيحة برقم ١٣٧٢

«يا ابن آدم، انظر إلى خطر مقامك في الدنيا، فإن ربك عز وجل حلف وأقسم ليملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، وإن ابلإس حلف وأقسم وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]. وأنت يا مسكين بين يدى الله، وبين إبليس مطروح ملقى، وساه لاه، وغافل مغرور، فأى خطر أكبر من هذا الخطر الذى يحيط بك أيها الإنسان.

ورحم الله الشافعى فقد كان يقول:

إنَّ لله عبادًا فطنًا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحى وطنًا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنًا

وكان الحسن ﷺ يبكى كثيرًا ويقول:

كنا نسلاً من نسل الجنة، وذرية من أهلها، فسبانا إبليس بالخطيئة، إلى الأرض، فلا ينبغى لنا الفرح فى الدنيا، بل يجب علينا الحزن والبكاء ما دمنا فى دار السبى، حتى نعود إلى دار الكرامة التى خرجنا منها، وأبعدنا عنها.

ورحم الله ابن القيم فقد كان ينشد فى وعظه ويقول:

وحى على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فيا ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

أختاه..

ما مثل ابن آدم أمام إبليس وأعوانه -النفس والدنيا والهوى- إلا كشجرة خضراء تكتنفها وتحيط بها نار مستعرة حامية تلهبها الريح من خارجها، وتؤججها الكير من حواليها، ومع ذلك تفرض عليها الطبيعة أن تحتفظ بخضرتها ونضرتها، وأن تؤتى بأكلها وثمرتها مهما كان هنالك من نار وسعير، ومهما كان هنالك من كير ورياح.

أختاه..

انتبهى أيتها الغافلة، واستيقظى أيتها النئوم فما أكثر أعداءك، وما أثقل أعباءك، وما أضخم ما ألقى على كاهلك من التبعات والمسئوليات، فلا تغفلى عن واجبك، ولا تنامى عن فرائضك، ولا تقصرى فى عبادة ربك، ولا تهملى ما كلفت به من الأحكام والحقوق، فينالك عذابه، ويُحيط بك عقابه، وتفارقك نعمه وحينئذٍ تندمين فلا ينفعك الندم، وتتألمين فلا يفيدك الألم، وتطلبين الرجعة إلى الدنيا فلا تُعطينها، وتسألين ربك الشفاعة فلا يمكنك منها.

يا نـاظراً يـرنو بعـــينى راقـــد ومشــاهد الأيام غـير مـشـاهد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درج الجنان بهـا وفـوز العــابد
ونســيت أن الله أخـــرج آدم منهـا إلى الدنيـا بـذنب واحـد

فالعاقلة من تذكرت، والحكيمة من تدبرت، والبصيرة من استبصرت قبل أن تدركك الحسرات، وتحيط بك السيئات، وتخف فى كفة ميزانك الحسنات.

وتتلفتين يمينًا وشمالاً فلا ترين إلا الله وعظمته، والحساب ودقته، وكتابك وما فيه، وحينها يُقال لك: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] .

فاللهم لطفًا فى قضائك، وعونًا على ابتلائك، ونصرة على أعدائك.

ورحم الله أحمد بن الحوارى فقد كان يقول فى دعائه:

«إلهى، غيبت عنى أجلى، وأحصيت علىَّ عملى، ولا أدرى إلى أى الدارين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة المحزونين أبدًا ما أبقيتنى، ولذا نصحت العلماء ابن آدم بأن يعمل ويخلص فى العمل حتى يلقى الله، فإن العمل الصالح هو سفينة النجاة..»

أختاه..

• هل للموعظة شروط؟ •

نعم للموعظة شروط، أجابت عليها أم الدرداء فقالت:

«من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه»(١).

ولإمامنا الشافعى رحمه الله فى هذا كلام طيب، فقد قال:

تعـمدنى بنـصحك فى انفرادى وجنبنى النصـيحة فى الجماعـة
فـــإن النصح بين النـاس نوع من التـوبيخ لا أرض استـماعـه
وإن خـالفـتنى وعـصيت قـولى فـلا تجزع إذا لم تـعط طاعـة(٢)

قال ابن حبان:

النصيحة تجب على الناس كافة، ولكن ابداءها لايجب إلا سراً، لأن من وعظ أخاه علانية فـقد شانه، ومن وعظ سراً فقد زانه، فإبلاغ المجهـود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه.

---

(١) اخرجه البيهقى(٧٦٤١) فى شعب الإيمان.

(٢) ديوان الإمام الشافعى ص٢٠ ط/دار المنار.

قال سفيان: قلت لمسعر بن كدام: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أما أن يجيئ إنسان فيوبختني بها فلا، وأما أن يجيئ ناصح فنعم[١].

وقال ابن المبارك رحمه الله:

كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه.

فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره، استغضب أخاه وهتك ستره[٢].

أختاه..

فقد تبين لك بوضوح وجلاء أن شرط النصيحة أن تكون في سر، وإخلاص سواء كان المنصوح ولدك، أم أي إنسان كان، فالنصيحة في السر تقيم الألفة والمودة بين الناس.. ولتحذر العاقلة اللبيبة وعظ الأعداء أو نصحهم في السر أو في العلانية.

قال ابن الزنجي:

فكم من عدو معلن لك نصحه ... علانية والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته ... فكنت له في الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب إنها ... سيبدو عليها كل سر وذائع[٣]

• أم تعظ ابنتها •

تقول أم أحمد بنت عائشة: قالت لي أمي رحمها الله:

«يابنيتي..

لا تفرحي بفان، ولاتجزعي من ذاهب، وافرحي بالله، واجزعي من سقوطك من عين الله..

والزمي الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء أحد الأدب ظاهراً، إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً..»[٤].

• عائشة رضي الله عنها تنصح النساء •

ولقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها إحدى من تخرجن في جامعة الرسول ﷺ، وقد كان لها مواعظ متعددة، فتارة كانت تعظ الرجال والنساء، وتارة تعظ الرجال، وأخرى تعظ النساء، ففي يوم وعظت النساء قائلة:

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ص١٧٦.

(٢)، (٣) روضة العقلاء ص١٧٦، ١٧٧.

(٤) طبقات المتعبدات للسلمي ص٨٩.

«يا معشر النساء..

اتقين الله ربكن، وبالغن في الوضوء، وأقمن الصلاة، وآتين زكاتكن طيبة بها أنفسكن، وأطعن أزواجكن في ما أحببتن أو كرهتن»[١].

• ابنة تعظ أباها وتنصحه •

كان المأمون قد وَجَدَ -أي حزن- من قائد من قواده، فاستصفى ضياعه وداره، ونهب دوابه وماله، وكان شيخًا فانيًا، ولم يكن له من الولد إلا بنية صغيرة، فأجمع أن يضرب في الأرض، ويطلب من فضل الله عز وجل، ويخلّف ابنته.

فبكت البنت، وقبضت على أبيها، وقالت:

«اقنع بما أتاك الله، واصبر على محن الزمان، ونوائب الدهر، والزم الوطن، وارحم وحدتي وضعفي، وقلة حيلتي، أو اذبحني فلا ابتلي بفراقك..».

فبكى الشيخ وقال:

تقول ابنتي لما أردت وداعها ... وقد حضرتني نية ورحيلُ
لعل المنايا[٢] في رحالك تنبري[٣] ... لنفسك ختلا[٤] أو تغولك غولُ
فتتركني أُدعى اليتيمة بعد ما ... تبين وعزّي بعد ذاك ذليلُ
أفي طلب الدنيا وربك بالذي ... تسير له راع عليك كفيلُ
أليس ضعيف القوم يأتيه رزقه ... يُساق إليه والبلاد مُحُولُ
ويحرم جمع المال من قد يرومه[٥] ... يكد[٦] عليه رحله وحلولُ
فلو كنت في طود[٧] على رأس هضبة ... لها نجف[٨] فيه الوعول تقيلُ
مصعدة لا يستطيع ارتقاؤها ... ولا لنزل يستطاع سبيلُ
إذا لأتاك الرزق يحدوه سائق ... حثيث ويهديه إليك ذليلُ

قال الراوي: فنمى الخبر إلى المأمون، فدعا بالشيخ، فاستنشده شعره فأنشده فرق له، وأمر برد جميع ما أخذه منه، وأعاده إلى مرتبته، وزاده من عنايته[٩].

---

(٤) أدب النساء ص٢٣٥ لعبد الملك بن حبيب برقم ١٥٧.

(٢) المنايا: جمع منية وهي الموت، وقيل: أسباب الموت.

(٣) تنبري: تتعرض لك.

(٤) ختلاً: الختل هو الخداع عن غفلة.

(٥) يرومه: يطلبه.

(٦) يكد: يتعب.

(٧) طود: الجبل العظيم.

(٨) نجف: أرض مستديرة تشبه التل.

(٩) المحاسن والمساوئ ص٥٦١، ٥٦٢ للبيهقي، وقد نقلت من أروع مواعظ النساء لشيخي مجدي فتحي السيد.

• امرأة تعظ الناس عند القبر •

أختاه..

أتدرين من هذه المرأة؟

إنها أم نهار العدوية -رحمها الله- وقفت يومًا على قبر فوعظت الناس قائلة:

«أيها الناس..

إنكم من الله في نعمة وستر، ومن الناس بمحل تزكية، فإياكم ومصاداة زخاريف الرخاء، فإنها ليست من صفة الأولياء، فأخلوا شماذير الغفلة عن قلوبهم وتأملوا أهل هذه العرصات الخرس والربوع الصموت، فارجعوها صورًا بوهمكم تنسمون روح الحياة، فنادوهم، يسمعوا، واسألوهم يخبروا، فاحيوا بموتهم، وتيقظوا لغفلاتهم، وخذوا خوفكم من أمنهم، وحذركم من غرورهم، وانظروا بهم إلى أثر البلى في أجسامكم، والخراب في مساكنكم، وكيف حكم فيهم التراب، إذ ولى الحكم فيهم، فأبدلهم بالنطق خرسًا، وبالسمع صممًا، وبالحركات سكونًا، رحم الله امرءًا أبصر فتدبر، واتعظ فاعتبر، وعمل ليوم الحساب، وخشي وقت العقاب»(١).

• امرأة تعظ رجلاً •

إنها عاتكة الغنوية -رحمها الله- تعظ رجلاً يسمى ضرار الطفاوي فتقول:

«يا ضرار، توسل إلى مولاك بجميع ما يمكنك من الوسائل، فإنك تجد ذلك لك موفرًا عند حلول الجلائل، وانقطع إليه في حوائجك لديه يأت لك عليها على غير تعب منك ولا نصب..»(٢).

ولعلها تقصد بذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وتقصد أيضًا أن توصيه توصية النبي المصطفى ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله..».

---

(١)، (٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤/ ٢٧٢، ٢٧٣.

الباب رقم (٣١)

مواقف إيمانية وعمل المرأة في بيت زوجها

• موقف أسماء بنت أبى بكر الصديق •
• وخدمة المرأة لزوجها •

أختى المسلمة. . .

إنَّ حياة أسماء بنت أبى بكر الصديق حياة حافلة بالكفاح والجهاد، ولعلك تعلمت منها درسًا فى الصبر وآخر فى الجهاد والبذل والتضحية، وها نحن نتعلم منها درسًا آخر فى موقف إيمانى جديد من مواقف حياتها فتقول:

«تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولامملوك، ولاشيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوى لنا لناضجه -أى للبعير الذى يستقى عليه -واستقى الماء، وأخرز غربه[1]، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز لى جارات من الأنصار، وكنَّ نسوة صدق. . وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله على رأسى، وهى منى على ثلث فرسخ.

قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسى، فلقيت رسول الله، ومعه نفر من أصحابه، فدعانى -أى لأركب- ثم قال للناقة: « أخ أخ» فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته -وكان أغير الناس- فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمضى، وجئت الزبير فقلت له: لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى أشد علَّى من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى»[2]. لله درك يا أسماء. . كم صبرت مع أبيك؟! وكم صبرت مع ربك؟ وكم صبرت مع زوجك. . فجزاك الله خير الجزاء. . جزاك الله ثوب الصابرين. . وأجر الشاكرين.

• الدرس الأول •
• خدمة المرأة زوجها •

أختى المسلمة. .

وموضوع خدمة المرأة لزوجها يرى بعض الفقهاء كالإمام النووى: أن خدمة المرأة لزوجها تبرع منها وحسن معاشرة منها لزوجة، ولذلك يقول: «. . هذا كله من

---

(١) غربة: الدلو الكبير.

(٢) رواه البخارى (٥٢٢٤) ومسلم (٢١٨٢) وأحمد فى مسنده (٢٦٨١٦) .

المعروف والمروءات التى أطبق الناس عليها، وهو أن المرأة تخدم زوجها بهذه الأمور المذكورة ونحوها من الخبز والطبخ وغسل الثياب وغير ذلك، وكله تبرع من المرأة وإحسان منها إلى زوجها وحسن معاشرة وفعل معروف معه، ولايجب عليها شيء من ذلك، بل لو امتنعت من جميع هذا لم تأثم، ويلزمه هو تحصيل هذه الأمور لها، ولايحل له إلزامها بشيء من ذلك[(١)].

ويرى الإمام الشافعى -رحمه الله-: أن على الزوج نفقة خادم لزوجته إن كانت تخدم فى بيت أبيها.

ويرى الإمام مالك -رحمه الله-: أنَّ على الزوجة خدمة الزوج، فإن فاطمة الزهراء ﵂ كانت تقوم بخدمة علىٍّ بن أبى طالب ﵁ وانها لما اشتكت إلى أبيها ﷺ ما تلقى من مشقة الخدمة لم يقل لزوجها علىٍّ بن أبى طالب ﵁: لا خدمة عليها.

والحق أن موضوع خدمة المرأة لزوجها يرجع فيه إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩] ويرجع إلى العرف، فإذا كانت المرأة تخدم فى بيت أبيها واشترطت أن تخدم فى بيت زوجها، فلا يحل للزوج أن يجبرها على خدمته.

فإذا كان بين الزوجين حب ووفاق فسوف تبذل الزوجة وسعها فى خدمة الزوج.

وينبغى على الزوج أن لا يكلف زوجته فوق استطاعتها، فقد تكون التكاليف فى ذاتها مشروعة، لكن لظروف ما قد تكون شاقة.. وقد قيل: إن أردت أن تطاع، فأمر بما يستطاع.

وقد أوصى أستاذ البشرية بأن لا يكلف الإنسان خادمة مالا يطيق، فإن كلفه ما فيه مشقة وجب عليه أن يساعده.

فإذا كان هذا بالنسبة للخادم فما بالك بالزوجة التى هى شريكة حياته وأم أولاده؟ وقد قال صلوات ربى وتسليماته عليه: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**»[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ٣٨١.

(٢) رواه الترمذى عن عائشة (٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح، ورواه أبو داود فى الأدب والدارمى.

•تعاون الرجل مع المرأة فى أعمال البيت•

وينبغى على الرجل أن يتعاون مع زوجته فى مهام الأسرة.. فى حدود استطاعته لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان رسول الله ﷺ يكون فى مهنة أهله -تعنى خدمتهم- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»(١).

وعن هشام بن عروة عن أبية قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله يصنع فى بيته؟

قالت: يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم.

وفى رواية لابن حبان:

«ما يعمل أحدكم فى بيته؟» وفى رواية: «كان النبى ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرقع دلوه»(٢).

وفى رواية أخرى: «ماكان إلا بشراً من البشر، كان يفلى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»(٣).

وكان النبى ﷺ إلى جانب ذلك كله يقدر كل شىء حق تقديره، ولم تسمع منه كلمة ذم لرأى أو عمل.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر**».

قال: فأتيتها، فسقيتها(٤).

فهل بعد هذا تُكف المرأة بالخروج إلى العمل خارج البيت؟!.

ومن طريف ما يروى فى شأن عمل المرأة، أنَّ على بن أبى طالب رضي الله عنه كان يقسم عمل البيت بين: أمه وزوجته، لكل واحدة ما يناسبها.

فيقول لأمه «فاطمة بنت أسد»: اكفى فاطمة سقاية الماء، والذهاب فى الحاجة، وتكفيك فاطمة الداخل: الطحين والعجين.

---

(١) رواه البخارى (٦٠٣٩)، والترمذى وأحمد فى مسنده.

(٢) رواه الترمذى فى الشمائل ٢/ ١٨٥، وابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٦٦، والألبانى فى السلسلة الصحيح برقم ٦٧٠.

(٣) فتح البارى لابن حجر ١٠/ ٤٧٦.

(٤) رواه أحمد فى مسنده (١٧٠٩٠) بإسناد صحيح ١٣/ ٢٨٣.

فما أجمل هذا التقسيم، لقد جعل العمل الذى يقتضى الاتصال بخارج البيت من نحو: الذهاب للسوق، وشراء حاجيات المعيشة لكبيرات السن.

وأما العمل داخل البيوت فينبغى أن يكون للشابات الصغيرات.. وذلك أدعى للعفاف، والمحافظة على كرامة المرأة.

• امرأة رياح القيس العابدة •

لقد تزوج رياح القيس امرأة فبنى بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا؟!

قالت: إنما تزوجت رياحًا القيس، ولم أرنى تزوجت جبارًا عنيدًا!(١).

أختى المسلمة.. خذى المثل من زوج أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام حين أتاها بضيوفه ومعه «عجل سمين» لتقوم بتجهيزه وإعداده للضيوف، وفعلاً قامت بتجهيزه لمن ظنهم يأكلون:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧].

• الدرس الثانى •
• الغيرة •

أختى المسلمة..

والغيرة نوعان: غيرة ممدوحة يحبها الله ورسوله، وغيرة مذمومة يكرهها الله.. فالتى يحبها الله: أن يغار عند قيام الريبة -أى التهمة-. والتى يكرهها: أن يغار من غير ريبة بل مجرد سوء الظن.

ففى هذا الموقف -موقف أسماء بنت أبى بكر- حين رآها النبى ﷺ وهى تحمل شيئًا ما على رأسها، أراد أن يركبها الناقة خلفه، فأوقفها وقال للناقة: «أخ أخ» لكن تذكرت أسماء أن زوجها «الزبير غيورًا»، فرفضت أن تركب خلف الرسول الأعظم ﷺ.

قال الإمام النووي -رحمه الله-:

وفيه: ما كان عليه من الشفقة على المؤمنين والمؤمنات ورحمتهم ومواساتهم فيما أمكنه. وفيه: جواز إرداف المرأة التى ليست محرمًا إذا وجدت فى طريق قد أعيت، لا سيما مع جماعة رجال صالحين -أى بصحبتهم-.

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى ٤/ ٢٧.

وقال القاضى عياض: هذا خاص للنبى ﷺ بخلاف غيره، فقد أمرنا أن نباعد بين أنفاس الرجال والنساء، وكانت عادته مباعدتهن لتقتدى به أمته، وإنما كانت هذه خصوصية له لكونها بنت أبى بكر، وأخت عائشة -زوجته- وامرأة الزبير، فكانت كإحدى أهله ونسائه، مع ما خص به النبى ﷺ، أنه أملك لإربه. وأما إرداف المحارم فجائز بلا خلاف(١).

فالغيرة بين الزوجين مطلوبة لكن أن تكون معتدلة، حتى لا يكون هناك تفريط ولا إفراط.. أما الاسراف فيها، والمبالغة فى الظن من غير ريبه، فهو مذموم شرعًا، وقد نهى الله تعالى عنه ورسوله.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا**﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «**الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله ورسوله، وأخرى يكرهها الله**» قالوا: يا رسول الله، ما الغيرة التى يحب الله؟

قال: «**أن تؤتى معاصيه، أو تنتهك محارمه**» قالوا: فما الغيرة التى يكره الله؟

قال: «**غيرة أحدكم فى غير ريبة**»(٢).

وفى الصحيحين من حديث سعد بن عبادة ﷺ أنه قال: لو رأيت مع امرأتى رجلاً لضربته بالسيف، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد؟! فوالله لأنا أغير منه، والله أغير منى»(٣).

قال عبد الله بن شداد:

الغيرة غيرتان: غيرة يُصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار(٤).

وقال القاضى عياض -رحمه الله-:

الغيرة: مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين.. هذا فى حق الآدمى.

أما غيرة الله تبارك وتعالى، فتأويله: أنَّ الله تعالى يوقع العقوبة بمن يأتى ما حرم الله عليه، ونحو ذلك(٥).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٧/ ٣٨٢.

(٢) رواه أحمد فى مسنده (١٧٣٣١) بإسناد صحيح، وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٢٦٥٩)، ورواه الدارمى (٢٢٢٦)، وابن حبان والحاكم ١/ ١٤٨ وصححه ووافقه الذهبى.

(٣) رواه البخارى (٤٧١٦)، ومسلم (١٤٩٩)، والدارمى (٢٢٢٧)، وأحمد فى مسنده.

(٤) روضة المحبين لابن القيم ص٢٧٧.

(٥) فتح البارى لابن حجر ٩/ ٢٣١.

فمن فرط فى الغيرة المحبة وأهملها عاش مدنسًا منكوس القلب، فقد جاء فى الحديث الذى رواه ابن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**إنّ الله لا ينظر إلى الديوث يوم القيامة، ولا يدخله الجنة**»(١).

والديوث: هو الذى لا يغار على أهله.. وهو الذى يرى الفاحشة فى أهله ويسكت عليها.

فمن أفرط فى الغيرة الممقوتة عاش شقيًا معذبًا، وقل أن تعيش معه زوجة، وفى الاعتدال صيانة العرض والشرف والاحتفاظ بالكرامة.

والنفس كالطفل تنشأ على ما عودت عليه، ونفس المرأه فى هذا كنفس الطفل سواء بسواء.. فمن أرسل لزوجته العنان قليلاً جمحت به طويلاً.. ومن أرخى لها فترًا جذبته ذراعًا.. ومن أرخى لها ذراعًا جذبته باعًا، وكان عاقبة أمره خسرًا.. ففى الأثر: تعس عبد الزوجة.

• الغيرة.. وأمهات المؤمنين والصحابة •

أختى المسلمة..

وكما أن غيرة الرجل على زوجته مطلوبة فى حد الاعتدال.. كما ذكرنا.. فكذلك غيرة المرأة على زوجها مطلوبة أيضًا لكن فى حدود الشرع، وفى الحدود التى لا تنغص عليها عيشها.. وها أنا أذكر لك مواقفًا لذلك فتأملى:

١- غيرة عائشة من خديجة ﷺ:

إنّ السيدة عائشة ﷺ تعترف بغيرتها من خديجة ﷺ رغم أنها لم تعاصرها، وقد ماتت قبل أن تتزوج عائشة رسول الله ﷺ فتقول: «ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟

فيقول: «**إنها كانت وكانت.. وكان لى منها ولد**»(٢).

وعنها ﷺ أنها قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد -أخت خديجة- على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك، فقال: «**اللهم هالة**» قالت:

(١) رواه أحمد فى مسنده والنسائى فى السنن.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

فغرت، فقلت: «ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين.. هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها»(١).

وعنها رضي الله عنها أنها قالت:

«ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: **«أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»** قالت: فأغضبته يومًا، فقلت: خديجة؟

فقال ﷺ: **«إني رزقت حبها»**(٢).

قال الإمام الذهبي -رحمه الله-:

قلت: وهذا من أعجب شيء أن تغار رضي الله عنها من امرأة عجوز توفيت قبل تزوج النبي بعائشة بمديدة، ثم يحميها الله من الغيرة من عدة نسوة يشاركنها في النبي ﷺ فهذا من ألطاف الله بها وبالنبي ﷺ لئلا يتكدر عيشهما، ولعله إنما خفف أمر الغيرة عليها حب النبي لها وميله إليها(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

دخلت امرأة سوداء على النبي ﷺ فأقبل عليها. قالت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال!

فقال: **«إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»**(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: **«مالك يا عائشة! أغرت؟!»**

فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال: **«أقد جاءك شيطانك؟»** فقلت: يا رسول الله! أومعي شيطان؟ قال: **«نعم»** قلت: ومع كل إنسان؟ قال: **«نعم»** قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: **«نعم ولكن ربي أعانني عليه فأسلم»**(٥).

أختاه..

وها هو رسول الله ﷺ يعلم الأمة درسًا في التربية، ويوضح لهم كيف يتعامل مع أي مشكلة بحكمة، مهما عظمت.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٦٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده بإسناد رجاله ثقات.

(٥) رواه أحمد في مسنده ورواه مسلم.

فقد أخرج البخارى عن أنس ﷺ أنه قال: كان النبى ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التى النبى فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة وهو يقول:

«**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم -أى جعله ينتظر- حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كُسرت صحفتها، وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت فيه[1].

وهو عند النسائى بنحوه من حديث أم سلمة ﷺ أنها أتت بطعام فى صحفة لها إلى رسول الله وأ صحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر -أى حجر- ففلقت به الصحفة، فجمع النبى بين فلقتى الصحفة وهو يقول:

«**كلوا، غارت أمكم**» مرتين.. ثم أخذ رسول الله صحفة عائشة، فبعث بها إلى أم سلمة، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة[2].

وفى بعض الروايات أن التى أرسلت الطعام هى «زينب بنت جحش» والتى كسرت الصحفة هى «عائشة ﷺ..».

(١) رواه البخارى (٥٢٢٥)، وابن ماجه (٢٣٣٤)، والدارمى (٢٥٩٨)، وأحمد فى مسنده.

(٢) رواه النسائى فى السنن ٧/ ٧٠، ٧١ بإسناد صحيح.

الباب رقم (٣٢)

مواقف إيمانية في وصايا ليلة الزفاف

• موقف أمامة بنت الحارث وزفاف ابنتها •

أختى المسلمة..

وهذ ا الموقف الإيمانى أقدمه لكل أم، ولكل أخت مسلمة، ونهديها لكل زوجة تود أن تسعد فى حياتها الزوجية..

لقد كانت أمامة بنت الحارث عند عوف بن محلم، فولدت له أم إياس بنت عوف فتزوجها الحارث بن عمرو الكندى -ملك كنده- فلما أرادت إهداءها إليه قالت لها: «أى بنيتى، إنَّ الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أومكرمة حسب لتركت ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل.

أى بنية: لو استغنت ابنة عن زوج لغنى أبويها لكنت أغنى الناس عنه، ولكن خلقنا للرجال، كما خلق الرجال لنا.

أى بنية: إنك فارقت الوطن الذى منه خرجت، وخلَّفت العش الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياك ملكًا عليك، فكونى له أمة يكن لك عبدًا، واحفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة، فإن فى القناعة راحة القلب، وفى المعاشرة له بحسن السمع والطاعة رضا الرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينيه، والتفقد لموقع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، واعلمى أن الكحل أحسن الحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.

وأم الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ ببيته وماله، والرعاية لحشمه وعياله، فإن أصل حفظ المال من حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرًا، ولاتعصين له أمرًا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره، أو غرت صدره.. واتقى مع ذلك الفرح، إن كان ترحًا، والاكتئاب إن كان فرحًا.. فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظامًا أشد ما يكون لك إكرامًا».

فيا لها من وصية عظيمة.. ويا لها من كلمات فصيحة.. ويا له من موقف

عظيم لتلك الأم المثالية.. التي تنصح ابنتها ليلة زفافها، فترسم لها دستوراً لحياتها ومنهجًا قويمًا لسلوكها مع زوجها..

إنها وصية هادفة.. تهدف إلى تقوية الروابط بين الزوجين.. وصية تهدف إلى إرساء قواعد المحبة والألفة..

وهكذا كان نساء السلف الصالح ﷺ أما نساء العصر فقلما توصى الأم ابنتها.. وربما أوصتها بما يشقى حياتها.. ويكون سببًا فى تعاستها لا فى سعادتها.. فمن النساء من تقول لابنتها هذا المثل الهدَّام لا الهدَّاف: «قصقص طيرك لا يلوف بغيرك».

ومعناه: قص أجنحة طائرك حتى يظل عاجزاً عن الطيران بعيداً عنك.. وهو كناية عن تعجيز المرأة رجلها عن أن يتزوج بامرأة أخرى.. وذلك بجعله لا يملك مالاً خاصًا به، لأنه ربما لو كثر المال فى جيبه تزوج بأخرى.. فالمطلوب على زعمها أن ترهق الزوجة زوجها بالمطلوب للبيت من الكماليات..

وتلك سياسة خاطئة.. ووصية شقاء وتعاسة وخراب.. لأنها تجعل الرجل يشقى كثيراً، ويعمل ليل نهار حتى يجهده العمل، فيكره الحياة، ويعيش فى هم وحزن ونكد وكان من الأفضل للزوجة أن تحتبس طيرها بالطريق الطبيعى.. بالحب.. وإظهار حسن التدبير، لاقتصاد منزلها.. فإنما يسقط الطير الذى يرى الحب..

فبالحب تحسن العشرة، وتسعد الحياة، وتطيب الإقامة مع المحبوب.. وبحسن تدبير المنزل يستريح الرجل من العناء.. ويتوافر الوقت الذى يرسم فيه صورة لمستقبل أولاده.. فيكون الحب.. وتكون السعادة والهناء..

• وصايا الأبوين لبناتهم •

إن الأبوين هما أقدر الناس على وصية أبنائهم وبناتهم لخبرتهم المكتسبة من الحياة التى يعيشونها.. وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس وأسبقهم فى هذا الأمر، وخاصة ليلة العرس، وفى أمر الزواج خاصة.

أوصت أم ابنتها فقالت:-

أى بنية: لا تغفلى عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيئ وجهك، وتحبب فيه زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوى جسمك على العمل.

المرأة التفلة -أي النتنة- تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه.

وأوصت أم ابنتها ليلة الزفاف قائلة:-

لا أريد أن أخدعك يا بنيتي، إن حلاوة الزوجية تنتهي بنهاية الشهر الأول الذى لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة، فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح التالية:

١- اجتهدى أن تنمى فيك السجايا التى حببتك إلى زوجك، وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة، ولاتظنى أنك -وقد صرت زوجته- يجوز لك أن تغيرى مظاهرك السابقة واذكرى دائمًا أن وظيفة الزوجة لا تبتدى وتنتهى فى مخدعها.

٢- لا تسلمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك، حتى ولا لأمك التى هى أنا، لاتصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له، فإنهم أعدى أعدائك.

٣- إذا عرفت خطأ لزوجك، أو شعرت بقصور منه، فإياك أن تؤنبيه، أو تعظيه، لئلا تعتدى على حق هو لأبويه، أو لأخيه الأكبر.

٤- تيقنى أنك لاتقدرين على محاربة الرجل بسلاحه -قوته فى لفظه وكفه وعناده- لأنه ثقيل فى يدك النضيرة، وإنك لتتعبين من حمله، وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية -الحادة- هى الجمال والاستسلام، والحلم واللطف، والسكينة والاتكال، والخجل والبكاء، ولعلك تظنين أنها أسلحة ضعيفة ولكن أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية -حادة - جداً.

٥- لا تعظمى المصائب فى بيتك، ولاتستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة، يكفى زوجك جهاده خارج المنزل، فعليك أن تخلقى التعزية والسرور له داخل المنزل، فبُش له على أى حال، واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل، وتحيى الرجاء فى النفس، وتوقظ الحمية فى أعماق القلب.

٦- تحاشى أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك، فقد انقضى، وفى وقوفك عليه ما ينغص عيشك، ويجعل هناءك شقاء، ولاتنسى أن زوجك إنسان لا ملاك.

٧- ارفقى بجيب زوجك، فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحلل، وعليك أن تكتفى بما تمس الحاجة إليه من ذلك.

٨- احترمى عواطف بعلك، وتسلمى مواضع حاجاته، وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالبك بها. . حببى إلى نفسك حرفته، فإن كان من أهل الأدب مثلاً فرتبى أوراقه ومكتبه، ونظفى أقلامه وأدواته. . وإن كان طبيبًا فافعلى ما يرضيه من ذلك.

٩- اعتنى باختيار صديقاتك. . فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك، ولا تطلعى صديقة لك على كل شئ من دخائل منزلك، مهما بلغت منزلتها عندك، ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة.

١٠- حين تجلسين إلى المائدة اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده، وفساده داع إلى اعتلال الصحة.

وصية أب لابنته:

وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته، فقال:

« إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء وعليك بالكحل، فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء».

وصية أخرى:

أوصى ابن الأحوص ابنته زوج أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فقال لها: «أى بنيتى، إنك تقدمين على نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظى عنى خصلتين، تكحلى وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شن أصابه مطر».

وأوصى أحد الآباء ابنته فقال:

احذرى الكذب على زوجك، فالكذب يخلق فى نفس الرجل الشك والإرتياب، وهما سم الحياة الزوجية.

احذرى شدة الانفعالات العصبية فهى التى تجعل البيت شبه جحيم.

احذرى الإسراف فى التجمل متى كان زوجك غيوراً، لأن ذلك يغضب الغيور ويثيره، ويلقى فى روعه أن زوجه تتجمل لسواه حتى ولو تكونى فى الواقع كذلك. .

لا تمدحى أى غريب أمام زوجك، فالزوج يكره ذلك، بل ولايحب أن يسمع تفضيل مخلوق آخر عليه. .

احذرى البطنة، فإنها تفسد الجمال، وتنحدر بالمرأة إلى مصاف الحيوان.

الباب رقم (٣٣)

مواقف إيمانية في السعادة الزوجية وليلة العرس

• امرأة شريح وليلة العرس •

أختى المسلمة. .

وهذا الموقف الإيمانى الرائـع قد حـدث فى بيت شـريح الذى ولاه عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء الكوفة، فأقام عليه ستين سنة، وقد ضرب به المثل فى عدله وفى صدقه، فماذا حدث؟

يحدثنا التاريخ أن شريحًا قابل الشعبى يومًـا فسأله الشعبى عن حاله فى بيته، فقال له شريح: منذ عشرين عامًا لم أر مايغضبنى من أهلى، قال له: وكيف ذلك؟

قال شريح:

من أول ليلة دخلت علىّ امرأتى ورأيت فيهـا حسنًا فاتنًا، وجمالاً نادرًا، قلت فى نفسى: أصلى ركعتين شكراً لله عز وجل.

فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى.

فلما خلا البيت، دنوت منها، ومددت يدى إلى ناحيتها، فقالت:

على رسلك يا أبا أمية، كما أنت. .

ثم قالت:

«الحمد لله: احمده واستعينه، وأصلى وأسلم على النبى وآله وبعد: فإنى امرأة غريبـة، لا علم لى بأخلاقك، فـبين لى ما تحب فـآتيه، ومـا تكره فابتعـد عنه، ثم قالت:

فلقد كان لك فى قومك من هى كـفـء لك، ولقد كان فى قومى من هو كفء لى، ولكن إذا قـضى الله أمراً كـان مفعـولاً، وقد ملكت فـاصنع ما أمـرك الله به، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولك».

قال شريح: فـأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبـة فى ذلك الموضوع، فقلت:

أحمد الله. . وأستعينه وأصلى وأسلم على النبى وآله وبعد:

فإنك قلت كلاماً إن ثبتى عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، فإنى أحب كذا وكذا،وأكـره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشـريها، ومارأيت من سيئة فاستريها. .

قالت: وكيف محبتك لزيارة أهلى؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.. فقالت: من تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره.

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، فمكثت معي عشرين عامًا لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة وكنت لها ظالمًا[١].

يا له من موقف إيماني عظيم.. يلقن الأمة درسًا في السعادة الزوجية في ظل الإسلام الحنيف.

من منا سمع مثل هذا الكلام الطيب ليلة عرسه؟

من منكن قد قالت مثل هذا الكلام الطيب ليلة عرسها لزوجها؟!

وفي هذا الموقف الإيماني العظيم دروس وعبر منها:

• الدرس الأول •

• أن لا تأذن الزوجة في بيت زوجها لمن يكره •

فقد سألت زوجة شريح عمن يحب من أهله أو جيرانه فتأذن له، أو من يكره فلا تأذن له..؟ فعرفها.. وقد ورد عن عمرو بن الأحوص الجشمي أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ ثم قال:

«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عنوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا لكم على نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من يكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[٢].

أختي المسلمة..

ولك في أمهات المؤمنين قدوة حسنة، فهذه هي السيدة رملة بنت أبي سفيان زوج رسول الله ﷺ، كماحدثنا الزهري -رحمه الله- فقال:

«لما قدم أبو سفيان المدينة والنبي ﷺ يريد غزو مكة، فكلمه في أن يزيد في الهدنة، فلم يُقبل عليه، فقام فدخل على ابنته «أم حبيبة» فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ، طوته دونه، فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.

(٢) رواه البخاري.

يابنية، أرغبت بهذا الفراش عنى، أم لى عنه؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك..

فقال: يابنية، لقد أصابك بعدى شر[١].

فينبغى على المرآة أن لا تأذن لأحد فى بيت الزوج إلا بإذنه..

•الدرس الثانى•

•طاعة الزوج فى المعروف•

فالزوج يكره أن لا تطيعه المرأة، لذلك فقد أوجب الشارع الحكيم عليها طاعة الزوج ففى الحديث: **«لو كنت آمراً أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»**[٢].

وقد جعل خير النساء المطيعة لزوجها فقال ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها قيل لها :ادخلى من أى أبواب الجنة شئت»**[٣].

وقال ﷺ: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»**.

وبين رسولنا ﷺ أن الله لا يقبل صلاة ولا عبادة المرأة التى تغضب زوجها، فقال ﷺ: **«ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولاترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده فى أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو»**[٤].

والمرأة إذا آذت زوجها لعنتها الحور العين.. كما ورد فى حديث ابن ماجه وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تؤذى امرأة زوجها إلا قالت زوجته من الحور العين: لاتؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»** [٥].

وهذه الطاعة مشروطة بفعل الخير والمعروف، لا بفعل المعصية والإثم.. فإن كان الزوج يأمرها بإثم أو معصية، فلاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق..

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وقد زوجت ابنتها فسقط شعرها فقالت: إنَّ زوجها أمرنى أن أصل فى شعرها، فقال ﷺ: **«لا إنه قد لُعن الموصلات»**.

---

(١) الإصابة لابن حجر ٨/ ١٤٢، والطبقات لابن سعد ٨/ ١١٤.

(٢) رواه الحاكم وصححه ورواه ابن حبان، وحسنه الألبانى فى إرواء الغليل ١٩٩٨.

(٣) رواه أحمد فى مسنده (١٦٦١)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٦٠.

(٤) رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى مشكاة المصابيح ١١٢٢.

(٥) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه، وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم ١٧٣ وصحيح الجامع ٧٠٦٩.

وقد بوب البخـارى على هذا الحديث فى صحيحـه «باب: لاتطيع المرأة زوجها فى معصية» من كتاب النكاح.

وفى القرآن الكريم: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٣٤].

• الدرس الثالث •

• احترام مشاعر الزوج •

أختى المسلمة:

وهذا هو درس آخر مـن دروس هذا الموقف الإيمانى المبارك.. فـالزوج مرهف الحس فهو يحب زوجته عفيفـة اللسان.. لاتتحدث إلى غيره من الرجال، ويجب أن تشاركه وجدانه وأحاسيسه، وأن تكون له وحده، كما تحب أن يكون لها وحدها، فإذا ضمها مع زوجـها مجلس لم تتبسط فى حديثهـا مع غيره.. تكاد لاتكلم إلا بإذنه، وفى غيبته تراعى شعوره، كأسمـاء زوجة الزبير حين أدركت غيرة الزبير، فرفضت أن تركب مع الرجال، بالرغم من أن الدعوة إليها موجهة من رسول الله ﷺ.

قال الإمام الغـزالى: «..وإذا استأذن صديق لبعلهـا على الباب، وليس البعل حاضرا لم تستـفهم، لم تعاوده فى الكلام، غيرة على نفسهـا وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حـقه على حق نفسها، وحق سائر أقـاربها، منتظفة، مستـعدة فى كل الأحوال للتمـتع بها أنى شاء.. مشـفقة على أولادها، حافلة لـلستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد و مراجعة الزوج.

ومن آداب المرأة: ملازمة الصـلاح والانقباض فى غيبة زوجـها، بمعنى ظهورها فى الصورة الجادة، والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها، ولاينبغى لها أن تؤذى زوجها بحال(١).

ومن الأمور الـهامة التى يـنبغى على المرأة فـعلها: أن لاتضع نفـسهـا مواضع التهـم.. فالمرأة العـاقلة من لاتعطى للغيـر أدنى فرصـة لكى يظنوا بها ظـن السوء، فعليـها أن تتجنب مـواضع التهم .. ولعلنا ندرك حكمـة أستاذ البـشرية ﷺ عندما وقف مع زوجتـه صفـية رضي الله عنها فمـرَّ بهمـا رجلان من الأنصار، فلمـا رأيا النبى ﷺ أسرعا، فقال ﷺ لهما: «**على رسلكما، إنها صفية بنت حيى**».

فقالا: سبحان الله يا رسول الله.

فقال: «**إنَّ الشيطان يجرى من الإنسان مـجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكم شرا**»(٢).

---

(١) من كتاب المرأة فى التصور الإسلامى ص١١٣ عبد المتعال محمد الجبرى.

(٢) رواه البخارى (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥)، وابن ماجه (١٧٧٩)، وأبو داود (٤٧١٩)، وأحمد.

•امرأة تعلم زوجها آداب النكاح•

أختى المسلمة...

وقل أن نجد فى هذا الزمان زوجة متفقهة فى دينها، أو عالمة بأمور دينها..إلا من رحم ربى.. لكن كان نساء السلف يعرفون أمور الدين، ويعلمن الأزواج ما غاب عنهن ومثال ذلك ما ذكره محمد بن سيرين -رحمه الله- فقال:

تزوجت امرأة من تميم، فلما كانت ليلة البناء دخلت عليها، فإذا هى جالسة على باب خدرها، فأهويت إليها بيدى، فقالت: مهلاً.. على رسلك فحمدت الله وأثنت عليه، ثم قالت:

إن الله عز وجل يضع العلم حيث يشاء، وأنه بلغنى أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلى ركعتين وتصلى المرأة خلفه.

فإذا فرغ قال: اللهم بارك لى فى أهلى، وبارك لأهلى فىَّ، اللهم ارزقنى منهم، وارزقهم منى ، اللهم ارزقنى ألفتهم ومودتهم ، وارزقهم ألفتى ومودتى، وحبب بعضنا إلى بعض.

قال: فقمت ففعلت ذلك، فلما فرغت أهويت إليها، فقالت: مهلاً على رسلك إن الرجل يؤمر إذا ا أراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك فيقول: «اللهم جنبنا الشيطان، وجنبه ما رزقتنا، ولا تجعل له فينا نصيبًا». قال: ففعلت ذلك فلم أزل أعرف بعد ذلك الألفة واللطف والخير.

يا سبحان الله..أنرى مثل هذه المرأة العظيمة فى هذا العصر.. العصر الذى طغت فيه الماديات.. ونسيت فيه النساء رب الكائنات.. إلامن رحم الله رب الأرض والسموات..لقد أردت أن تبنى حياتها الزوجية على الآداب الشرعية، والتعاليم الدينية، أرادت أن تؤجر فى قضاء الشهوات.. كما قال سيد الكائنات: «وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيقضى الله أحدنا شهوته ويؤجر عليها قال: «رأيتم لو وضعها فى حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال،كان له أجر»[1].

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

والحياة الزوجية إذا أسست على المبادىء الإسلامية، أنتجت ثمارها، وترعرعت أوراقها، وأثمرت السعادة فى الدنيا والآخرة..

ومن واجب الزوج مراعاة حقوق زوجته، فلا يهجرها بلا سبب يبيح له ذلك، لما فيه من ظلمها، حتى وإن كان هجرانها بدعوى الانقطاع للعباد، فغير جائز شرعاً.. فقد ورد أن زوجة عثمان بن مظعون ﷺ كانت تختضب وتتطيب، ثم تركت ذلك، فدخلت على عائشة أم المؤمنين ﷺ يوماً بدون طيب ولاخضاب! فعجبت عائشة من ذلك، فسألتها عن السبب: ما حملك على ذلك؟

فقالت: يا أم المؤمنين، إنَّ عثمان لايريد الدنيا، ولايريد النساء! فدخل رسول الله ﷺ فأخبرته عائشة بذلك فدعا الرسول الله ﷺ عثمان، فقال: «**أتؤمن بما نؤمن به؟**» فقال: نعم.

فقال ﷺ: «**فأسوة لك بنا**»(١).

وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يجهد نفسه فى العبادة وقيام الليل، وقراءة القرأن، وينشغل عن عروسه، فأخبر عمرو بن العاص رسول الله ﷺ بذلك فقال ﷺ لعبد الله: «**يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟**».

قلت: بلى يارسول الله.

فقال ﷺ: «**لاتفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعيالك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا**»(٢).

قال ابن بطال: لاينبغى للزوج أن يجهد نفسه فى العبادة حتى يضعف عن القيام بحق زوجته من الجماع والاكتساب(٣).

قال الزبير بن بكار: أتت امرأة إلى عمربن الخطاب ﷺ فقالت يا أمير المؤمنين، إن زوجى يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن اشكوه، وهو يعمل بطاعة الله عز وجل.

فقال لها عمر: نعم الزوج زوجك!

فجعلت المرأة تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها نفس الجواب.

فقال له كعب الأسدى: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه!

---

(١) رواه أحمد فى مسنده.

(٢) رواه البخارى (٥١٩٩).

(٣) فتح البارى ٩/ ٢١٠.

فقال لها عمر: كما فهمت كلامها، فاقض بينهما..

فقال كعب: عليَّ بزوجها، فأتى به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك!

فقال: أفى طعام أم شراب؟ قال: لا.

فقالت المرأة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ... ألهى خليلي في فراشي مسجده
زَهَّدَهُ في مضجعي تعبده ... فاقض القضا كعب ولا تُردّده
نهاره وليله مايرقده ... فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهَّدني في فرشها وفي الحجل[1] ... أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطُّول[2] ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إنَّ لها حقًّا عليك يا رجل ... تصيبها في أربع لمن عقل

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

فقال عمر: والله ما أدرى من أى أمريك أعجب يا كعب؟ أمن فهمك بينهما؟ أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

---

(١) الحجل: جمع حجلة وهى بيت العروس وفراش الزوجة.
(٢) السبع الطوال: من البقرة إلى الأنفال.

• خاتمة •

أختى المسلمة..

ها نحن قد طفنا سويًا ببستان الصالحين والصالحات، فقطفنا زهرات عاطرات؛ ترشد الأخوات المسلمات، بأريجها الطيب، وعبيرها الفواح.

أختاه...

ما أشرف الأوقات وقد ضيعناها؟!

وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبرى ما أودعتيها؟!

تذكرى قبل الرحيل..

تذكرى قبل المناقشة عن النقير والفتيل..

قبل أن ننزل بطون اللحود، فى بيت بابه مسدود..

بيت لو قيل فيه للعاصية ما تختارى لقالت: أعود وما أعود..

أختاه...

وتضرعى إلى رب غفور.. وسائل مجيب، لعله يغفر الزلات، ويعفو عن السيئات، ويرفع الدرجات..

إلهى..

يا من منح بالنوال، ويا من جاد بالاتصال، يا من استدرك بالتوبة ذنوبنا وكشف بالرحمة غمومنا، وأحسن إلينا بعد إساءتنا..

إلهى.. قد وقفت بين يديك قدمى.. ورفعت إليك بصرى، وبسطت إلى مواهبك يدى، وصرخ إليك صوتى..

اللهم اغفر لى ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، ربنا تقبل منا إنك أنت السمع العليم وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو مولاه

أبو أحمد

محمد عبد العاطى بحيرى

ميت برة - قويسنا - منوفية

المراجــــع

١ - القرآن الكريم وتفسيره:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقى
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
مفاتيح الغيب	الفخر الرازى
الجامع لأحكام القرآن	القرطبى
محاسن التأويل	القاسمى

٢- كتب الحديث والسنة:

الترغيب والترهيب	المنذرى
فتح البارى شرح صحيح البخارى	لابن حجر
صحيح مسلم بشرح النووى	النووى
صحيح الجامع الصغير	الألبانى
السلسلة الصحيحة	الألبانى
صحيح سنن أبى داود	الألبانى
سنن ابن ماجه	ابن ماجـه، تحقيق محـمد فؤاد عبد الباقى
سنن الترمذى	الترمذى ط. دار الحديث
الأدب المفرد	البخارى
مسند الإمام أحمد	بتحـقيق أحمـد شاكر وحـمزة الزين
الحدائق	ابن الجوزى

٣- كتب الفقه:

المجموع شرح المهذب	النووى
فقه السنة	السيد سابق
الدين الخالص	محمود خطاب السبكى

الإقناع	الشربينى الخطيب
المدخل	ابن الحاج
سبل السلام	الصنعانى
نيل الأوتار	الشوكانى
فقه الرسول	مجدى فتحى السيد
فقه السنة للنساء	كمال السيد سالم
بيان للناس	الأزهر الشريف

٤- كتب السيرة والتاريخ:

سير أعلام النبلاء	الذهبى
صفة الصفوة	ابن الجوزى
أسد الغابة	ابن الأثير
الطبقات الكبرى	ابن سعد
حلية الأولياء	أبى نعيم
السيرة النبوية	ابن هشام
سيرة ومناقب عمر بن الخطاب	ابن الجوزى
حياة الصحابة	الكاندهلوى
الإصابة	ابن حجر
صور من حياة الصحابة	د/ رأفت الباشا
سيرة آل بيت النبى الأطهار	مجدى فتحى السيد
تاريخ الإسلام	الذهبى

٥- كتب الرقائق:

مدارج السالكين	ابن القيم
الزهد	الإمام أحمد
الزهد	ابن المبارك
اللطائف	ابن الجوزى
التبصرة	ابن الجوزى
التذكرة فى الوعظ	ابن الجوزى

المدهش	ابن الجوزى
جامع العلوم والحكم	ابن رجب
لطائف المعارف	ابن رجب
المواعظ والمجالس	ابن الجوزى
تلبيس إبليس	ابن الجوزى
صيد الخاطر	ابن الجوزى
تنبيه الغافلين	السمرقندى
سمير الطالحين	الشهاوى
حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح	ابن القيم
مختصر منهاج القاصدين	ابن قدامة
منهاج العابدين	الإمام الغزالى
إحياء علوم الدين	الإمام الغزالى
تهذيب موعظة المؤمنين	القاسمى
الرسالة القشيرية	القشيرى
الفوائد	ابن القيم
الداء والدواء	ابن القيم
بدائع الفوائد	ابن القيم
روضة المحبين	ابن القيم
ذم الهوى	ابن الجوزى
تربية الأولاد فى الإسلام	مجدى فتحى السيد
تربية الأولاد فى الإسلام	عبد الله ناصح علوان
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	ابن حبان البستى
الرقة والبكاء	ابن قدامة وابن أبى الدنيا
رسائل ابن أبى الدنيا	ابن أبى الدنيا
سكب العبرات	د/ سيد حسن العفانى
ترطيب الأفواه	د/ سيد حسن العفانى
الجزاء من جنس العمل	د/ سيد حسن العفانى
رُهبان الليل	د/ سيد حسن العفانى
تنبيه المغترين	الشعرانى

الحقوق العامة للمرأة	صلاح عبد الغنى محمد
المرأة فى التصور الإسلامى	عبد المتعال محمد الجبرى
المستطرف فى كل فن مستظرف	للأبشيهى
الدين والحياة	وزارة الأوقاف المصرية
أفلا يتدبرون القرآن	د/ طاهر توفيق
سباق نحو الجنان	خالد أبو شادى
قواعد المجتمع المسلم	محمد حسان
سمير المؤمنات وأنيس الصالحات	عبد الله بدران
التوبة إلى الله	القرضاوى
صحابيات حول الرسول	محمود المصرى
مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين	محمود المصرى
السلسلة الذهبية فى الأخلاق الإسلامية	مجموعة من العلماء
نضرة النعيم	مجموعة من العلماء
تحفة الجلساء بمواعظ النساء	مجدى فتحى السيد
خلق المسلم	الغزالى
مواقف إيمانية	الشيخ أحمد فريد

٦- **كتب الشعر:**

ديوان الإمام الشافعى	الشافعى
روضة المؤمنين فى أشعار الزهاد والصالحين	مجدى فتحى السيد

• فهرس كتاب مواقف إيمانية للنساء •

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
(١) الباب الأول: التوبة إلى الله عز وجل:	٧
توبة صادقة	٩
التوبة فى القرآن والسنة	١٠
الله يفرح بتوبتك........................	١٢
شروط التوبة	١٣
كلمات عظيمات فى ظلمات حالكات	١٤
مواقف للتائبات:	
١- توبة امرأة تطوف حول الكعبة	١٤
٢- توبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خثيم	١٥
٤- توبة امرأة غافلة بعد موت زوجها	١٥
٣- التائب إلى الله بمكان عنده سبحانه	١٦
٥- الفوائد التى نجنيها من التوبة	١٧
(٢) الباب الثانى: محبة الرسول ﷺ:	٢١
كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله	٢٣
وجوب محبة الرسول ﷺ	٢٣
محبة النبى اتباعه	٢٥
التحلى بأخلاق الرسول ﷺ	٢٦
مواقف فى محبة الرسول:	
١- موقف بريرة وطاعة رسول الله ﷺ	٢٧
٢- موقف زينب بنت جحش وزيد بن حارثة	٢٨
٣- موقف امرأة من الأنصار خطبها الرسول لجليبيب رضي الله عنه	٢٨
٤- أتعطين زكاة هذا ؟	٣٠
٥- يرحم الله نساء الأنصار	٣٠
اقتدين بهؤلات المؤمنات	٣١

الموضـــــوع	الصفحة

(٣) الباب الثالث: الحرص على العلم وتحصيله وجواز عرض الرجل ابنته
على الرجل الصالح : ٣٥
موقف ابنة سعيد بن المسيب صبيحة عرسها ٣٧
قصة زواج سعيد بن المسيب ابنته أبى وداعة ٣٧
دروس وعبر: ٣٨
١- طلب العلم من جانب الزوج ٣٩
٢- طلب العلم من جانب الزوجة ٤٠
موقف أم سفيان الثورى ٤٠
موقف جارية الإمام مالك ٤٠
موقف امرأة الحافظ الهيثمى ٤١
ما يجب أن تتعلمه المرأة ٤١
حث الإسلام على العلم ٤٢
عرض الرجل ابنته على الصالحين: ٤٣
١- موقف أم تعرض أختها ٤٤
٢- موقف أم تعرض ابنتها ٤٥
٣- موقف أعرابى يعرض ابنته ٤٥

(٤) الباب الرابع: الدعوة إلى الله عز وجل: ٤٧
سقاية من السماء ودخول فى الإسلام ٤٩
الحث على الدعوة إلى الله عز وجل ٥٠
ينبغى أن يكون العمل كله لله ٥١
أمور ينبغى مراعاتها فى الدعوة إلى الله ٥١
مواقف داعيات إلى الله عز وجل: ٥٣
١- جعلت مهرها شهادة التوحيد ٥٣
٢- موقف فاطمة بنت الخطاب ودخول عمر الإسلام ٥٤
٣- جاء ليسرقها فدعته إلى الله ٥٥

(٥) الباب الخامس: الثبات على الدين: ٥٧
إيمان أثبت من الجبال الراسيات ٥٩

الموضـــــوع	الصفحة

وسائل الثبات على الدين ٦٠

مواقف:

١- موقف غلام مؤمن وأصحاب الأخدود ٦٢

٢- ثبات لا مثيل له «آسية امرأة فرعون» ٦٦

٣- أول شهيدة فى الإسلام ٦٨

٤- زنيرة الرومية وقوة إيمانها ٦٨

(٦) الباب السادس: التضحية والجهاد فى سبيل الله: ٧١

موقف نسيبة بنت كعب وجهادها فى سبيل الله ٧٣

فضل الجهاد فى سبيل الله ٧٤

حكم الجهاد ٧٥

فضائل الشهيد........ ٧٦

المرأة تحمل السلاح يوم حنين ٧٧

مواقف مشرقة لبطولات المرأة المسلمة: ٧٩

١- موقف رفيدة بنت سعد الأسلمية ٧٩

٢- موقف فاطمة الزهراء وعائشة وأم أيمن ٧٩

٣- موقف أمية بنت قيس ٨٠

٤- موقف ليلى الغفارية ٨٠

٥- موقف أبو قدامة الشامى وامرأة مجاهدة ٨١

٦- موقف خولة بنت الأزور وارتداؤها ثياب الرجال ٨٣

جهادكن الحج والعمرة وطاعة الزوج ٨٤

خاتمة فى فطرة المرأة ٨٥

(٧) الباب السابع: ذكر الله تعالى: ٨٩

موقف لفاطمة الزهراء ورسول الله يصف لها الذكر ٩١

فضل ذكر الله ٩٣

ثواب الذكر فى السنة المطهرة ٩٤

أفضل الذكر بعد القرآن ٩٥

الموضـــوع	الصفحة

سادات الذاكرين والذاكرات: ٩٦
١- أبو الدرداء رضي الله عنه ٩٦
٢- أبو هريرة رضي الله عنه ٩٦
٣- أبو مسلم الخولانى - رحمه الله - ٩٧
٤- مسكينة الطفاوية - رحمها الله - ٩٧
٥- أم حيان السلمية ٩٧
٦- حفصة بنت سيرين ٩٧
موقف أم هانئ والتسبيح ٩٧
موقف الفقراء وشكواهم للرسول ﷺ ٩٨
ذكر الله من علامات الولاية ٩٩

(٨) الباب الثامن: التصدق والإنفاق: ١٠١
كرم عجيب «موقف» ١٠٣
الحث على الصدقة من القرآن والسنة ١٠٤
ما هى أنواع الصدقة؟ ١٠٥
موقف أغرب من الخيال ١٠٦
أسرعكن لحاقًا بى أطولكن يداً ١٠٧
محبة للإنفاق حتى الممات ١٠٨
فرق بين جود عائشة وأسماء رضي الله عنهما ١٠٨

(٩) الباب التاسع: مراقبة الله تعالى وعدم غش المسلمين: ١١١
موقف لفتاة تلقن الأمة درسًا فى مراقبة الله ١١٣
منزلة المراقبة ١١٤
المراقبة وحلاوة الطاعة ١١٤
مراقبة الله فى الخلوة ١١٥
تعلمى المراقبة من راعى الأغنام ١١٦
موقف لشيخ يعلم تلاميذه مراقبة الله ١١٧
نبى الله يوسف ومراقبة الله تعالى ١١٧
نبينا ﷺ يعلم الأمة كيف يراقبوا الله تعالى ١١٨

الموضـــــوع	الصفحة

مراقبة الله تجعل المؤمن لا يأكل إلا الحلال الطيب ١١٨
درس آخر نتعلمه: عدم غش المسلمين ١١٩
صفات من يعمل بالتجارة ١١٩
الدرس الثالث: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٢٢
الدرس الرابع: أهمية اختيار زوجة ذات دين ١٢٢

(١٠) الباب العاشر: العفة والمحافظة على الأعراض: ١٢٥
هكذا تفنى الشهوات وتنقطع اللذات ١٢٧
فضل العفة وثوابها ١٢٨
فى الزواج عفة وصيانة ١٣٠
يوسف عليه السلام كان مثالاً للعفة ١٣١
براءة يوسف عليه السلام ١٣١
عفاف كعفاف يوسف فى رجل من أمة الحبيب محمد ﷺ ١٣٣
مواقف لنساء عفيفات: ١٣٥
١- دع ذلك ليوم التغابن ١٣٥
٢- أنام رب العالمين؟! ١٣٥
٣- هل بقى باب لم تغلقيه؟ ١٣٥
٤- أين مكوكبها؟ ١٣٦
٥- امرأة عفيفة ١٣٦
٦- الأجل ليس بيدى ١٣٧
٧- شيخ تفوح منه رائحة المسك ١٣٧
٨- ثمرات العفة ١٣٧

(١١) الباب الحادى عشر: الصبر: ١٣٩
من أروع مواقف الصبر ١٤١
ما هو الصبر؟ ١٤١
القرآن الكريم يأمر أتباعه بالصبر ١٤٢
مواقف إيمانية للصابرات: ....
١- موقف أم سلمة رضي الله عنها وفقدها لأبى سلمة ١٤٣

الموضـــــــوع	الصفحة

٢- موقف الخنساء وصبرها على فقد أبنائها الأربعة ١٤٤
٣- موقف أسماء وقتل ولدها عبد الله بن الزبير ١٤٦
٤- موقف معاذة العدوية والصبر على استشهاد ابنها ١٤٧
٥- صبر عجيب ١٤٨
٦- الربيع بنت النضر ١٤٨
٧- موقف أسماء بنت عميس وصبرها على فقد زوجها جعفر ١٤٩
٨- صبرهن على تربية البنات ١٤٩
٩- حلاوة أجرها أنستنى مرارة قطعها ١٥٠
١٠- موقف لابنة الفضيل بن عياض ١٥٠
١١- الصبر على مرض الصرع ١٥٠
١٢- موقف امرأة صبرت على هلاك زرعها ١٥٠
الأسباب المعينة على الصبر ١٥١

(١٢) الباب الثانى عشر: التوكل على الله: ١٥٥
موقف لابنة حاتم الأصم وحسن توكلها على الله ١٥٧
ما هو التوكل؟ ١٥٧
آيات القرآن تحث على التوكل ١٥٨
فى السنة المطهرة حث على التوكل ١٥٩
هاجر «أم إسماعـيل» وحسن توكلها ١٦٠
أم موسى عليها السلام مثلاً أعلى فى التوكل ١٦٢
ماذا كان جزاؤها؟ ١٦٣

(١٣) الباب الثالث عشر: التفكر فى مخلوقات الله: ١٦٥
فطرة نقية ومعرفة الرب ١٦٧
فضل التفكر فى مخلوقات الله ١٦٧
وللتـفكر أنواع ومظاهر ١٦٩
هل تعلمى أن...؟ ١٧٠
مواقف إيمانيـــة: ....
١- موقف البريطانية وزوجها من الإيمان بالخالق ١٧١

الصفحة	الموضــــــوع
١٧٢	٢- موقف الشافعي والزنديق
١٧٣	٣- وقفات مع عالم الحشرات
١٧٥	٤- وقفات مع عالم الحيوان
١٧٦	٥- وقفة مع عالم النبات
١٧٨	٦- قصيدة في التفكر في مخلوقات الله
١٧٩	**(١٤) الباب الرابع عشر: قيام الليل والتضرع إلى الله:**
١٨١	موقف حبيبة العدوية وقيام الليل
١٨٢	فضل قيام الليل
١٨٣	الترغيب في قيام الليل
١٨٤	**نساء قائمات ساجدات:**
١٨٤	١- عائشة رضي الله عنها
١٨٥	٢- حفصة بنت عمر
١٨٥	٣- زينب بنت جحش رضي الله عنها
١٨٥	٤- معاذة العدوية - رحمها الله -
١٨٦	٥- حفصة بنت سيرين
١٨٦	٦- كريمة بنت سيرين
١٨٦	٧- رابعة العدوية
١٨٦	٨- عجردة العمية
١٨٦	٩- عفيرة العابدة
١٨٧	١٠- عمرة امرأة حبيب العجمي
١٨٧	١١- بردة الصريمية
١٨٧	١٢- امرأة أبي عمران الجوني
١٨٧	١٣- امرأة رباح القيس
١٨٧	١٤- غضنة وعالية - رحمهما الله -
١٩٣	**(١٥) الباب الخامس عشر: الخوف من الله والبكاء من خشيته:**
١٩٥	من مواقف الخائفات من رب الكائنات
١٩٥	جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان

الموضـــــوع	الصفحة
بكاء الأنبياء	١٩٦
فضل البكاء من خشية الله	١٩٧
مواقف لنساء باكيات:	١٩٩
١- زجلة العابدة	١٩٩
٢- عفيرة - رحمها الله -	١٩٩
٣- شعوانة العابدة	١٩٩
٤- معاذة العدوية	٢٠٠
٥- فاطمة بنت المنكدر	٢٠١
٦- أم الدرداء رضي الله عنها	٢٠١
٧- عائشة رضي الله عنها	٢٠١
إذا فتح باب الطاعة فلا تغترى	٢٠٢
(١٦) الباب السادس عشر: مواقف إيمانية فى الهجرة النبوية:	٢٠٥
موقف أم سلمة رضي الله عنها	٢٠٧
هجرتها إلى الحبشة	٢٠٩
لماذا الهجرة؟	٢٠٩
الهجرة النبوية درس فى التخطيط	٢١٠
مواقف للمرأة فى الهجرة النبوية:	٢١١
١- نساء أهل البيت	٢١٣
٢- أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط	٢١٣
٣- درة بنت أبى لهب	٢١٤
٤- أم معبد وشاتها	٢١٤
٥- أسماء بنت عميس	٢١٦
الهجرة فرض إلى يوم القيامة	٢١٧
(١٧) الباب السابع عشر: تربية الأبناء على الصدق وأمهات مثاليات:	٢١٩
موقف أم تصدق مع ولدها لتعلمه الصدق	٢٢١
الآباء قدوة للأبناء	٢٢٢
الحث على الصدق والتحذير من الكذب	٢٢٢

الموضـــــوع	الصفحة

مواقف للصادقات:
١- أم تعاهد ولدها على الصدق ٢٢٣
٢- الصدق يزوجه امرأة عريقة النسب ٢٢٤
٣- أمهات مثاليات ٢٢٥
٤- موقف القاضي شريح وتربية ولده ٢٢٧
٥- عودن أبناءكن الشجاعة ٢٢٨
٦- لا تجمعن جوعًا وكذبًا ٢٢٨

(١٨) الباب الثامن عشر: حسن الخاتمة وموت الصالحات: ٢٣١
موقف راهبة العابدة ومفارقتها الحياة ٢٣٣
أسباب حسن الخاتمة ٢٣٤
فراش المؤمن في قبره ٢٣٦
موت القانتات العابدات: ٢٣٦
١- معاذة العدوية ٢٣٦
٢- رابعة العدوية ٢٣٧
٣- عابدة تخر ميتة لرؤيتها الكعبة ٢٣٧
٤- ابنة مُنية البصرية ٢٣٧
٥- زهراء الوالهـة ٢٣٨
٦- السيدة نفيسة رضي الله عنها ٢٣٩
ما ينفع به الميت في قبره ٢٣٩

(١٩) الباب التاسع عشر: التحذير من سوء الخاتمة: ٢٤٣
نظرة وسـوء خاتمة ٢٤٥
سوء الخاتمة على رتبتين ٢٤٦
أسباب سوء الخاتمة ٢٤٦
مواقف من سوء الخاتمة:
مؤذن تفتنه نصرانية ٢٥٢

الموضـــــــوع	الصفحة

(٢٠) **الباب العـشرون: النجـاة من النـار:** ٢٥٥
موقف النساء من النار ٢٥٧
وصف النار ٢٥٨
كيف تنقذين نفسك من النار؟ ٢٦٠
(٢١) **الباب الحادى والعشـرين: أكل الحلال الطيب والثقة فى رزق الله:** .. ٢٦٧
بنات يعلمن الآباء أكل الحلال ٢٦٩
كيف تأكلى حلالاً؟ ٢٧٠
امرأة تعلم الرجال الورع ٢٧١
رزقك لن تأكله غيرك ٢٧٥
من الذي يرزق الثعبان الأعمى؟! ٢٧٦
موقف حـاتم الأصم من الرزق ٢٧٧
موعظة جليلة ٢٧٧

(٢٢) **الباب الثانى والعشرين: الوقـاية من الحسد والحاسدين:** ٢٧٩
موقف الرسول من العين الحاسدة ٢٨١
الأسبابُ التى تنجـيك من الحسد ٢٨٢
الرسول يرقى الحسن والحسين ٢٨٣
موقف الصحابة من الرقى ٢٨٣
الإسلام يذم الحسد وأهله ٢٨٣
موقف رجل من أهل الجنة ٢٨٥
موقف يوضح عاقبة الحسد ٢٨٦
كيف تقين نفسك من شـر الحاسدين؟ ٢٨٧

(٢٣) **الباب الثالث والعشرين: حفظ اللسان:** ٢٩١
كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ٢٩٣
خطر اللسان ٢٩٤
موق المغسلة والميتة ٢٩٦
خطر الغيبة ٢٩٧
مواقف منفرة للغيبة ٢٩٨

الموضـــوع	الصفحة
ذم الغيبة عند السلف	٢٩٨
موقف عيسى عليه السلام من الغيبة	٢٩٩
موقف الحسن البصرى ممن اغتابه	٢٩٩
مواقف تجوز فيها الغيبة	٣٠٠
(٢٤) الباب الرابع والعشرين: كرامات الأوليـاء:	٣٠٣
هجرة أم أيمن وكرامة ظاهرة	٣٠٥
تعريف الكرامة	٣٠٥
كرامات أبى بكر الصديق	٣٠٦
كرامات وقعت لعمر بن الخطاب	٣٠٧
كرامات لسعيد بن زيد	٣٠٨
كرامة لعاصم بن ثابت	٣٠٨
كرامة لخبيب بن عدى	٣٠٩
كرامة لحمزة بن عبد المطلب	٣٠٩
كرامة لجريج العابد	٣٠٩
كرامة طفل رضيع	٣١٠
كرامة لحفصة بنت سيرين	٣١١
كرامة لرابعة العدوية	٣١١
المفترين بما يشبه الكرامات	٣١١
صفات أصحاب الكرامات	٣١٢
(٢٥) الباب الخامس والعشرين: مكارم الأخلاق:	٣١٥
موقف خديجة يوم نزول الوحى	٣١٧
احترام مشاعر الزوج	٣١٨
مكانة السيدة خديجة	٣١٩
وقفة مع شرح لموقف خديجة	٣٢٠
أهمية إدخال السرور على المسلم	٣٢٣
(٢٦) الباب السادس والعشرين: مواقف ضحك فيها الرسول ﷺ:	٣٢٥
الرسول ﷺ يمازح أم أيمن	٣٢٧

الموضـــــوع	الصفحة

ضحكه ﷺ لاختيار عائشة الله ورسوله ٣٢٨
ضحكه ﷺ لسبقه عائشة ٣٢٩
ضحكه ﷺ لتعجب سهلة بنت سهيل ٣٢٩
تبسمه لكلام المرأة التى تريد الرجوع لمطلقها ٣٣٠
تبسمه من غيرة عائشة ٣٣٠
ضحكه ﷺ من فعل النسوة ٣٣٠
مواقف أخرى من فكاهات الرسول ﷺ ٣٣١
سويداء كانت تضحك النبى ﷺ ٣٣٣

(٢٧) الباب السابع والعشرين: مواقف إيمانية فى الوفاء: ٣٣٥
رسولنا محمد سيد الأوفياء ٣٣٧
وفاء لنعم الله عز وجل ٣٣٧
الوفاء بالعهد ٣٣٩
الوفاء للوالدين ٣٤٠
الوفاء للزوجة ٣٤٠
الوفاء لقرابة الرضاعة ٣٤١
وفاء لا مثيل له ٣٤١
زينب بنت الرسول تفدى أبا العاص وفاء للزوجية ٣٤٢

(٢٨) الباب الثامن والعشرين: مواقف إيمانية فى الحياء: ٣٤٣
الحياء شعبة من الإيمان ٣٤٥
ما هو الحياء؟ ٣٤٥
أنواع الحياء ٣٤٧
الحياء لا يمنع العلم ٣٤٨
الحياء لا يمنع الأمر بالمعروف ولا النهى عن المنكر ٣٤٩
الحياء أصل كل خير ٣٥٠
المعاصى تذهب الحياء ٣٥٠
الرسول ﷺ يحث الأمة على الحياء ٣٥١
السلف الصالح يحثون على الحياء ٣٥٢

الموضــــــوع	الصفحة

مواقف فى الحيــاء: ٣٥٣
١- حياء ابنة شعيب ٣٥٣
٢- حياء صفية بنت عبد المطلب ٣٥٣
٣- حياء وشهامة امرأة عربية ٣٥٤
٤- الحياء منعها من ارتكاب الفاحشة ٣٥٥

(٢٩) الباب التاسع والعشرين: مـوقف خولة بنت ثعلبة مع عمر بن الخطاب ﷺ: ٣٥٧
وعظ خولة لعــمر بن الخطاب ٣٥٩
عظمة التواضع ٣٦١
من تواضع لله رفعه ٣٦١
كل يوم هو فى شأن ٣٦٢
قبول النصح والوعظ ولو من امرأة ٣٦٣

(٣٠) الباب الثلاثـــــون: مواعظ النساء: ٣٦٥
امرأة تعظ ابنها وتحذره من المعصية ٣٦٧
احذرى الغـفلة ٣٦٨
استعــدى لسفرك ٣٦٩
ما من الجنة عوض ٣٧٠
احذرى المعاصى ٣٧١
احذرى إبليس اللعين ٣٧٢
هل للموعظة شروط؟ ٣٧٤
أم تعظ ابنتها ٣٧٥
عائشة تعظ النساء ٣٧٥
ابنة تعظ أباها ٣٧٦
امرأة تعظ الناس عند القبر ٣٧٧
امرأة تعظ رجلاً ٣٧٧

(٣١) الباب الحادى والثلاثين: عمل المرأة فى بيت الزوجية: ٣٧٩
موقف أسماء بنت أبى بكر وخدمة زوجها ٣٨١

الموضـــــوع	الصفحة
هل خدمة المرأة لزوجها واجبة؟	٣٨١
تعاون الرجل مع المرأة فى أعمال المنزل	٣٨٣
امرأة رياح القيسى العابدة	٣٨٤
الدرس الثانى: الغيرة:	٣٨٤
هل الغيرة مباحة؟	٣٨٤
الغيرة وأمهات المؤمنين والصحابة	٣٨٦
غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنها	٣٨٦
(٣٢) الباب الثانى والثلاثين: وصايا للعروس ليلة الزفاف:	٣٨٩
وصية أمامة بنت الحارث	٣٩١
وصايا الأبوين لبناتهم:	٣٩٢
١- أم أوصت ابنتها	٣٩٢
٢- وصية أب لابنته	٣٩٤
٣- وصية أخرى	٣٩٤
(٣٣) الباب الثالث والثلاثين: السعادة الزوجية وليلة العرس:	٣٩٥
موقف زوجة شريح ليلة عرسه	٣٩٧
من هذا الموقف دروس:	٣٩٨
١- أن لا تأذن الزوجة فى بيت زوجها لمن يكره	٣٩٨
٢- طاعة الزوج فى المعروف	٣٩٩
٣- احترام مشاعر الزوج	٤٠٠
موقف امرأة تعلم زوجها آداب النكاح	٤٠١
مراجع الكتاب	٤٠٧
فهرس الكتاب	٤١١